

عدد خاص

الأدب الإسلامي

٧٤

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٧٤) ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

عبد الرحمن رأفت الباشا في موكب الريادة..





من رواد الأدب الإسلامي

نشأ الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا نشأة عسامية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. فقد ولد في مدينة صغيرة هي مدينة أريحا السورية التي تعد مصيفاً لأهل حلب على سفح جبل الأربعين الذي يشتهر ببساتين الكرز وجمال زهوره في الربيع.

وقد ذاق الباشا مرارة اليتيم منذ طفولته، وعاش في كنف جده الضرير الذي كان إماماً لمسجد الحي، وكان يوجه الفتى الصغير إلى حفظ القرآن وحب العربية.

وأتم الباشا دراسة مجانية مع مكافأة يسيرة في المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية الآن) في مدينة حلب، وكان أقرانه يلحظون ما كان يعانيه من الفقر وشظف العيش.

وسنحت فرصة نادرة نال فيها بعثة حكومية ليتم دراسته في الأزهر، ولكن طموحه دفعه إلى الانتساب إلى جامعة فؤاد الأول وهي جامعة القاهرة اليوم، ونال منها درجة التخرج، ليكتب له بعد عقود من الزمن أن ينال منها درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه.

وكان الباشا من أنجح المدرسين، وكان يخلب أفئدة طلابه بطريقة تدريسه ورصانة لغته.

وكان جاداً في مختلف شؤون حياته مما أتاح له المجال لتأليف عدد من الكتب في الأدب والنقد والتربية، وكان أهم ما ألف تلك السلسلة التي حظيت بها إذاعة الرياض وهي بعنوان «صور من حياة الصحابة» ثم «صور من حياة التابعين». وقد قررت هذه السلسلة على طلاب المدارس الحكومية في المملكة العربية السعودية، وفي بعض الأقطار العربية.

وكان من أعظم ما تميز به الدكتور الباشا هو سعيه الدؤوب لإقرار منهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكان من بواكير المؤلفات النقدية التي نظرت للأدب الإسلامي هو كتابه الذي سماه «نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد».

وقد بدأ الكتاب بالحديث عن «موقف الإسلام من الأدب بعامة، ومن الشعر بخاصة» وذلك من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، ثم انتقل إلى الحديث عن المذاهب الأدبية الغربية وموقف الأدب الإسلامي منها. وابتدأ فصلاً جديداً بعنوان «التصور الإسلامي للخالق عز وجل ثم للكون والإنسان» ليخلص بعد ذلك إلى الحديث عن الخصائص العامة للأدب الإسلامي.

وأنتهى الكتاب بالحديث عن بعض القضايا الأدبية ومنها قضية الالتزام في الأدب الإسلامي، وموقف الأدب الإسلامي من القضاء والقدر في الأعمال القصصية والمسرحية، والأدب الإسلامي وموقفه من الخير والشر، وموضوع العلاقة بين الجنسين.

واختتم الكتاب بعرض نماذج مختارة من فن القصة والمسرحية من خلال خصائص الأدب الإسلامي الذي يعد أحد كبار رواده.

رئيس التحرير

رئيس التحرير

نائب رئيس التحرير

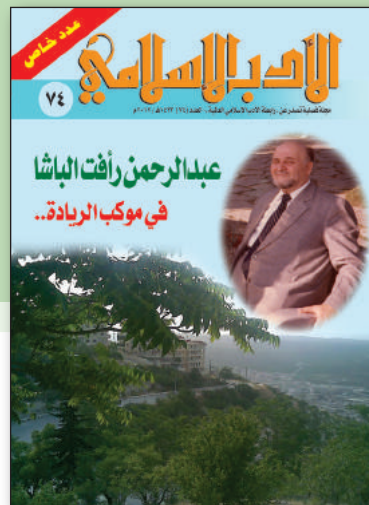
مجلة فصلية تصدر عن

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

المجلد (١٩) العدد (٧٤)

جمادى الأولى - رجب ١٤٣٣هـ

نيسان (أبريل) - حزيران (يونيو) ٢٠١٢



المراسلات باسم رئيس التحرير

المملكة العربية السعودية

الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨

فاکس: ۴۶۴۹۷۰۶

جواب: ۰۵۰۳۴۷۷۰۹۴

Web page address

www.adabislami.org

E-mail

info@adabislami.org

الاشتراكات

للأفراد في البلاد العربية

ما يعادل ۱۵ دولارا

خارج البلاد العربية

۲۵ دولارا

للمؤسسات والدوائر الحكومية

۳۰ دولارا

أَسْعَارِيعُ الْمَجْلَةِ

دول الخليج ١٠ ريالات سعودية

أوما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر

٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب

العربي ٩ دراهم مغربية أو ما يعادلها،

اليمن ١٥٠ ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه،

الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كتاب العدد



د. عبد الباسط بدر



يمان عبد الرحمن الباشا



صبحی فحماوی



د. أحمد زياد محبك

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد والأيزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثيا مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لا ينشر لايعدا إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجري معها الحوار.

مدير التحرير

د. وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير

أ. شمس الدين درمش

هيئة التحرير

د. سعد أبو الرضا

د. عبد الله بن صالح المسعود

د. محمد عبدالعظيم بن عزوز

د. علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير

د. عبدالعزيز الثنيان

د. عبدالباسط بدر

د. حسن الهويمل

د. عبدالله العريني

د. رضوان بن شقرون

في هذا العدد

عدد خاص

❖ الافتتاحية:

- من رواد الأدب الإسلامي
- د. الباشا: سيرة ذاتية أدبية علمية
- شقيق الروح
- د. الباشا كما عرفته
- الراحل الذي دون تاريخ الأخيار
- كلمة تقديم لكتاب نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد
- في موكب الريادة..
- د. الباشا: نفس الحر وجلال العالم
- اللقاء الأخير
- د. الباشا: الأدب الإسلامي والملمح المميز
- د. الباشا.. راعي عروبة اللسان
- د. عبدالرحمن الباشا الإنسان
- شهادة
- فقدناك عالما وأديبا ومفكرا..
- بكائية العشماوي أبكتنا
- هذه مآثرهم...
- د. الباشا ونقد الشعر التراثي
- من ذكرياتي مع أستاذاي د. الباشا
- فن السرد في صور من حياة الصحابة
- شهادة
- تجليات الموروث الإبداي.. حدث
- في رمضان أنموذجا
- أرض البطولات رواية تاريخية
- مدهشة لعبد الرحمن الباشا
- شهادة
- د. الباشا.. رجل فقدناه

رئيس التحرير

- ١ بمان عبدالرحمن الباشا
- ٤ أم اليمان - زوجة الفقيه
- ١٢ د. عبد القدوس أبو صالح
- ١٢ د. عبدالعزيز الثنيان
- ١٨ الشيخ أبو الحسن الندوي
- ٢٠ د. عبد الباسط بدر
- ٢٤ د. عائض الرادادي
- ٣٠ د. عبدالله العريني
- ٣٢ محمد جاد البنا
- ٣٥ د. فخر الدين قباوة
- ٣٦ د. مهجة الباشا
- ٣٧ عبدالقادر الأسود
- ٣٨ نايف رشدان العتيق
- ٣٩ أحمد عبدالرحمن النمال
- ٤٠ حمد العليان
- ٤٢ د. سمر الديوب
- ٥٥ د. ناصر عبدالرحمن الخنين
- ٥٦ د. أحمد زياد محبك
- ٦٦ د. عبدالله أبو هيف
- ٦٧ د. حسان الحسن
- ٦٨ صبحي فحماوي
- ٧٨ رضوان عبدالرحمن الباشا
- ٧٩ محمد حسن بريفش

- ٨٠ - المرأة المناضلة في رواية أرض البطولات
- ٨٦ - شهادة بمان عبدالرحمن الباشا
- ٨٧ - د. الباشا شخصية متعددة الجوانب
- ٨٨ - جهود د. الباشا في تمكين اللغة العربية
- ٩٥ - أول عهدي بالدكتور الباشا
- ٩٦ - مستويات اللغة في الراية الثالثة
- ١٠٥ - الطريق إلى الأندلس.. لمحات وقطوف
- ١٠٦ - نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد
- ١٠٨ - انطباعات قارئ عن كتابات الدكتور الباشا
- ١٠٩ - شهادة د. عالية صالح
- ١١٠ - الآثار الأدبية والنقدية والعلمية للدكتور عبدالرحمن الباشا
- ١١٨ - شهادة بيان عبدالرحمن الباشا
- ١١٩ - د. الباشا.. أدى رسالته العلمية
- ١٢٠ - الباشا ناثرا (رسالة جامعية)
- ١٢٢ - الباشا وأدب الدعوة الإسلامية
- ١٢٤ - غربة ودعوة (شعر)
- ١٢٧ - دعة من القلب (شعر)
- ١٢٨ - لهفي على زين الشباب وشيخهم (شعر)
- ١٣٠ - يا رب عونك (شعر)
- ١٣٢ - أفل البدر (شعر)
- ١٣٣ ❖ بريد الأدب الإسلامي
- ١٣٤ - ندوة عبدالرحمن الباشا
- ١٣٧ - شكر.. وتنويه.. واعتذار
- ١٣٨ ❖ أخبار الأدب الإسلامي
- ❖ المورقة الأخيرة
- ١٤٨ - كلمة وفاء



الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

هيرة ذاتية أدبية عالمية

ولد الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في (١٧/٩/١٣٣٨هـ، الموافق ٤/٦/١٩٢٠م) في بلدة أريحا شمال سورية، وتجرع اليتيم وهو لا يزال برعما في شهره الرابع، ونشأ في كنف جده خطيب البلدة ومعلمها؛ فملاّت مسامعه آيات القرآن الكريم مذكّان بالمهد... فسالت الفصحى على لسانه وهو يحبوا إلى الدنيا، فما جرت العامية على فمه أبداً.

«قصته مع النحو:

لقد علمه جده مبادئ النحو وهو في الخامسة من عمره، وكان الجد فخورا بنباهة حفيده ونجابته... فكان يفاخر به أمام أقرانه بذكاائه وفطنته.



يمان عبد الرحمن الباشا - سورية



مني أن أسقيه شربة ماء؛ فلما هممت أن أفعل كسرت الإناء وكان ثميناً؛ فكانت تلك الثالثة الأثائية. وانصرف الشيخ إلى حديثه وهو لا يعلم أي أمر اجترح حين فاجأني بالسؤال من غير مقدمات... وحين كلفني ما لا أطيق...

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا قصته مع النحو في كتابه فن الامتحانات بين الطالب والمعلم، قال:

«كنت أحيو نحو السادسة من عمري على ما أعتقد، وكنت أحييا في كنف جد من أهل العلم، فكان -طيب الله ثراه- يأخذني بالتعليم والتثقيف أنا فأنا، وكان مما علمنيه شيء من مبادئ النحو؛ ظن لحبه لي ولصغر سني أنها كثيرة علي، وظننت لجهلي وقلة خبرتي أنها غاية.

وانطلق بي ذات ليلة إلى دار كبير أسرتنا وعالم البلدة وشيخها وهو رجل مهيب الحضرة، سديد السطوة، حاد المزاج، توقره الخاصة، وترهبه العامة... وكان قاضي البلدة ومفتيها، وحلال خصومتها؛ يوم كان الناس إذا تنازعوا في أمر ردوه إلى الله ورسوله. وجعل الرجلان يتجادبان أطراف الحديث، وجعلت أتلهى بما في البيت من أثاث، فقال جدي للشيخ: هذا ولدك عبد الرحمن قد أتقن القراءة وأصبح جيداً في النحو... ثم أطراني بعض الإطراء...

فالتفت إلي الشيخ، وقال لي من غير مقدمات: أعرب قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين...

فنزل طلبه علي نزول الصاعقة، ونظرت إليه ساهما واجما، فما كنت أظن أن القرآن يعرب، وما كنت أعرف من الإعراب إلا تلك الأمثلة المتداولة، ولما وجدني لا أجيب؛ أردف يسألني:

الحمد: أي اسم أم فعل؟

فلم أجب بحرف واحد، فالأفعال معروفة لدي، والأسماء عندي هي زيد، وخالد، وكتاب، ونحوها مما يدل على مسميات محسوسة... أما الحمد هذه؛ فما وردت لي على بال قبل اليوم؛ فما هي عندي بفعل، ولا هي اسم أيضا.

ورماني الرجل بنظرة قاسية، ثم ما لبث أن طلب



ولا يدري أي عقدة يمكن أن يصنع بي حين جعل السؤال أكبر من المسؤول، وحكم على الإنسان كله من خلال جزئية صغيرة.

وما كنت أعلم يومها أنني سأكون على مدى الحياة معلما ومتعلما... وأنتي سأبقى على الدوام ممتحنا أو ممتحنًا، وأنه سيوكل إلي في يوم من الأيام الإشراف على إعداد أسئلة الامتحانات العامة في بلادي بضع سنين...

وأشهد الله أنني ما وضعت سؤالاً في امتحان، أو نظرت في سؤال وضعه غيري؛ إلا قفزت في ذهني صورة الامتحان الأول، وحرصت على أن أوائم بين الامتحان والممتحن؛ حتى لا أرهق الآخرين كما أرهقت، ولا أكلفهم فوق ما يطيقون كما كلفت، ولا أحكم عليهم حكما جائرا كما حكمت علي.

«تعليمه العام والمتخصص»

تلقى الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا دراسته الابتدائية في بلدته أريحا؛ بعد أن تعهده جده -طيب الله ثراه- بالتعليم والتثقيف، ثم تخرج في المدرسة الخسروية بحلب، وهي أقدم مدرسة شرعية رسمية في سورية... أما دراسته الجامعية فتلقاها في القاهرة؛ حيث نال الشهادة العالية لكلية أصول الدين في الأزهر المعمور (١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م)، وشهادة الليسانس أيضا في الأدب العربي من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م)، ثم شهادة الماجستير (١٣٨٥/٧/٢٤هـ، الموافق ١٩٦٥/١١/١٧م)، والدكتوراه (١٣٨٨/٦/١٩هـ، الموافق ١٩٦٨/٩/١٢م) من هذه الجامعة التي أطلق عليها فيما بعد اسم جامعة القاهرة.

«عمله في التربية والتعليم»

اشتغل -رحمه الله- مدرسا للغة العربية في ثانويات حلب، ثم مفتشا للغة العربية في وزارة التربية والتعليم، ثم رئيسا لمفتشي اللغة العربية في سورية، ثم مديرا لدار

الكتب الظاهرية المنبثقة عن المجمع العلمي العربي في دمشق، وأستاذا محاضرا في كلية الآداب في جامعة دمشق. وقد عهد إليه خلال عمله في سوريا بتأليف كتب النحو والقراءة للمرحلتين الإعدادية والثانوية. وشارك في وضع مناهج التعليم أيام الوحدة بين سورية ومصر، كما أن روايته التاريخية «أرض البطولات» كانت مقررة في الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨-١٩٦١م، سنوات الوحدة بين سورية ومصر).

«في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية»

ثم يمم وجهه شطر المملكة العربية السعودية سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م بعد أن ضاق به المقام، ونبا به المنزل



دار الكتب الظاهرية بدمشق



المدرسة الخسروية بحلب



جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض

في سورية، وعمل مدرسا في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «الرئاسة العامة للكلية والمعاهد العلمية سابقا»؛ وقد شغل منصب رئيس قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، وكان عضوا في المجلس العلمي في الجامعة منذ أن وجد، وعهد إليه بلجنة البحث والنشر في الجامعة ذاتها، ولقد أسهم -رحمه الله- إسهاما كبيرا في تطوير مناهج الدراسة في المملكة العربية السعودية، وقامت وزارة المعارف بوضع كتابيه صور من حياة الصحابة وصور من حياة التابعين ضمن مقررات المرحلتين المتوسطة والثانوية، كما عهد إليه بتأليف كتب النحو للمعاهد العلمية، وإقرار مادة البحوث في كلية اللغة العربية التي امتد عمله بها إلى اثنين وعشرين عاما.

«شجاعته وجهاده ضد المستعمر الفرنسي»

لقد عاصر الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا -رحمه الله- زمن الاحتلال العسكري للعالم العربي... ففي يفاعته كان القطر السوري يرزح تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وكان الشعب العربي في سورية يناضل نضالا مرا قاسيا للظفر بحريته واستنقاذ وطنه، وكانت فرنسا تتكل بأحرار البلاد، وتدفع بزعماء الأمة ومثقفها وشبابها وطلابها إلى أعماق السجون، أو تنفيهم بعيدا عن الوطن.

وكان له مواقف ضد هذا المستعمر؛ كانت بدايتها عندما وافقت الحكومة الفرنسية على عودة الزعيم المجاهد سعد الله الجابري من منفاه؛ بعد أن أخذت العهد بأن لا يحركوا ساكنا، وأن يكون استقبال المجاهد على أضييق نطاق...

فكان -رحمه الله- من الذين أسهموا في تحويل هذه المناسبة إلى شرارة تذكي لهيب الجهاد ضد المستعمر، فعملوا على تسريب الجموع من الحواري والأزقة المتفرعة واحدا أثر آخر؛ لتصب في الساحة التي تطل

عليها شرفة المجاهد سعد الله الجابري في مدينة حلب، فاجتمع فيها حشد غفير متماسك؛ فعملت السلطات الفرنسية على منعهم من التكلم أو التهاتف... فما كان من الفتى عبد الرحمن إلا أن طلب من رفاقه أن يرفعوه على الأكتاف، وأطلق لصوته العنان ينشد بيتين من شعر علي بن الجهم:

قالت: حبست، فقلت: ليس بضائري

حبسي، وأي مهند لا يغمدُ

والحبس ما لم تغشه لدنية

شنعاء نعم المنزل المتوردُ

وارتجل كلمة شحذت همم الجمع، وألهبت الحماسة فيهم، وما إن انتهى من خطبته حتى غاص بين الجموع، فضاع في خضم هذا الجمهور الغفير.



«دفاعه عن لغة القرآن الكريم»

لقد أمضى الدكتور عبد الرحمن حياته العملية منذ بدايتها مكافحا ومنافحا عن لغة القرآن... داعيا إلى فن أدبي لا يكتفي بجمال التعبير وإبداع التصوير؛ وإنما يشترط فيه أن يكون ممتعا هادفا نافعا في وقت معا... فن أدبي إسلامي يلتزم أمام إله متصف بصفات الكمال كلها، منزّه عن صفات النقص جميعها... ويكون بسماته هذه مغaira للتيارات الأدبية الأخرى التي تلتزم أمام النفوس البشرية الأمانة بالسوء.

«عمله في التأسيس للدعوة إلى الأدب الإسلامي»

ومع أنه -رحمه الله- لم يكن هو أول من دعا إلى إيجاد هذا الأدب، فقد سبقه إلى ذلك كثير من المفكرين، وهو -رحمه الله- يعترف بذلك ويقر بالفضل لأهله... لكنه استطاع أن يجعل أمانتي أولئك العلماء حقيقة واقعة...

فقد سعى -رحمه الله- لإيجاد عمل موسوعي يخدم الأدب الإسلامي، ويكون له بمثابة الخلفية التاريخية، والقاعدة الصلبة التي ينهض عليها بناؤه؛ ليساعد الدارسين في معرفة هذا الأدب، ودراسة خصائصه، ورصد موضوعاته... ومن هنا ظهرت فكرة موسوعة أدب الدعوة الإسلامية التي تبنتها كلية اللغة العربية بالرياض، وأشرف عليها بنفسه -رحمه الله- حيث كانت نتاج مادة البحث لطلبة السنة النهائية بكلية اللغة العربية، وصدر منها ستة أسفار:

- ١- شعر الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين. إعداد عبد الله حامد الحامد ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- ٢- شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي. إعداد عبد العزيز محمد الزير، ومحمد بن عبد الله الأطرم ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

وقد شاع هذان البيتان بعد ذلك بين الناس، وأصبحا أحد الشعارات التي رفعها المجاهدون في وجه فرنسا وسجونها الرهيبة.

وقد نوه عن ذلك في مقدمة كتابه: علي بن الجهم حياته وشعره، والذي نشرته في طبعته الأولى دار المعارف في مصر حيث يقول:

ودفعني البيتان وما أشاعا حولهما من جو عبق بطيوب الرجولة والبطولة إلى البحث عن قائلها والاستزادة من شعره... وكنت كلما أوغلت فيه ازداد إعجابي بالشاعر، وعجبي من أن يبقى مغمورا طوال هذه القرون مع أنه عاش في عصر أمتنا الذهبي...

ودارت السنون دورتها؛ وعنّي لي أن أتقدم إلى جامعة القاهرة برسالة جامعية، وكان علي أن أختار موضوعا لبحثي؛ فعاودني الشوق القديم، ولم أجد شخصية أحظى عندي، ولا أقرب إلى نفسي من شخصية علي بن الجهم، فاتخذت من حياته وشعره موضوعا للرسالة.



إلهامها مع الأستاذ صاحب العبار ورئيس سورية الأسبق ناظم القدسي



إلهامها في ندوة اللغة العربية بماليزيا

ولقد كان لصدور هذه الأسفار من الموسوعة أثر ملموس في تغير بعض المسلمات الأدبية الخاطئة عن الشعر الإسلامي، ولا سيما في عصر النبوة والخلفاء الراشدين...

فلقد كتبت الدكتور عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ مقالا نشر بالأهرام في عدد يوم الجمعة الواقع في (٢٠/٧/١٣٩٥هـ)، الموافق (١١/٧/١٩٧٥م) بعنوان: الإسلام والشعر والمستوى الفني لشعر الصحابة، وذلك بمناسبة الرسالة التي أعدها تحت إشرافها الأستاذ محمد الراوندي المحاضر بدار الحديث الحسنية بالرباط بعنوان: الصحابة الشعراء، حيث نقلت فيها فقرًا من مقدمة الجزء الأول من موسوعة أدب الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وقررت أن الجهود الجدية قلبت المسلمات الأدبية السابقة قلبًا؛ إذ كان الدارسون -وهي منهم- يقيمون أحكامهم على حصر شعراء الدعوة بما لا يزيد عن أصابع اليدين عددًا.

كما كان لهذه الأسفار أثر في

إعداد الدراسات الجامعية حول هذا الأدب، حيث سجلت في جامعات الأزهر، والقاهرة، وبغداد، والرباط طائفة من البحوث حول هذا الأدب لنيل درجة الماجستير والدكتوراه. وذلك بعد أن غدا هذا الأدب مجموعًا موضوعًا بين أيدي الدارسين.

٣- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول. إعداد عبد الله عبد الرحمن الجعفي ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٤- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني. إعداد عائض بنية الرادي ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

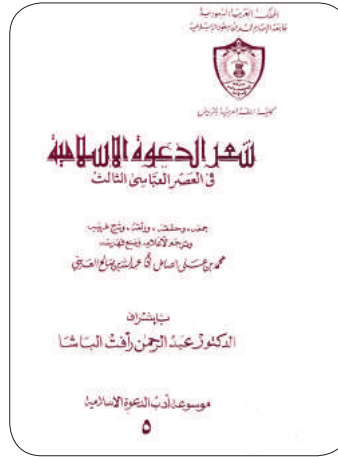
٥- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث. إعداد محمد بن علي الصامل، وعبد الله بن صالح العريني ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

هذا في مجال الشعر، أما في مجال النثر، فقد صدرت القصص الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين في مجلدين اثنين كبيرين؛ أربى عدد صفحاتهما على الألف. إعداد: أحمد بن حافظ الحكمي ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

وقد حظيت هذه الأسفار الستة التي صدرت من هذه الموسوعة بإعجاب وتقدير كثير من الأدباء والمفكرين في أرجاء العالم الإسلامي.

«أثر موسوعة أدب الدعوة الإسلامية في الأدباء والمفكرين»

ولم يكن غريبًا أن تلقى تلك الأسفار من موسوعة أدب الدعوة الإسلامية ما لقيته من حفاوة؛ ذلك لأنها سدت ثغرة كبيرة في حياتنا الأدبية ظلت تنتظر من يسدها أمدًا طويلاً، وقدمت للقراء والباحثين آثارًا ظلوا يفتقدونها ويرجونها زمنًا بعيدًا.





الإسلامي أن تقف على أرض صلبة قوية، وأنشئ على أثرها أول قسم خاص بها في العالم الإسلامي. وقد نوه عن ذلك الأستاذ محمد حسن بريغش حيث قال: لقد كان في عمله هذا واسع النظرة، قوي الخطوة، صادق العزيمة، لأنه يؤمن -كما قال في كتابه نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: إنها مسؤولية كبرى يلقيها الإسلام على عاتق الأدباء، وإشارة ضخمة إلى مهمة الأديب الإسلامي في بناء المجتمع؛ فأسلات الأقلام في هذا الدين كشفرات السيوف...

وكل أديب يستحق هذا اللقب بجدارة يقف على ثغر من ثغور الإسلام.

فإذا عرفنا أن الإسلام والمسلمين في معركة دائمة، وأن على كل مسلم نصيبه من الجهاد والبناء، أدركنا قيمة الأدب في حياة المسلمين، وأهميته في بناء المجتمع المسلم... وعلى هذا فليس الأدب نافذة في الحياة، وإنما هو عنصر من عناصرها الأصيلة الثابتة، وليس الأدباء بسكان الأبراج العاجية، وإنما هم حملة السلاح في المعركة.

«شهادة أبي الحسن الندوي في الباشا»

وقد عبر عن ذلك سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي في التقديم الذي كتبه لكتاب نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد -في طبعته الجديدة التي أصدرتها دار الأدب الإسلامي بعد وفاة المؤلف - رحمه الله- حيث قال:

«إن هذا الكتاب، يرشد إلى الطريق الذي يجب أن يسير عليه الأدباء الإسلاميون، وهو مجهود أساسي، وقد صدرت بعد ذلك كتب وستصدر كتب أخرى، ولكن فضل المتقدم والمبدع في الأدب فضل لا ينسى». كما أشار سماحته إلى أن الدكتور عبد الرحمن: «كان ممن يتصف بالعمل والتطبيق، فلم يستجب

وكانت أمنيته -رحمه الله- أن تجند الجهود لاستكمال هذه الموسوعة لتشمل جميع العصور والفنون، وهو عمل جليل كبير يحتاج إلى من يكمله.

«الأدب اليتيم»

هذا، وقد عمل الدكتور الباشا -رحمه الله- على توسيع نطاق التعريف بهذا (الأدب اليتيم) كما كان يطلق عليه في بعض المناسبات، وذلك من خلال برنامج إذاعي سجلت حلقاته الأولى في شهر ربيع الآخر عام (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) وبثته إذاعة الرياض، وقد أربى عدد حلقاته على (٢٤٠) حلقة



في مشعره بصباحي الرياض :
الشيخ أبي خديج الهاشمي المصباحي

تحت اسم: مع أدب الدعوة الإسلامية.

«عمله في تأسيس قسم منهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام»

وقد قام -رحمه الله- بعمل غير مسبوق، رسم فيه حسب القواعد العلمية الحديثة منهجا إسلاميا متكامل الأركان في الأدب والنقد، وعمل على إرساء قواعده، وتبنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هذه الفكرة الرائدة، وأوسعت لها في المحاضرات الجامعية... حتى قيض لمادة منهج الأدب

بدء ما أطلق عليه موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، وتمثلت في أعمال ستة موثقة، قام بها كوكبة من شباب كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خرجت إلى الناس مع نهاية القرن الهجري المنصرم في ثوب قشيب بعد متابعة دقيقة وحرص شديد.

وقد فعل الرجل ما فعل دون جلبه أو ضوضاء أو جلجلة إعلانية، فكنا نرى طحنا وفيرا دون أن نسمع جعجة صارخة مما تعودها الناس... فالرجل مع ذلاقة لسانه لم يكن ثرثارا في كل ناد يخطب، وهو



في مطار كواكير لحضور إحدى الندوات

مع فصيح بيانه لم يكن من هواة النجومية، وإنما هو عالم بضاعته العلم، وسوقه الرائجة هناك بين مقاعد الدرس وقاعات الجامعة، شأن الذين ينكرون أنفسهم عن اقتناع وقناعة؛ لأنهم يدركون حجم رسالتهم، وخطورة قضيتهم، وجلال عملهم الذي هم به منشغلون.

ومن ثم فلم يترك الباشا مؤلفات يتسابق بها كما وعددا؛ وإنما أنفق معظم وقته وجهده في التوجيه والإشراف والريادة فأعطى لغيره ما حرم منه نفسه،

لهذه الفكرة استجابة فكرية فحسب، بل سبق إلى تنفيذها وتجسيدها خلال تدريسه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وإشرافه على البحوث الأدبية... ثم تطورت آماله عندما أسهم في تأسيس رابطة تعنى بهذا الموضوع...».

«عمل الباشا في التأسيس لرابطة الأدب الإسلامي»

لقد مر إنشاء هذه المنظمة التي دعيت (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) بمراحل عديدة؛ كان أهمها ذلك الاجتماع الذي عقد في منزل الدكتور الباشا في مدينة الرياض عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، والذي ضم لفيضا من العلماء؛ في طليعتهم سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي، وفي هذا الاجتماع تم تكوين هيئة تأسيسية لهذه الرابطة، ووضعت فيه الخطوط العريضة لعقد ندوة عالمية؛ تلم شعث الأدباء في مشرق العالم الإسلامي ومغربه... وهو موضوع شغل بال الدكتور الباشا -رحمه الله- منذ أمد طويل.

ثم كانت الندوة العالمية للأدب الإسلامي في لكنو في شهر ربيع الآخر عام ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، حيث دعي إلى هذه الندوة عدد كبير من الأدباء الإسلاميين، وقد اختير سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيسا للرابطة؛ كما اختير الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا نائبا لرئيسها، وعضوا في مجلس الأمناء، ورئيسا لمكتب البلاد العربية...

وشارك -الدكتور الباشا- أيضا في العديد من الندوات والمؤتمرات، وناقش وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

«تلامذة الباشا يتبعون أثره»

وقد أسهم تلامذة الباشا في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية -اتباعا للمنهج الذي رسم، والخطة التي وضع، والتوجيه السديد لخطواتهم- في



شقيق الروح..

— أم اليمان - زوجة الفقيد —

كيف يهنأ لي العيش
وقد مضى نصفى إلى القبر؟
كيف أسلو شقيق الروح
وقد قضيت معه جل العمر؟
كيف أنسى الحنان والعطف
وقد لفني ما دام حيا وغمر؟
بالجود والإكرام والخلق الرفيع
وكل من عاشه قد أسر.
رحمك ربي ما عدت أرى
في الحياة إلا الهم والكدر!
قالوا: لقد انقضت العدة
ولم يبق منها إلا النذر،
ترى هل يعود سويداء القلب
بعد أربعة وعشر؟
ماذا بعد العدة صواحيبي
غير الوحدة والوحشة والقهر؟
فإن انقضت عدتي
فإنني في عدة أبد الدهر!
فكل من حولي إما يعيش آماله أو
لأمانيه الواسعة ينتظر.
وأما أنا فلم يبق لي غير الذكرى،
وأما أمني فقد بتر!

ومهد لتلامذته ودفع بهم إلى مقدمة الصفوف، وهذا شأن عظماء النفوس.

يبقى المخططون والمنظرون لمناهج الأدب الإسلامي على ذلك مدينين لما أنفقه الدكتور الباشا من وقت وجهد، وما بذله من إخلاص وصدق في سبيل دعم هذا الاتجاه النبيل.

«من آثاره التي طبعت في حياته:

أرض البطولات قصة تاريخية، الراية الثالثة رواية تاريخية، علي بن الجهم حياته وشعره، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الصيد عند العرب أدواته وطرقه - حيوانه الصائد والمصيد، صور من حياة الصحابة في سبعة أجزاء، صور من حياة التابعين في ستة أجزاء، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد.

«أما آثاره التي طبعت بعد وفاته فهي:

البطولة، حدث في رمضان، الدين القيم، صور من حياة الصحابييات، العدوان على العربية عدوان على الإسلام، فن الامتحانات بين الطالب والمعلم، فن الدراسة، الطريق إلى الأندلس لمحات وقطوف، صور من حياة الصحابة في ستة أجزاء جديدة تنشر للمرة الأولى جمعت في مجلد واحد (*).

«وله تحت الطبع:

شعر الدعوة في العصر النبوي، لغة المستقبل، الدوحة المباركة، أصداء الحج في الأدب، فن القراءة.
كما أن هناك عددا من الكتب الأخرى تحت التنفيذ، نرجو الله عز وجل أن يعيننا على إصدارها.

توفي -رحمه الله- في يوم الجمعة (١٢/١١/١٤٠٦هـ، الموافق ١٨/٧/١٩٨٦م) إثر مرض عضال في مدينة إسطنبول بتركيا، ودفن جثمانه بمقبرة الفاتح هناك؛ حيث يرقد كثير من الصحابة والتابعين الذين أحبهم في حياته، وجاورهم في مدفته.
سائلين العليقدير أن يصحبهم في جنات الخلد أيضا ■

(*) عرض عدد من الكتاب في هذا العدد الخاص بالتفصيل لبعض هذه الكتب، وجري عرض موجز لبعضها الآخر في بحث: الآثار الأدبية والعلمية للدكتور الباشا.

(التحرير)

الدكتور الباشا كما عرفته



ربما كنت في التاسعة أو العاشرة من العمر عندما تسقلت سورا مسيجا بالحديد المخرم في بناية الحاج وهبي الحريري التي كانت تقع في ضاحية حلب شمال الملعب البلدي وخلف خط القطار.

وكان الذي دفعني إلى ذلك مع ثلة من أقراني أننا كنا نسمع من خلف السياج أصوات الخطباء المتتابعين في حلقة انتخابية للدعاية للزعيم سعد الله الجابري وقائمه.

وكان الذي شدني ذلك الصوت الجمهوري وهو ينشد أبياتا استلها من شعر الخنساء مغيرا فيها اسم أخيها صخر إلى ممدوحه سعد الله الجابري، إذ كان ذلك الخطيب ينشد:

وان «سعداً» لهادينا وسيدنا

وان «سعداً» إذا نشتو لنحار

وان «سعداً» لتأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

وقد علمت بعد ذلك بزمان غير قليل أن ذلك

ضيق ذات يده، وطلب من الجابري أن يُرسل في بعثة إلى القاهرة ليتم دراسته في الأزهر الشريف.

وما إن تم للشاب ما يريد حتى دفعه طموحه إلى أن ينتسب إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة إضافة إلى دراسته في الأزهر الشريف.

وعاد الأستاذ الباشا إلى بلده ليعمل مدرسا في ثانويات حلب، وكانت المدارس الخاصة تتنافس في التعاقد معه، وكان يرهق نفسه في التدريس، حيث أتيح لي أن أتعرف عليه، وأن تتوثق صلتى به، وأن يطوق عنقي بموقف لا ينسى، وذلك أن الأستاذ الباشا نقل إلى دمشق مفتشا للغة العربية، وكنت مدرسا



د. عبد القدوس أبو صالح

الخطيب هو عبد الرحمن الباشا الذي كان آنذاك طالبا في الثانوية الشرعية (الخنسوية) في حلب.

وعندما نجحت قائمة سعد الله الجابري أتى بذلك الطالب ليكافئه على جهوده، وعرض عليه أن يعينه في وظيفة مناسبة، ولكن ذلك الشاب الأملعي لم يفرح بما عرض عليه رغم



ولم يعلق المفتش الباشا بأي كلمة، بل مضى يقرر الدرس عن البحري بصورة لم يعرف الطلاب مثلها، حتى إذا انتهى الباشا من إلقائه الدرس صفَّق الطلاب كلهم إعجابا بما لم يروا مثله. وخرج المفتش الباشا من الدرس ليكتب تقريرا عما بدر من الأستاذ الذي نال من الوزارة العقوبة الفورية لتصرفه الأرعن.

وتغيرت الأوضاع السياسية في سورية، وصدر قرار تعسفي بنقل الباشا من التفتيش ليكون مديرا للمكتبة الظاهرية في دمشق؛ حيث لم يطل مكوثه فيها، مؤثرا أن ينتقل إلى الرياض أستاذا في

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وكان الباشا بحق أنجح الأساتذة في كلية اللغة العربية، ولما قام الملك فيصل -رحمه الله- بزيارة الكليات كان يدخل إلى عدد من الصفوف يستمع فيها دقائق معدودة لبعض الأساتذة الذين اختارتهم عمادة الكليات. ولما دخل الملك فيصل إلى الفصل الذي كان الباشا يدرس فيه مكث يستمع إلى هذا الأستاذ القدير حتى قرع جرس الكلية مؤذنا بانتهاء المحاضرة!

وما هي إلا سنوات حتى أصبحت الكليات والمعاهد العلمية جامعة باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، واختير الأستاذ

الباشا رئيسا لقسم البلاغة والنقد، ثم ما لبث أن تقدم إلى لجنة المجلس العلمي باقتراح أن تقرر مادة الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية، وكان من التوافق العجيب أني تقدمت في الفترة ذاتها بمثل هذا الاقتراح إلى لجنة المجلس العلمي التي كنت أحد أعضائها.

وقد درست هذه اللجنة الاقتراحين معا، وأصدرت قرارا بتدريس مادة الأدب الإسلامي، ورفع الأمر إلى

في ثانوية المأمون بحلب، ولم تكن صلتني بمديرها آنذاك صلة جيدة، وكنت أدرّس في الصفوف النهائية للطلاب بفرعها الأدبي والعلمي، ولما أعلنت نتائج الثانوية العامة لم يرسب أحد من طلابي في الفرع الأدبي، ومع ذلك فإن المدير الذي أوكل إليه توزيع ساعات التدريس في مطلع العام الدراسي أنزلني من الصفوف النهائية نكابة وتشفيا، وما كان مني إلا أن رفعت كتاب تظلم إلى وزارة المعارف التي ما لبثت أن أعادتني إلى التدريس في الصفوف النهائية، وكان



الفضل في ذلك للدكتور الباشا وإنصافه.

ومن الحوادث التي تدل على شخصية الأستاذ الباشا وسعة ثقافته ومهارة تصرفه أنه دخل على زميل له قديم قياما بواجب التفتيش، ولكن الأستاذ كَبُر عليه أن يدخل عليه الباشا مفتشا؛ فما كان منه إلا أن قال للطلاب متحديا ومستهزئا: إنني أترك لسعادة المفتش أن يلقي عليكم الدرس اليوم، وهو عن الشاعر البحري،

وقد تنافست بعض دور النشر في لبنان في طباعة هذا الكتاب مع ما تبعه من (صور من حياة التابعين)، ثم قام يمان وهو الابن الأكبر للدكتور الباشا بإنشاء دار الأدب الإسلامي في القاهرة لتقوم بنشر كتب والده الكثيرة.

وأما موقع الدكتور الباشا من قيام رابطة الأدب الإسلامي العالمية، فقد كان من أجل ما قام به، وقد حضر مؤتمرا عن الأدب الإسلامي في الهند قبل قيام الرابطة، إذ كان سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي وجه دعوة لعدد كبير من الشخصيات والأدباء لحضور هذا المؤتمر الذي عقد في مدينة لكنو في الهند، في شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٠٢هـ، الموافق لشهر نيسان/أبريل ١٩٨١م.

وقد عهد إلى الدكتور الباشا أن ينسق الكلمات التي قدمت إلى هذا المؤتمر الذي لم توافق جامعة الإمام على حضوره فيه، وشكا إلي بعد عودته أن أكثر المشاركين لم يكونوا يعرفون ما هو المراد من مفهوم الأدب الإسلامي فكتبوا عن الأخلاق بمعناها الواسع.

وكانت رفقة من الأصدقاء تضم كلا من الدكتور محمد علي الهاشمي، والدكتور عبد الباسط بدر، والأستاذ محمد حسن بريغش، والدكتور حيدر الغدير، والدكتور أحمد البراء الأميري، والدكتور محمد اجتباء الندوي يلتقون في الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض، واستقر رأيهم على زيارة الدكتور الباشا ليكون رئيسا لهذه اللجنة، ولما قبل ذلك اتفق الجميع على أن نعرض منصب رئيس الرابطة على سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله - وهو الذي

مدير الجامعة الذي أصدر قرارا بتغيير مسمى قسم البلاغة والنقد إلى قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، وكان الباشا رئيسا لهذا القسم، وكان أول من درس مادة الأدب الإسلامي، وأصدر أول كتاب فيها.

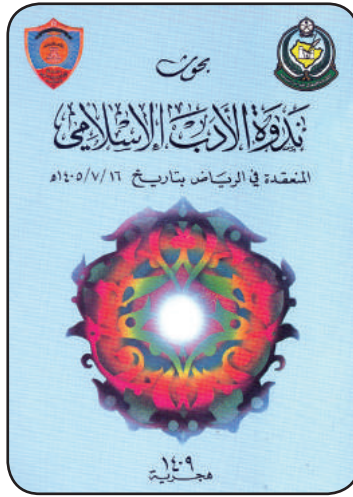
وليس أدل على حصافة الأستاذ الباشا وحسن تأتبه للأمور أنه تقدم بكتابه لطبع باسم الجامعة بمناسبة عقد ندوة الأدب الإسلامي فيها، وقد أحال عميد الكلية إلي هذا الكتاب، وكتبت عنه تقريرا ضافيا. ولما استلم الأستاذ الباشا التقرير المطول كتب عبارة موجزة جدا يقول فيها: إنه سوف يأخذ

بالملاحظات التي يتضمنها التقرير. ولكنه لم يفعل ذلك، وصدر الكتاب ضمن منشورات الندوة المذكورة، دون أن يأخذ بما جاء في التقرير.

وما من شك في أن كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لم تشهد أستاذا مثل الباشا الذي تحدثنا عن إعجاب الملك فيصل به. وكان طلابه شديدي الإعجاب والتعلق به، وقد اختار بعض المتفوقين

منهم ليصدروا تحت إشرافه موسوعة أدب الدعوة الإسلامية التي بادرت الجامعة إلى طباعة أجزاء كثيرة منها. على أن أشهر ما ألفه الباشا تلك السلسلة الرائعة باسم (صور من حياة الصحابة).

وقد بدأ هذا الكتاب في برنامج إذاعي بالرياض، وما زالت إذاعة الرياض تعيد إذاعته، ثم ما لبثت وزارة المعارف ورئاسة تعليم البنات في السعودية أن قررت هذا الكتاب في المدارس الرسمية في المرحلة المتوسطة للبنين والبنات، وتبعتها في ذلك بعض دول الخليج.





أدت النوبة الأولى التي أصابته إلى شلل كامل وعجز عن النطق، وقد زرته في المستشفى التخصصي الذي أدخل فيه، وكان معه ابنه الثاني رضوان، وقد أبكاني عندما أشار إلى ابنه بأصبعيه بما يفيد أن يعتبرني مثله إذا أدركته الوفاة، ولكن الله سلم، وانتهى الأمر إلى شلل نصفي، مع استعادة النطق، ولم يعجزه ذلك بعد استقرار مرضه عن العودة إلى التدريس، وعضويته في المجلس العلمي للجامعة، عن متابعة عمله نائباً لرئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيساً لمكتب البلاد العربية.

وكان الدكتور الباشا -رحمه الله، مع أسرته حريصين على إمضاء العطلة الصيفية معي ومع أسرتي، وقد سافرنا أكثر من مرة إلى مزارع إستانبول، وسافرنا مرة من إستانبول إلى مصيف على ضفاف بحيرة كومو في إيطاليا.

وفي المرة الأخيرة كنت مع أسرتي في قرية ترابيا على ضفاف البوسفور في إستانبول فاتصل بي الدكتور الباشا من الرياض طالباً مني استئجار بيت قريب من البيت الذي كنت فيه، ثم ما لبث أن جاء مع زوجته وولده رضوان، حتى إذا قام لبعض شؤونهم في الليل تعثر في عتبة الباب، وأصيب برضوض

شديدة رافقتها نوبة قلبية مما دفع ابنه إلى نقله إلى المستشفى، ولكنه لفظ أنفاسه في الطريق.

وقد شاء الله -سبحانه- أن يدفن الدكتور الباشا في المقبرة التي كانت في جوار حصن إستانبول، وما إن وصل الخبر إلى الرياض حتى قام إخوانه ومحبه وتلامذته الأوفياء برثائه في قصائد صادقة المشاعر، ومقالات في قمة التقدير والوفاء.

اللهم ارحم تلك النفس الزكية الكريمة! ■

كان رجل دعوة وفكر وأدب مع ما يتمتع به من شهرة عالمية.

وانتدبني اللجنة مع الدكتور عبد الباسط لمقابلة الشيخ أبي الحسن في مجيئه إلى مكة المكرمة. وقد تكرم الشيخ الجليل بقبول رئاسة الرابطة، وتم الاتفاق على دعوة الأدباء الإسلاميين في العالم العربي والإسلامي للقاء في كنو في شهر ربيع الآخر من عام ١٤٠٦هـ، الموافق لشهر كانون الثاني/يناير ١٩٨٦م، وهو اللقاء الذي لم يتم للدكتور الباشا



الشيخ الندوي يتوسطه ده هيدالندوس والبراء الأميري

حضوره بسبب مرضه. وفي هذا اللقاء تم اختيار الباشا نائباً لرئيس الرابطة، ورئيساً لمكتب البلاد العربية فيها. ولما عرض القرار على الدكتور الباشا أراد الاعتذار عن عدم قبوله لصعوبة السفر لتفقد مكاتب الرابطة، وتطوعت أن أسافر بدلا عنه عندما تدعو الحاجة.

أما مرض الدكتور الباشا ووفاته، فقد كانا بسبب ما أصابه من مرض السكر والضغط المرتفع، وقد

د. الباشا. الراحل الذي دون تاريخ الأخيار (*)

ولقد كان - رحمه الله - الأستاذ الوحيد الذي لا يتأخر أي من الطلاب عن محاضراته، حيث يتجمع الطلاب في صالة واسعة حينما كنا طلابا في كلية اللغة العربية.

ولا أنسى شوق الطلاب لمحاضراته وحرصهم على الحضور، حتى باتت



كريم السجايا، عف اللسان، إذا تحدث ملك العقول بجمال حديثه، وإذا سئل بهر المشاعر بحسن جوابه. تحدثت معه عبر الهاتف لأهنته بالعيد، فرد التحية بأحسن منها، وسألته أين سيذهب هذا الصيف، ولم تأخر في السفر؟

قال: «سأتوجه إلى تركيا، وأما د. عبد العزيز الثنيان - السعودية دروسه إجازة للمراقبين والمسؤولين عن غياب الطلاب.

وكأنني أرى زملائي وكل واحد منهم مشرب العنق، حاضر الذهن، يسجل ما يتحدث به، ويدون ما يفضي به.

فقد كان ثري المعلومات، يمزج الموضوعات التي يناقشها باستطرادات مفيدة، ومعلومات قيمة، لا تزال عالقة بأذهان الكثير من طلابه، فقد تعلموا منه الكثير، وعرفوا منه كيف يكتبون، وكيف يبحثون، وأرشدتهم لأمّهات الكتب، وحضهم على المنافسة في الكتابة، وأغراهم بالبحث والاطلاع، وظل أكثرهم وكل متخرج من كلية اللغة العربية يحفظ لهذا الأستاذ جميل عمله. ولئن أفضى إلى ربه، فذكره باق، وأثره خالد، وذلك في كتبه التي أثنى بها المكتبة الإسلامية، والتي من أجلها وأنفسها ما كتبه عن الصحابة والتابعين. ثم أدب الدعوة الإسلامية الذي نذر له نفسه، ومنحه مهجته فتماه ورعاه، حتى صار فرعاً له شأن بالكلية، طبعت فيه الكتب، وخصصت له الرسائل، وفرغ له عدد من الباحثين، رحم الله أبا اليمان، وأثابه ■

تأخري فلكل أجل كتاب، ومن كرم الله أنني منذ جئت لبلادكم. وأنا أجد الإكرام والمحبة، وقد بت واحداً منكم، وتلك نعمة كبرى». ثم تشعب الحديث بيني وبينه وكان مسك الختام أن قال لي: إلى اللقاء يا بني... قالها، وما علمنا أن اللقاء سيكون طويلاً كما قال أبو العلاء:

سألت متى اللقاء؟ فقل حتى يقوم الهامدون من الرجام
إي والله! فقد هجمت المنية، وأنشبت أظفارها، وذلك بعد أسبوعين من حديثي معه، وبعد وصوله لتركيا، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت.

ذلكم هو الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - طيب الله ثراه.

لقد كان مربياً فاضلاً، وأستاذاً جليلاً رصين الأسلوب، غزير العلم، حلو الشمائل، كريم السجايا، واسع الأفق، كان طلابه يتدافعون نحو الصفوف الأمامية - وكنت واحداً منهم - أثناء محاضراته، لما تزددان به من غزارة علم، وحسن إلقاء، وجمال أسلوب.

(*) المجلة العربية، صفر ١٤٠٧هـ تشرين الأول أكتوبر ١٩٨٦م.

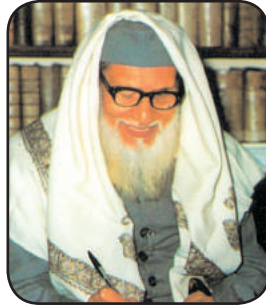


كلمة تقديم

لكتاب نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد

إقامة أدب إسلامي والعناية به، فكان أول الداعين إلى ذلك، وطليلة المنبهين إليه، ثم تلاه شهيد الإسلام والمسلمين سيد قطب فكتب مقالا في هذا الموضوع^(١).

وإن دل هذا الكلام على شيء، فإنما يدل على وحدة الشعور والتجاوب الحسن بين الطرفين، وقد كان الدكتور عبد الرحمن مهن يتصف بالعمل والتطبيق، فلم



الشيخ أبو الحسن الندوي

يستجيب لهذه الفكرة استجابة فكرية فحسب، بل سبق إلى تنفيذها وتجسيدها خلال تدريسه بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، وإشرافه على البحوث الأدبية، فكان يوجه الدارسين إلى هذا الموضوع والكتابة فيه، والبحث عن مواضع الجمال الأدبي من الفكرة الإسلامية، وصدرت بفضل جهوده عدة بحوث ومجموعات من القصص الأدبية^(٢)، ثم تطورت آماله إلى تأسيس رابطة تعنى بهذا الموضوع، وعقد ندوات حول الموضوع، والتف حوله أساتذة وكتاب كان بينهم وبينه انسجام فكري، وتحولت هذه الفكرة إلى منظمة عالمية.

يعد كتاب الدكتور عبد الرحمن الباشا كتابا أساسيا لتفهم مذهب الأدب الإسلامي، وتطوره، وموقفه إزاء الكون والحياة، والإنسان، وبالمقارنة بينه وبين المذاهب الأدبية، التي نشأت في مختلف فترات التاريخ، وكانت تعبيرا عن تجارب الحياة من عهد نشوئها، أو عن ميول أصحابها وطلبتهم، ونشأتهم في بيئات خاصة، وهي تمثل جانباً من الحياة، وفيها إيجابيات وسلبيات، وعندما يمر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين، وبعد :

فقد طلب مني الأخوان الفضلاء محمد يمان، ورضوان عبد الرحمن رأفت الباشا، أن أكتب كلمة لتقديم الطبعة

الجديدة لكتاب «نحو مذهب أدب إسلامي في الأدب والنقد» تأليف والدهما المرحوم الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، لما كانت تقوم بيني وبين الدكتور عبد الرحمن الباشا رحمه الله رحمة واسعة، من صلات وعلاقات مودة ومحبة وتقدير، وما كان يربطنا من وحدة الشعور، والقصور في مجال الأدب الإسلامي والدعوة، ولما كان له من دور رائد في تأسيس «رابطة الأدب الإسلامي» التي أتحمل مسؤولية الإشراف عليها.

ترجع هذه الصلات إلى عهد مبكر، عهد لم تنبت فيه فكرة تأسيس الرابطة، ولم تتبلور فيه فكرة الأدب الإسلامي كنظرية، ومذهب، وقد أشار إليه الدكتور في كتابه: «نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد» فقال : «نحن لسنا بأول من دعا إلى إقامة مذهب إسلامي في الأدب، وإنما اقتفينا آثار طائفة من أعلام المسلمين وأدبائهم الموهوبين، وقد كان أول من كتب في الموضوع ونبه إليه فضيلة العالم العامل الشيخ أبو الحسن الندوي، وذلك حين اختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، حيث قدم بحثاً دعا إلى

وقد كان الكتاب في السابق يعتمدون على ما كتبه الأدباء الغربيون، فنقلوا الأدب من وظيفة التهذيب والتثقيف إلى الإفساد والتخريب، ومن التأثير إلى الإثارة، وجعله نزعة من النزعات الشخصية، أو تصويرا لجانب من الحياة، أو أداة لوصف المغريات أو الموبقات، أو محرثا لشق الأرض، أو مطرقة لتليين الحديد، وانقطعت صلة الأدب عن قلب الإنسان.

إن هذا الكتاب يرشد إلى الطريق الذي يجب أن يسير عليه الأدباء الإسلاميون وهو مجهود أساسي، وقد صدرت بعد ذلك كتب وستصدر كتب أخرى، ولكن فضل المتقدم والمبدع في الأدب فضل لا ينسى، ولا تفقد قيمته مهما تقدم الأدباء والباحثون.

جزى الله عنا الأخ الكريم عبدالرحمن الباشا، وجعل كتابه ذخرا له ونفع به الإسلام والمسلمين.

وليس على الله بعزيز أن يتحول هذا الكتاب إلى مكتبة كاملة للأدب

الإسلامي، بكونه حافزا على إصدارات أدبية كثيرة، وإن تأسيس شركة دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع لنجليه الكريمين وصدر الطبعة الجديدة لهذا الكتاب منه يشكل مؤشرا إلى هذه الغاية المنشودة، والله الموفق وبه المستعان.

يرفع الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ■

الهوامش:

(١) اقرأ بحث: نظرات في الأدب، من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

(٢) سلسلة أدب الدعوة الإسلامية صدرت بعدة مجلدات، وهي بحوث تخرج للطلاب في كلية اللغة العربية التي أشرف عليها الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - وتمت طباعتها ونشرها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

دارس بالمقارنة مع هذه المذاهب، يظهر له المذهب الإسلامي كمذهب إنساني يسير مع الحياة بدون أن تطفئ عليه ميول أو أحداث خاصة، فيحمل الأدب الإسلامي صلاحية الخلود والنماء ومسايرة الحياة أكثر من أي مذهب أدبي آخر، ومما يميزه عن غيره، أنه مذهب رائد ومذهب قيادي، وليس بمذهب تبعي، له منزع خاص.

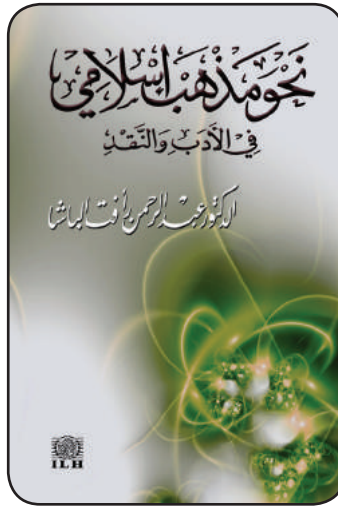
وقد أوضح القرآن الكريم هذا

لصلاحيته للخلود، والبقاء في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾ (إبراهيم).

إن هذه الآية تبين ما هي الكلمة الطيبة، وما هو تأثير هذه الكلمة على القلوب، والنفوس، ومدى بقاء هذا التأثير، وما هو منبع هذه الكلمة، وقد أوضحت أن تأثير هذه الكلمة لا

يتقيد بزمان دون زمان، وبقرن دون قرن، وبيئة دون بيئة، وبفترة زمنية تاريخية دون فترة زمنية تاريخية، بل إنها تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وذلك هو الذي يميز الأدب الإسلامي عن الآداب الأخرى.

وقد بين الدكتور عبدالرحمن الباشا خصائص الأدب الإسلامي بأنه أدب هادف وملتزم بالقيم الإسلامية، وأصيل ومتكامل، ومستقل وفعال ومؤثر، وهي خصائص الأدب الحي البناء، وشرح هذه الخصائص التي تميز الأدب الإسلامي عن غيره من الآداب في كتابه، فأصبح كتابه دليلا لطلاب الأدب الإسلامي، وزادا لرواده، وتزداد أهميته في حين يجري النقاش في الأوساط الأدبية حول تعيين وظيفة الأدب، وشرح كلمة الأدب لغويا واصطلاحيا.





د. عبد الباسط بدر - سورية

وما لبث أن طلع دارسون آخرون نقبوا في دواوين الشعراء قبل نازك وبدر، ووقفوا على قصائد مشابهة يعود بعضها إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، فقلدوها وسام الأسبقية، ومن ثم الريادة. ولا شك أن جهود هؤلاء الراصدين له ما يسوغه عندهم، ولكن النتائج التي وصلوا إليها باعتقادي قاصرة، لا تحسن فهم طبيعة الريادة وشروطها، ولا تنتهي إلى صواب.

فالسبق الزمني على أهميته وقيمه - لا ينشئ وحده الريادة، والريادة سواء في معناها اللغوي أو الاصطلاحي تقتضي السير على أرض جديدة تحفظ خطوات صاحبها، وتجعلها طريقاً معبداً لمن بعده، وتقتضي أن يبصر اللاحقون تلك الخطوات، ويضعوا أقدامهم عليها، مدركين أنهم يقتدون بالرائد، وأنهم ماضون إلى هدف صحيح.

أما مجرد السبق الزمني فقد يكون الكشف فقاعة تظهر ثم تنطفئ، وقد تعفي الرياح أثر الخطوة الأولى، فلا تعرف حتى يكشف عنها الآثاريون، وقد تكون مصادفة أو عبثية لا يدرك صاحبها أبعادها الحقيقية، ولا يدعو إليها الآخرين، ولا يأخذها منه أحد. ولو جئنا نرصد الحالات الفقاعية في أي تراث أدبي أو فني، أو حتى علمي؛ فسنجد على امتداد الزمن ما يصعب حصره.

في موكب الريادة..



عندما بدأ تنظير الشعر المتفلسف من الوزن منتصف القرن الميلادي الماضي؛ اهتم بعض الدارسين برصد ميادينه، وشارك في الرصد شعراء كان لهم دور بارز فيه، أبرزهم شاعران تجاذبا الريادة، هما نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، كل يقرر أن قصيدة له سبقت الآخرين في فك إطار الوزن، وإطلاق العنان للتفعيلات كي تحكم وحدها إيقاع القصيدة.

طلبة متفوقون، درسوا قواعد البحث وأصول التوثيق، يرجعون إليه فيما يجمعونه، ويوثقونه ليسدد خطاهم، ويعمق مراسهم، ويحكم نتائجهم.

وكان هؤلاء هم القافلة الأولى التي تعبر الطريق خلفه، وكان يعرف أن ما سينتجه المشروع، سيكون طريقا معبدا لمن بعدهم، يقدم لهم المادة التي يقيمون عليه دراساتهم، ويستنبطون منها القواعد النقدية للأدب الإسلامي، ويواكبون مستجدات العصر في

دارت بخاطري هذه المعاني وأنا أتأمل الإرث الأدبي الكبير لأستاذنا وأستاذ جمهرة من الأدباء والكتاب وأساتذة الجامعات الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا.

أقول: أستاذي! ولم تضمني مقاعد الدرس الذي كان يتألق فيه، ولكن جمعتني به لقاءات عدة في بيته، وفي بيوت عدد من الأصدقاء بمدينة الرياض، وفي بعض المجالس الثقافية والندوات، ومناقشة عدد قليل من الرسائل الجامعية التي أشرف

عليها، ورأيت فيه ما يعده بحق أستاذا نتعلم منه الكثير، ورائدا من رواد الأدب الإسلامي في عصرنا الحديث، تجتمع فيه صفاتها وشروطها.

فعندما جئت الرياض قبل أربعة عقود تقريبا كان اسمه مدويا بين طلاب كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- وكان ذكره بينهم يحاط بكثير من الهيبة والتقدير. وعندما لقيته أول مرة في مجلس ثقافي رأيت فيه ما أكد الصورة التي يتناقلها طلابه عنه؛ رأيت فيه شموخ جبل الأربعين في أريحا السورية، التي انحدر منها، وصلابة صخوره التي نشزت

عنها أشجار الكرز والزيتون، وعندما تحدث عن مشروعه الذي كان ماضيا فيه.. مشروع جمع شعر الدعوة الإسلامية عبر العصور ودراسته؛ رأيت الكرز والزيتون يزحف إلى الصخور الصلدة، فيكسوها خضرة زاهية، يزداد بها شموخ جبل الأربعين، حتى تلف قمته سحابة معطاء.

كان الدكتور الباشا واعيا لأبعاد موضوعه، مدركا أنه يشق طريقا جديدة، سلاحه منهج واضح، وجنده

تنظير الأدب وتحديث النقد، ومخاطبة الجمهور المعاصر بما يناسبه.

ولا أنكر أنني رأيت مع فصاحة بيانه، تراثية غالية خشيت أن تكون مغلقة الأبواب، متأخرة عن زمننا، تأبى الانفتاح على الآخر والتعامل معه.

وكنت في دراستي بمرحلة الدكتوراه أعيش حركات التجديد في الشعر العربي ونقده، وأتتبع المؤثرات العالمية فيه. وكانت تجربة الشاعر توماس إليوت التي أثرت في



ندوة العلماء بالهند حيث عقدت ندوة الأدب الإسلامي ١٤٠١هـ



إلى أول ندوة عالمية للأدب الإسلامي عقدت في لكنهو بالهند عام ١٤٠١هـ، وسافرت إليها بصحبة عميد كلية اللغة العربية وعضوين آخرين في فريق يمثل الجامعة الإسلامية، وكان من بين توصيات الندوة توصية بعقد ندوات مماثلة في الجامعات الإسلامية.

ونجح المسؤولون في جامعتنا في تنفيذها، وكانت مفاجأة للجميع أن تدعو في السنة التالية ١٤٠٢هـ، إلى ندوة بعنوان: حوار حول الأدب الإسلامي ومنهجه. ولبي الدكتور الباشا الدعوة، وكان حضوره مع كوكبة من رجال الأدب والفكر الإسلامي متميزاً، ولكنني كنت أقرأ في عيونه وفي حديثه معي أنني لم آخذ بنصيحته، وأن الاستعجال ظاهر في الندوة والمشروع! وعلمت أنهم في جامعة الإمام يعدون بأنارة لندوة عالمية واسعة.

كان من نتائج ندوة المدينة إقرار مادة الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، وكنا فريق العمل والإعداد نشتل حماسة، وقد أفادنا الدكتور الباشا بمعلومات قيمة استفدنا منها في وضع تفصيلات المنهج ومادة التدريس.

وما لبثت جهود الدكتور الباشا والعاملين معه على إعداد ندوة الأدب الإسلامي في جامعة الإمام أن أثمرت عام ١٤٠٥هـ، وعقدت ندوة واسعة فاقت ندوة الجامعة الإسلامية في عدد مدعوها، وسعة محاورها، وحسن تنظيمها، وأهمية نتائجها.

وكان الدكتور الباشا أباهما الروحي، ومرجعها العلمي، ومخطط معظم توصياتها. وكان من بعض توصياتها إنشاء رابطة الأدب الإسلامي، وكان فريق متطوع من المؤمنين بهذا الأدب ورسالته يعمل بصمت، ولعدة سنوات على إنضاجها، وكان الدكتور الباشا أحد أركانه الأساسية.

ورغم محنة المرض الذي أرقه في السنوات

عدد من أوائل شعراء التفعيلة في العراق ولبنان ومصر، تشدني إليها، ليس برموزها النصرانية التي أثرت فيهم، بل بجناحين متكاملين هما: جناح التجديد في بناء القصيدة ودراميتها، وجناح القيم الإيمانية التي تدعو إلى بناء الإنسان الحديث عليها، رغم اختلافي الشديد معه في نوعية تلك القيم، وكنت أترقب ظهور شاعر عبقري في لغتنا العربية، قادر على التحليق بجناحين متناظرين؛ جناح التجديد الفني المبدع، وجناح القيم الإيمانية الإسلامية التي تبني الشخصية المعاصرة للفرد والمجتمع.

ورغم إيماني العميق بأهمية التراث جذورا لأدبنا وشخصيتنا، فإنني كنت أخشى من أن يعوق طغيانه الأديب عن مواكبة إنسان العصر الحديث؛ لذا كنت أشعر أنني في حصن آخر غير الذي يتحصن به الدكتور الباشا، وكنت أخشى أن يصبح اتجاهه نقطة ضعف نبذل الجهد الجهد في الدفاع عنها، وتثبيت أقدامنا في تنظير الأدب الإسلامي، وإحكام أسسه النقدية.

وشاء الله أن أنتقل من الرياض إلى المدينة المنورة سنة ١٤٠٠هـ؛ لأعمل في كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية. وفيما كانت الأجزاء الأولى من مشروعه الكبير (شعر الدعوة الإسلامية) تصدر على التوالي، وقد استفدت منها فائدة كبيرة في عملي، وفي المشروع الذي تأثرت به؛ خطا الدكتور الباشا لإقرار منهج الأدب الإسلامي في الكلية.

وأذكر أنني عندما زرتة بعد سنة من عملي في الكلية، وحدثته عن مشروعي نصحني بعدم الاستعجال، والتعمق في الموضوع، وإنضاجه ليكون قويا قادرا على مواجهة اعتراضات المعترضين. ولكن حماسة الشباب آنئذ جعلتني أتجاوز نصائحه، وأغذ الخطأ في تنفيذ المشروع، أخذا بالآثر: إذا درت نياقك فاحتلبها، خاصة بعد أن دعانا سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي

نتيجة تقرر أن الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا رائد متميز في موكب رواد الأدب الإسلامي.. رائد بمنهجه، ومشروعاته العلمية، ومؤلفاته، ورعايته لطلابه وتوجيههم، تتحقق فيه شروط الريادة وصفاتها، في الخطوات التي مشاها في أرض بكر، أوركنت فيه الأدب الإسلامي، وفي القافلة الأولى التي قادها وسدد خطاها شبرا فشبرا. وفي المائدة المنهجية الواسعة العطاء التي استضافت الكثيرين

الأخيرة من حياته، فإن عطاءه استمر في التوجيه والإرشاد والإشراف على الرسائل في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وفي الغراس التي استوت على سوقها، وأخذت الثمار تنضج.

فقد أثمر مشروعه الذي جمع شعر الدعوة الإسلامية عبر العصور رسائل جامعية عدة في جامعة الإمام وفي غيرها، استمدت مادتها من أجزاء المطبوعة، وامتدت إلى النثر، وإلى العصر الحديث، وفتحت أبواب القصة والمسرحية، وسعدت بمناقشة عدد منها،

بعضها في معيته -رحمه الله. وأشرفت على رسائل في الجامعة الإسلامية في الأدب الإسلامي، وهذه الرسائل جميعها في يقيني مدينة بشكل أو بآخر للجهود الضخمة التي بذلها الدكتور الباشا لنشر مفهوم الأدب الإسلامي، وتعزيز منهجه. ولئن شاء الله سبحانه أن يرحد الدكتور الباشا إلى جنته وثمار جهوده تنضج واحدة بعد أخرى؛ فإن إخوانه الذين رافقوه في مرحلة التأسيس وتثبيت الغراس قد وفقهم الله تعالى لمواصلة الرحلة، ومواجهة العواصف التي نال الدكتور الباشا نصيبا منها، آذته في صحته، وفي عمله.

ممن كتبوا عن شعر الدعوة الإسلامية عبر العصور، ثم عن نثرها في الخطابة والوصايا والحكم والأمثال. وعن الأدب الإسلامي في العصر الحديث شعرا وقصة ورواية ومسرحية.

رحم الله هذا الرائد المتميز، وأجزل له المثوبة على ما بذله من جهد، وما أثمر جهده من عطاء، وجعل ذلك رحمتا له في مثواه، ودرجات عليا في جنانه ■

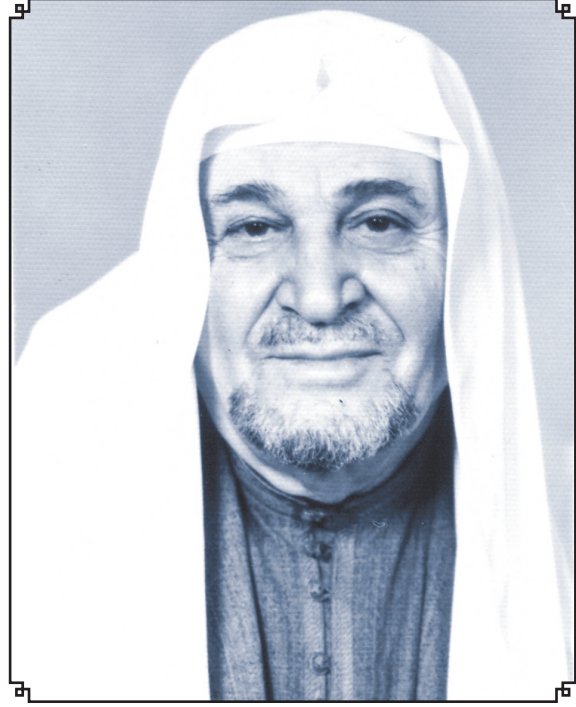
وتوالى البحوث المنهجية من جامعات في أنحاء العالمين العربي والإسلامي تعزز قضية الأدب الإسلامي، وترشد الساحة الثقافية بدراسات معمقة في التنظير والتطبيق، وتنشئ مكتبة متكاملة ومتخصصة.

وأحسب أن أي دارس منصف لحركة تنظير الأدب الإسلامي ومصطلحاته في عصرنا الحديث سيصل إلى نتيجة لا تخطئ الحقيقة والموضوعية:





وذرفت عيني الدمع حين بلغني نبأ وفاة الأستاذ
المرحوم الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، وما كان
لعين عرفته أن يحتبس دمعها، إلا عينا حرمها الله من
العاطفة الإنسانية، وطار الخيال وسبح الفكر محلقا
لآخر لقاء لي كان معه في آخر شعبان ١٤٠٦ هـ، إذ زرته
للاطمئنان على صحته فطالت الزيارة إلى حد ما، وما
ظننت أنها زيارة مودع، كان يهش ويبش وتعلو وجهه
بسمة اعتاد أن يقابل بها زائريه وطلابه، ثم تتغير معالم
وجهه وهو يسرد شيئا من معاناته مع المرض ومغالته
لنفسه لتقبل كل يوم أن تتناول حوالي أربعين حبة
وصفها له الأطباء، ثم انصرف بالحديث بسرعة عن
إجابة سؤالي عن صحته إلى الكلام عن أمور ثقافية،
وكانت أوراقه تحيط به، فقد كان يقرأ ويكتب في
مجلسه، فبين حين وآخر يدخل عليه محب لزيارته.



الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا..

نفس الحر.. وجلال العالم

في جلسته تلك كان جل حديثه عن أدب الطفل،
وضرورة رسم منهج له وتدريبه في الجامعات
لحفظ براءة الطفولة من تيارات
الغزو الفكري، وعرفت منه في تلك
الجلسة أنه في انتظار انتهاء العام
الدراسي لأن الأطباء نصحوه بالسفر
إلى أمريكا لعلاج قلبه الكبير، ولكن
لكل أجل كتاب، فقد توفى وهو في
تركيا يحضر إحدى ندوات الأدب
الإسلامي الذي كرس له الكثير من

صحته ووقته، ويشاء الله أن تكون حياته كلها
عطاء، وأن تظل مثمرة، تعطي الثمار النافعة إلى
آخر دقائقها.
لقد كان نبأ وفاته وقع كبير وخاصة
على تلاميذه، فهو أستاذ بكل ماتعنيه
هذه الكلمة جلدا وصبرا، وإخلاصا
ونزاهة، ووفاء للعلم، وهو كما يقول ابن
دريد راثيا الطبري المؤرخ:

إن المنية لم تتلف به رجلا

بل أتلفت علما للدين منصوبا



د. عائض الرادادي - السعودية

لمستحقيها من طلبة علم، خصصها لهم، وأصدقائه ومشاركوه في ذلك المشروع أعرف به وأولى بالكتابة عنه.

وقرأت لبعض محبيه أن الدكتور لم يترك مؤلفات كثيرة تتساوى مع ما كان يتمتع به من غزارة في العلم وسعة في الاطلاع، وهذا صحيح لو أن الدكتور الباشا كان متفرغا للتأليف والكتابة، ولكنه كان شغلة من النشاط في أكثر من حقل، من أهمها أنه كرس جهده في سنيه الأخيرة لرسم منهج الأدب الإسلامي وأدب الطفل، وتأصيل ذلك في الجامعات، فهو أثر أبقي من كتاب يؤلف في ذلك المجال، ثم حرصه على توجيه طلابه، فهو يعد الشهادة شهادة زور أن نخرج الطالب وهو غير مؤهل، ولن أجاوز الحقيقة إن قلت: إن ما كان يبذله من جهد في التوجيه لطلابه والتقييم لهم والإشراف على بحوثهم، أكثر بكثير مما يبذله من جهد لو أراد أن يكتب بحثا.

ولو أراد الدكتور الباشا أن يستغل جهد طلابه كما يفعل

بعض أساتذة الجامعات لبارح الحياة وهو يترك مكتبة، ولكنه كان يمتلك روح العلماء، ونفسا أبيية، يكبح جماح مطامعها ما ينطوي عليه صدر صاحبها من أنفة وترفع عما لدى الناس مادة ومعنى، وإنصاف كل ذي جهد بنسبته إليه، وما كان يغضب من طلابه مثل غضبه إذا وجد طالبا استفاد من جهد غيره دون نسبة، وهذا واحد من أسباب إكبار طلابه له، ومن أكرمه عزة النفس أكرما.

وبكل تجرد وموضوعية نذكر أن الدكتور الباشا كان يحتسب الجزاء من الله في كل أعماله، ويقول لطلابه: لا أريد إلا دعوة صالحة. لقد رحل الرجل الآن وبقيت صدقاته الجاريات التي كان يحرص عليها ويرجو الدعاء له فحسب، لقد تذكرت ذلك حين زرت - بعدما تناهى إلي ذلك الخبر الحزين - غرفة شرفها الله أن تكون أظهر بقعة في تلك المدينة الإنجليزية إذ اختارها المسلمون مسجدا يذكر فيه اسم الله، وكانت تحتوي على مكتبة صغيرة، امتدت يد مصاحبي

مصادفة - ولم يسمع بالدكتور الباشا فضلا عن معرفته - وتناولت نسخة من كتاب صور من حياة التابعين.

خطفتها منه وكنت أحس أنها وصلتني بأستاذي، ورفعت الغلاف أتأمل الاسم فإذا بعيني تصافح خطأ باليد لا تتكره، إنه إهداء المؤلف سطره بيده:

«اللهم إني أحببت الصفوة المختارة من ثقات التابعين؛ حبا لا يفوقه إلا حبي لصحابة الرسول الكريم . صلوات الله

وسلامه عليه وعليهم أجمعين . اللهم فهبني يوم الفزع الأكبر لأي من هؤلاء أو هؤلاء، فإنك تعلم أنني ما أحببتهم إلا فيك، يا أكرم الأكرمين».

وللأمانة أذكر - وقد لقي الرجل ربه - أنه كان ينفق في وجوه الخير دون أن يعرف ذلك إلا القليل ممن تسهم الظروف في اطلاعهم على ذلك، وأعرف أنه كان يأخذ مكافأة بعض برامج للإذاعة، فلا تبقى في يده إلا بمقدار ما تستغرق من زمن لتحويلها





لكل شيخ طريقة، فهي طريقة له مع طلابه يعلمهم من خلالها كيفية استخدام المصادر للوصول إلى الجواب. حتى إذا ما عرف الطالب كيف يبحث وأين، أجابه جواباً لا يحتاج بعده لأن يعود لكتاب، لقد كان - رحمه الله - يركز تركيزاً كثيراً على أن يتعلم الطالب البحث والتنقيب عن المعلومات، ولا يركن إلى الكسل والحصول على ما يريد بأسر السبل.

لم يكن من أنصار طباعة المذكرات ليقرأها الطالب ثم يدخل صالة الامتحان، بل يسرد في نهاية كل محاضرة عدداً من المصادر عن الموضوع، وإن كان الطالب الذي يتابعه باهتمام، ويعلق بعض رؤوس الأقلام المهمة، ثم يصوغها بعد المحاضرة، لا يحتاج لأن يعود إليها، إن كان الهدف هو الامتحان.

وهناك أكثر من سبب يجذب الطلاب للإنصات لمحاضراته في سكون شديد، ومتابعة بشغف، من أهمها - بعد غزارة المعلومات - بيانه السلس، وطريقته المميزة في الأداء، فالكلمات تتابع على لسانه بسرعة عجيبة، وجرس لفظي جذاب، دون أن يختل تسلسل الفكرة، أو يعرّو لسانه تلثم، أو يكسر قاعدة لغوية، فإذا ما وصل لبعض الكلمات ضغط عليها ضغطاً شديداً الانتباه إليها ونبه إلى أهميتها. أما تكرار عبارة: قبل أن تتم فائدة الجملة، فذاك لون آخر من ألوان توجيه الانتباه إلى ما ستم به الفائدة ليرسخ في الذاكرة، وإذا سمعه طلابه ينطق كلمة فهو حجة في اللغة وسلامة النطق، إذ لا يعدل عن الراجح إلى المرجوح، ولا يلفظ كلمة ويستخدمها إلا بعد التأكد التام من سلامتها من اللحن، أما العامية فلا تعرف سبيلاً إليه.

وكان تذوقه الرفيع سبباً من أسباب الإقبال على محاضراته، وهو يتجاوز التذوق في انتقاء الكلمات أو اختيار النصوص الأدبية إلى التذوق العام في الحياة

على أن مؤلفاته المطبوعة ليست بالقليلة، مضافاً إليها الكتب المدرسية، أو التي أشرف عليها، وأعتقد أن لديه بحوثاً لم تنشر، وخاصة فيما كتبه عن الصحابة الكرام، وفي الأدب الإسلامي وأدب الطفل.

لم يكن ما حبيب عبد الرحمن الباشا لطلابه وأقام بينه وبينهم رباطاً وثيقاً هو عطفه أو مجاملته، أو إعطاء الدرجات جزافاً، أو غش النظر عن بعض الهفوات، أو منافع يرجوها منهم، أو ما شاكل ذلك، بل جلال العلم، ورزانة الشخصية، والإخلاص في التوجيه، والصدق في التعليم.

إذا دخل ليلقي المحاضرة في النقد الأدبي وهي مادة ثقيلة على النفس البشرية لأنها أشبه بالقوانين أحياناً شد الطلاب شداً عجبياً، حتى ليحس طلابه عند انقضاء المحاضرة أنها أقل من دقائق المحاضرات الأخرى.

كان قاسياً في النواحي العلمية لا يقبل فيها أي عذر، ولا أظن أحداً من طلابه يستطيع أن يقول: إنه جامله ولو في نقطة حرف تركها. إذا عثر على ملحوظة على الطالب وضع استفهاماً كبيراً، فتأخذ الطالب هيبة من مقابلته لما يراه من قراءته لكل سطر، وتدوين ملحوظات على الهوامش، حتى إذا ما لقيه وجد عنده لين الأبوة، وروح الأستاذ، لينا في التوجيه، وصلابة في العلم، وبعداً عن الحيف على الطالب أو على الموضوع.

أما عبارة: يا بني! مجموعة للطلاب، ومفردة مصغرة للطلاب؛ فلازمة من لوازم لسانه، وإن تجاوزها فإلى عبارة: يا طيب يابن الطيبين! ويحس من تصافح أذنيه عقب الصدق يفوح منها، وإن سأله طالب - في المحاضرة أو خارجها - سؤالاً لا يبادر بالجواب بل يكون الجواب: أتدري أين تجد هذا يابني؟ ولا تظنه يفعل ذلك تهرباً من الجواب، ولكن

تعد نموذجا فريدا في تجسيم النفوس الكريمة، ومما قاله فيها:

**وكل حكيم مبتلى أي بجاهل
ولو أنه لقمان أو هو أحكم
ولكنني لا أرعوي عن مآربي
ولا أنثني عنها ولا أتلعثم**

هذا الشاعر قيل عنه في زمانه: إنه سيد المفسرين ومجدد قرنه. وقد ناله ما ينال من يعمل بصدق من أذى ذوي النفوس المريضة، وشأن الدكتور الباشا في ذلك شأن أولئك الكرام، والمهم في الأمر أنه كان يضرب صفحا عن كل من غمز ولمز، ووصف الحسناء بأنها عوراء، فيقولون: إنه أرهق طلابه بالبحوث والكتابة ومناهج البحث، وكان موقفه من ذلك لا يزيد عن: سامحهم الله! المهم أن يخلص المرء في عمله، وينتج إنتاجا علميا صحيحا، وليس ذلك بغريب على رجل هجر مسقط الرأس إلى غير رجعة، وآثر ذلك على أن يحني هامته، أو

ينقص قدر كرامته.. وكان توفيق الله حليفه.

لقد عرفت عن معاشة: لماذا كان الدكتور الباشا يهتز طربا وهو ينشد شعر القاضي الجرجاني في نفسه الغالية العالية؟ إنه التوافق بين النفسين، والاتفاق بين الطبيعتين، ومن هنا كان انقباضه أحيانا، وميله للعزلة، فنفسه لا تطيق الإهانة أيا كانت درجتها من الضعف، ومما قاله الجرجاني في هذا المجال:

واللباس والتعامل، يرتدي المشلح فتراهم وهو يهتز وكأن طرفيه جناح طائر يخفق به في توازن دون ميل أو سوء في المظهر، فيظن من لا يعرفه أنه كبير، ولكن من يعرفه يعرف أنه شموخ نفس حرة، وأبهة علماء، وتذوق رفيع، ولا أبالغ إن قلت: إنه لم يغرس في طلابه التذوق السليم للنصوص الأدبية فحسب، بل تذوق الأمور الجميلة في الحياة.

وهو مع مهابته مظهرا وعلميا وجديبة في البحث والإشراف، رجل لطيف المعشر، لين الجانب، يقطر وجهه خجلا، فيغضي حياء ويغضي من مهابته.

كان جل وقت الدكتور الباشا بحثا أو إشرافا على بحث، أو عملا أكاديميا، من محاضرة أو مشاركة في لجان علمية أو إدارة، ولم يجد المرض من نشاطه، أو يكدر نفسه لتصرف عن الإنتاج العلمي.

وقد واجه بسبب ذلك نقمة الناقلين وحسد الحاسدين، الذين لا يسرهم أن يعمل ذوو الهمم العالية إذا قعدت بهم

نفوسهم، وارتاحت للإخلاق للراحة، أو إضاعة الوقت في القيل والقال، ويغيظهم أن ينتج المرء، ويزدادون حنقا إذا حالف إنتاجه النجاح. لقد عاش في المدينة المنورة الشاعر المدني محمد بن رسول البرزنجي ١٠٤١ - ١١٠٣ هـ ودخل في حياته ثمانين مدينة سعى إليه وجهاءها ليمدحهم ويتزلف إليهم، ولكن نفسه كانت تكره المداينة ومدح الناس بما ليس فيهم، ولذا حسده الحاسدون، وكاد له الكائدون، فأنشأ قصيدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اُمِيْتُ الصُّمُوَّةَ الْمُخْتَارَةَ مِنْ ثَقَاتِ التَّابِعِيْنَ
هُبَّ لَا يَفُوْقُهُ اِلَّا هُبِّيْ لِعَمَابَةِ الرَّسُوْلِ اَلرَّحِيْمِ
صَلَوَاتُكَ اَللّٰهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَمَلِيْهِمْ اَجْمَعِيْنَ
اَللّٰهُمَّ فَزِّنِيْ بِزُومِ الْفَرْعِ الْاَبْرَارِ الَّذِيْ مِنْ هَوْلَاءِ اَوْ هَوْلَاءِ
فَاِنَّكَ تَعْلَمُ اَنِّيْ مَا اَفِيْسُهُمْ اِلَّا فَيْلَهُ، يَا اَكْرَمَ الْاَكْرَمِيْنَ

عبد الرحمن



- عندما التحقت بالإذاعة - كان يجد راحة في أن أكون مسؤولاً عن برامجه، كان مثالا للتعامل الجيد والدقة في العمل، يولي إنتاجه عناية خاصة، ويرتب كل شيء قبل أن يصل للإذاعة، فإن كانت ندوة اختار الضيوف بدقة، ودخل الاستديو مع ضيوفه وقد اتفق معهم على مخطط سيرها، فلا يدع مجالا للتكرار أو سطحي الأفكار، وتبدو على قسمات وجهه علائم الاستياء إذا جنح أحد الضيوف عن الموضوعية، ولكنه لا يقاطعه، بل يستدرك ويعلق، ويظهر للمستمع أن ذلك رأي للضيف ولكل ما رأى.

أما بعض العبارات التي لا يرتضيها فينتحي بي بعد التسجيل جانبا ويقول: ألا يمكن حذف هذه الكلمة. وكان يتهرب من استخدام كلمة (مونتاغ) لأنها أجنبية. وأذكر مثالا على ذلك، ففي مرة أخذت أحد الضيوف الحماسة في مناقشة موضوع الدعوة للعامة، وقال: لحساب من ترتكب هذه الجريمة؟! وعند انتهاء التسجيل قال لي: يا بني الموضوعية في النقاش تستدعي أن تقرع الحجة بالحجة دون الطعن في ذمم الناس.



يقولون لي: فيك انقباض وإنما

وأوارجلا عن موقف الذل أحجما

إذا قيل: هذا مشرب، قلت: قد أرى

ولكن نفس الحر تحتمل الظما

ويقول أيضا من مقطوعة أخرى:

وقالوا: توصل بالخضوع إلى الغنى

وما علموا أن الخضوع هو الفقر

وبيني وبين المال بابان حرما

علي الغنى: نفسي الأبية والدهر

إذا قيل: هذا اليسر، عاينت دونه

مواقف، خير من وقوفي بها العسر

تلك نفس عبد الرحمن رأفت الباشا وجبلته التي طبعه الله عليها! تجد روحها في شعر الجرجاني، ولا أعتقد أن واحدا من تلاميذه يقول: إنه جاءه يوما يرجو منه أن ينجز شيئا ولو مما لا يجرح كرامة. وهو مثال في الإنصاف والاعتراف بالفضل لأهله، فعندما تبني فكرة أدب الدعوة الإسلامية لم ينسب الفضل لنفسه، بل جهد ما وسعه الجهد في إبراز فضل سابقه كتابة ومحاضرة، بل ودعاية لإنتاجهم، على أن الفضل الكبير له في إبراز الفكرة للوجود، ولفت نظر الأكاديميين لها، ورسم منهج لها وتنفيذ الكثير من الأفكار حولها.

تجربته في الإذاعة:

وتجربة الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في الإذاعة تجربة ثرية، وهو لم يكن من المتهاكين على الكتابة للإذاعة أو غيرها، ولا يقدم على ذلك إلا بعد أن يطلب منه، على أنه ليس من المتعاليين الذين يصطنعون الترفع، ولذا فهو سهل الاستجابة، وإن اعتذر فلعذر مقنع ككثرة أعماله.

تجربته مع إذاعة الرياض تسبق عملي بها، ولكنه



والأسلوب البياني الذي كتبت به، ثم النية الحسنة لكتابها، واحتسابه أن تكون تلك الصور نبراسا لفتيان وفتيات المسلمين في زمن أصبح فيه الأعلام الأجانب أو من لف لفهم هم الأسوة ومناطق إعجاب الشباب. ولم يخرج الدكتور الباشا عن نهجه فيشعر الناس أنه أتى بشيء من عنده، بل سرد في نهاية كل قصة مصادرها، وذلك مما أبرز جهده وأوضح عمله فيها أمام القراء، حيث نهل من القديم مادته، وعرضها في أسلوب بياني ولغة عصرية تتسلل لنفوس الناشئة، ويسهل عليهم فهمها.

إن الدكتور الباشا ليس فريدا في زمانه ولا وحيدا في صفاته، ولكنه نموذج من خيار هذه الأمة الذين أنعم الله بهم في شتى العصور، وأخلصوا لعقيدتهم ولسلف الأمة وخلفها، ولم يخلوا عليها بوقت أو صحة أو مال حسب ما وهبهم الله... رحمه الله رحمة الأبرار والصالحين ■

وقد كتب لإذاعة الرياض أحاديث وأعد برامج، منها: بيت القصيد، ومع أدب الدعوة الإسلامية، وصور من حياة الصحابة، وصور من حياة التابعين. ولعل البرنامجين الأخيرين هما اللذان ارتبطا في أذهان المستمعين، وهما برنامجان متشابهان في المنهج، وثانيهما امتداد للأول، وكان في نيته أن يواصل التسلسل فيعد برنامجا باسم صور من حياة إخوان النبي وهم من بعد التابعين.

«مسلكه الخاص في إعداد صور من حياة الصحابة والتابعين»

لم يسلك الدكتور الباشا في إعداد صور من حياة الصحابة والتابعين مسلك المترجمين الذين يكتبون بأن فلانا عاش ومات وفعل كذا، بل إن الصور المشرقة لسلف هذه الأمة امتلكت عليه حواسه، فراح يعبر عن مداخلتها له وتأثيرها في نفسه، فجاء إعداده يحمل نفسا أدبيا، ونسقا بيانيا، وبوحا عن أثر أولئك العظام في نفسه، لا يعرف باسم الصحابي أو التابعي بل يأخذ صورة من صور حياته ويرسمها بالكلمات، ويجليها بأدائه الرائع الذي يعبر هو أيضا عن مدى تقاعله مع الصحابي، فإذا ما ملك على المستمع مشاعره وشده من خلال تلك الصورة التي التقطها ورسمها، راح يقول: ذاك هو صحابي رسول الله ﷺ أو تابعيه فلان، ثم تتداح أمامه الصور فيقدم الواحدة تلو الأخرى بقدر ما يتسع له الوقت.

المادة ليست جديدة، ولكن الجاذبية كانت في اقتناص المعد للصور وتصويرها في صورة بيانية عالية، ثم في أداء الدكتور الباشا وهو يقدم البرنامج، وقد طبع بعضها فيما بعد في كتب، كانت من أكثر الكتب شيوعا وانتشارا، لما تحمله من صور مضيئة للصحابة والتابعين، ولعلو المنهج الذي قدمت فيه،



اللقاء الأخير (*)

محاضرته فيسحرك بوضوح الفكرة، وبساطة العرض، فيداخلك إحساس بأنه قد خلق ليكون أستاذا جامعيا. وكان لحديثه عذوبة، وهو مع ذلك حفي بلغته لا يستعمل من الألفاظ والتراكيب اللغوية إلا ما يوقن بصحته، وكان له في هذا الباب شأن أي شأن. كان يثري موضوع المحاضرة بذكر تجربة مرت به، أو حادثة مؤثرة، أو مثل مناسب. كان أنيقا في ملبسه بغير إسراف، أنيقا في عباراته وكلماته دون تقعر أو ابتذال... ذا نطق واضح متميز، يعتمد أن يضغط على حرف من حروف الكلمة فتجد لذلك صدى في نفسك عز أن تعبر عنه. ولعل من أبرز ما تميز به عنايته بأسئلة طلابه، لا يتغافل عن شيء منها، ولا يجد حرجا أن يقلب سؤال السائل على وجوهه كلها حتى يجد له مناسبة في الموضوع، تشجيعا منه للطالب، وتقديرا منه له. كان يحترم رأي طلابه، وينمي فيهم ملكة المحاكمة، والاستقلال في الرأي، وكان طلابه - دون استثناء - يكبرونه، ويقرون فيه هذه الخصلة الكريمة. ومن عادته - رحمه الله - أن يبدأ محاضرته بقوله:

يا بني... ثم يشرع في حديث سلس ممتع تنسى معه أن ما يلقيه عليك واجب من الواجبات الدراسية المقررة، وتجد نفسك أخيرا قد استوعبت أشد القضايا النقدية صعوبة وغموضا.

«الأدب الإسلامي»

لم يكن هو أول من دعا إلى إيجاد الأدب الإسلامي، فقد سبقه

يعد د.الباشا رائدا من رواد الأدب، وناقدا من كبار النقاد المعاصرين، وقد كانت له في ساحة النقد صولات وجولات.

قضى الدكتور الباشا زهرة عمره في رحاب هذا الوطن الكريم، وكان يعتز بتمسك هذه البلاد بدينها، ويشعر أنه فرد من أفراد الشعب السعودي، دون نسيان لوطنه الأول : سورية الشقيقة.

وكم مرة كان يحدثني عن هذا التحدي الذي اجتازته المملكة العربية السعودية بتفوق، حينما استطاعت أن تستفيد من أحدث معطيات الحضارة مع محافظة رائعة على قيم الإسلام ومبادئه.

وطوال أكثر من عقدين من الزمان عاشهما في الرياض؛ شارك في العديد من اللجان والندوات، التي أقيمت في مناسبات مختلفة، وكان له في أكثرها حضور جيد، ورأي سديد.

اتصف بشخصيته القوية التي باتت أبرز سماته، وكان مع ذلك جم التواضع يزينه الحياء، والوقار، والسمت، كان عف اللسان - بدرجة مذهلة - رافقته عدة

سنوات فما سمعته يذكر أحدا بسوء، إن علم خيرا ذكره، وإن علم غير ذلك أمسك. وتتكشف تلك الشخصية المهذبة عن إرادة صارمة، فتراه لا يتزحزح عما يؤمن به قيد أنملة، وكأنما هي قضية حياة أو موت.

«أستاذ جامعي»

كنت تستمع إليه وهو يلقي

د. عبد الله العريني - السعودية



(*) جريدة الجزيرة أدب وثقافة، الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٤٠٦هـ ٣١ يولية ١٩٨٦م.

موسوعي يخدم الأدب الإسلامي، ويكون له بمثابة الخلفية التاريخية، والقاعدة التي ينهض عليها بناؤه. ومن هنا ظهرت فكرة موسوعة أدب الدعوة الإسلامية التي قامت بإصدارها كلية اللغة العربية بالرياض وأشرف عليها بنفسه. وقد صدر منها ستة أجزاء (**).

وكان طلبة السنة النهائية في كلية اللغة العربية يقومون بأنفسهم بإعداد أجزاء هذه الموسوعة بعد أن يوضح لهم - الفقيد - خطوات البحث، ومصادره وأسلوب الإفادة منها، ثم يقوم بمساعدة كل باحث على حل المشكلات التي تعترضه، ثم يختار للنشر أفضل تلك البحوث وأقربها إلى الكمال.

وقد حظيت الأجزاء التي صدرت من هذه الموسوعة بإعجاب وتقدير كثير من الأدباء والمفكرين في العالم الإسلامي بعامه والعربي منه بخاصة.

«لا نقول إلا خيراً..»

وعندما كنت أزوره في مرضه وأسأله عن صحته كان يهتف: لا نقول إلا خيراً... ثم بيتسم لزائره، حتى يبت الطمأنينة في قلبه، كان يأخذ نفسه بالقوة والجد حتى في مرضه، وكانت مواقفه تلك دروساً بالغة في الصبر والاحتساب.

وفي عيد الفطر... اتصلت به هاتفياً أنهت به بالعيد المبارك، فرد علي كعادته بلطف بالغ - ولم أشأ أن أطيل عليه مراعاة لصحته. أحسست بصوته شجياً ندياً، ما زال صداه في مسمعي.

لم أكن أعلم أن هذه هي المرة الأخيرة التي يتاح لي فيها الحديث معه.

رحمك الله - أبا اليمان - رحمة واسعة، وأسكنك فسيح جنات.. اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله ■

(**) (انظر سيرته الذاتية في هذا العدد لمعرفة الأجزاء الستة ومعدّيها - التحرير).

إلى ذلك كثير من المفكرين والأدباء الإسلاميين، كالشيخ أبي الحسن الندوي، وسيد قطب، ومحمد قطب، والدكتور نجيب الكيلاني، وغيرهم... وهو يعترف بذلك ويقر بالفضل لأهله.

لكنه استطاع بعد جهد جهيد أن يجعل أمانتي أولئك العلماء حقيقة واقعة، فقام - وحده - برسم منهج إسلامي في الأدب والنقد، وتبنت جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية هذه الفكرة الرائدة، وأوسعت لها في المحاضرات الجامعية حتى قبض لمادة منهج الأدب الإسلامي أن تقف على أرض صلبة قوية.

إن وجود ذلك الأدب المعبر عن قضايا الإنسان المسلم، يجب أن يكون في مقدمة الأولويات التي يجب البدء بها، والأدب الإسلامي لا يتساهل في أمر العناصر الفنية في الأدب، ولا يتخلّى عن الجانب الفني فيه، ولكنه أدب يجمع إلى نبل الغاية، وسلامة الاتجاه، مستوى إبداعياً رائعاً، وهو أدب لا يشوه جماله دعوة إلى انحراف، ولا ابتذال لعاطفة إنسانية كريمة، ولا استثارة لمشاعر شريرة آثمة.

وإذا كان الشيوعيون ينتجون أدباً يبتون فيه دعواتهم الفاسدة، ومذهبهم الباطل، وإذا كان المبشرون ينتجون أدباً يحاولون فيه نشر النصرانية بين أبناء المسلمين، وإذا كان الوجوديون يجسدون في أدبهم الكفر» إذا كان ذلك كذلك فحري أن يكون للمسلمين أدب يعبر عن قضاياهم من خلال موقف متميز، يهدي إلى الحق بإذن الله، ويعين على قيام المجتمع الإسلامي الكريم.

ذلك هو الأدب الإسلامي كما رآه الدكتور الباشا، ودعا إليه. وما مات رحمه الله حتى قرّت عينه برؤية تلك الأمانة العذبة تتحقق على أرض الواقع، وتتهافت الكثير من الجامعات والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي كله، على تبني فكرة الأدب الإسلامي، وتهتم بها اهتماماً بالغاً.

«موسوعة أدب الدعوة الإسلامية»

أحس الدكتور عبد الرحمن بضرورة وجود عمل



أنباء موتك هزتني فجاءتها
وزلزل القلب منها أي زلزال
أحس أن الرياض استوحشت وبكت
مثلي، وأن فؤادي ليس بالسالي
وأن بوابة الأفراح مفضلة
ولم تكن تشتكى من جور أفعال
لقد أغلقت بوابة الأفراح - في رؤية
الشاعر المتنازع منافذها بفقد رائد من رواد
الأدب الإسلامي... خطط لمناهجته، ووجه
الدارسين والباحثين في حقله، وأشرف
على الرسائل والأطروحات الجامعية التي
سارت على دربه... ومعنى ذلك أنه لم يكن
منظرا فحسب، وإنما كان مطبقا أيضا.



محمد جاد البنا - مصر

سبقتنا، وطريق الموت عامرة
بالسالكين، فمن ماضٍ ومن تالي
ومن مخفٍ على درب الهدى ضحكت
له الطريق، ومن حمال أثقال
أرثيك؟ لون حروفي لا أميزه
والحزن يزرع في كفي أغلال

هكذا بكى الشاعر عبد الرحمن
العشماوي أستاذه عبد الرحمن رأفت
الباشا، وهكذا يبكي الشعراء من يحبون...
وهكذا يكون الشعراء حينما يتوهج
شعورهم حتى لتكاد تصرهم عواطف
الأحزان، وتتفتق أخيلتهم فيهمون في
أودية لم يعهد لها البشر:

(*) مجلة الدعوة، ٢٠ ذي الحجة ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٥ آب/أغسطس ١٩٨٦م.

«الباشا نتاج ثقافة إسلامية عريقة»

كان الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا نتاج ثقافات عربية أصيلة بدأت بالقرآن الكريم في حلب ودمشق، وتغذت برحيق من معارف الأزهر القديم ومناهجه الأصولية، ثم صقلت هذه الثقافات برفد من القراءات الواعية والمتابعات الهادفة والحضور الواعي، والانتباه لكل ما يدور حوله من قضايا ومشكلات... ولعله - رحمه الله - وغفر له - تنبه إلى ما يحاول الصليبيون والشيوعيون والعلمانيون وغيرهم أن يفعلوه في مجالي التربية والثقافة، وبالأذات في محيط الأدب دراسة وإبتكارا على طول الوطن العربي وعمقه، وعلى طول العالم الإسلامي وعرضه...

إنهم على ما يقول الأستاذ عبد الله بن صالح العريني أحد تلامذة الباشا - ينتجون أدبا يبتون فيه دعواتهم الفاسدة ومذاهبهم الباطلة... وإذا كان المبشرون ينتجون أدبا يحاولون فيه نشر النصرانية بين أبناء المسلمين، وإذا كان الوجوديون يجسدون في أدبهم الكفر والضلال والانحلال... إذا كان ذلك كذلك فحري أن يكون للمسلمين أدب يعبر عن قضاياهم من خلال موقف متميز يهدي إلى الحق بإذن الله، ويعين على قيام المجتمع الإسلامي الكريم...

الأدب الإسلامي ملجأ مميز لشخصية الباشا

وإذا كانت قضية الأدب الإسلامي هي الملجأ المميز لشخصية الباشا فمن الأمانة أن نقول: إنه لم يكن أول من اخترعها أو أشار إليها ومهد لها، وإنما هي - كمادة خام - تعتبر موجودة في معظم ما حملته إلينا الأمهات القديمة (من الكتب) باستثناء ما في بعضها من مجون مكشوف - وهي موجودة في معظم ما كتبه أدباء المسلمين ومفكروهم بدءا من حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وحتى الرافي وعزام وشكيب أرسلان وسيد قطب... إلا أن المنهج بمعناه العلمي الدقيق - لم يكن متبلورا إلا في العهود

المتأخرة حينما بدأ هذا النهج فارس مجهول ومسكوت عنه من قبل النقاد والدارسين، إنه الأستاذ الجليل محمد خلف الله أحمد - رحمه الله وأحسن إليه - فقد أخرج للناس كتابا جيدا في الأدب الإسلامي - لا أعرف كتابا سبقه في هذا المضمار... ثم تلا ذلك ما كتبه ودعا إليه سيد قطب وأبو الحسن الندوي والدكتور نجيب الكيلاني، ثم تميز الدكتور الباشا، فإنه دعا وطبق من خلال مؤلفاته القليلة وبحوث طلابه الكثيرة...

ولعل سلسلة صور من حياة الصحابة... وحياة التابعين، فضلا عن مؤلفاته الأخرى تكفي للتدليل على التطبيق التربوي الهادف الذي أراد الباشا أن ينفذ من خلاله إلى نفوس ناشئة الجيل وكل جيل؛ ليبين لهم في أسلوب مشرق وعرض فني رائع، وأداء متميز، عظيمة هؤلاء الشوامخ، ولبيان لهم كذلك عظيمة المدرسة النبوية الأولى التي كونت هؤلاء العظماء وقدمتهم كنماذج حية وفاعلة تشير إلى جلال الإسلام وجماله وعظمته وامتداد أثره.

الأدب الإسلامي مضمون يحمل رسالة

وكان الباشا - وهو الأستاذ ذو التجارب - كان يود - دون أن يفصح عن ذلك أو يعلنه وإنما بيدي في كتاباته وتوجيهاته - أن يجعل للفكر الإسلامي وللمفكرين السيطرة والنفوذ، وأن يستخلصهم ويستخلصه من براثن زمن سادت فيه قيم أخرى، وفتحت فيه منافذ أخرى، وتقهقر الفكر المسلم، وقنع المفكرون بأن يتأثروا ولا يؤثروا... ويشاركوا دون أن يضيفوا. والأدب الإسلامي ليس شكلا ولا رسوما... وليس زخرفة ولا طقوسا، وإنما هو في جوهره مضمون يتبنى قضية، وقضية تحمل رسالة، والرسالة إسلامية المنزع، تربوية الهدف، طاهرة الوسيلة والغاية، ومن ثم فهي تتبنى فكرا عن طريق بث قيم الإسلام الفضلى، ومبادئه السامية المثلى، وبألها من رسالة!



«موسوعة أدب الدعوة الإسلامية»

أما تلامذة الباشا في جامعة الإمام فقد أسهموا . اتباعا للمنهج الذي رسم، والخطة التي وضع، والتوجيه السديد لخطواتهم . في بدء ما أطلق عليه موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، وتمثلت في أعمال ستة موقفة، قام بها كوكبة من شباب كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خرجت إلى الناس مع نهاية القرن الهجري المنصرم في ثوب قشيب بعد متابعة دقيقة وحرص شديد.

وقد فعل الرجل ما فعل دون جلبة أو ضوضاء أو جلجلة إعلانية، فكنا نرى طحنا وفيرا دون أن نسمع جعجعة صارخة مما تعودها الناس... فالرجل مع ذلاقة لسانه لم يكن ثرائرا في كل ناد يخطب، وهو مع فصيح بيانه لم يكن من هواة النجومية، وإنما هو عالم بضاعته العلم، وسوقه الرائجة هناك بين مقاعد الدرس وقاعات الجامعة، شأن الذين ينكرون أنفسهم عن اقتناع وقناعة؛ لأنهم يدركون حجم رسالتهم، وخطورة قضيتهم، وجلال عملهم الذي هم به منشغلون.

ومن ثم فلم يترك الباشا مؤلفات يتسابق بها كما وعددا، وإنما أنفق معظم وقته وجهده في التوجيه والإشراف والريادة، فأعطى لغيره ما حرم منه نفسه، ومهد لتلامذته، ودفع بهم إلى مقدمة الصفوف، وهذا شأن عظماء النفوس!.

يبقى المخططون والمنظرون لمناهج الأدب الإسلامي على ذلك مدينين لما أنفقه الدكتور الباشا من وقت وجهده، وما بذله من إخلاص وصدق في سبيل دعم هذا الاتجاه النبيل.

«ازدهار الأدب الإسلامي هو التكريم الحق»

وفي رأيي . كدارس متواضع في حقل الأدب الإسلامي . أن الإحسان إلى الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، والتبويه بفضل علمه وجهده لا يكون من خلال البكاء عليه أو استبكاء الآخرين، فقد لقي ربه راضيا مرضيا بعد أن بلغ أجله، وسلك طريق الموت الذي لا مفر من سلوكها... وإنما يكون الإحسان إليه بإحياء جهوده، ومتابعة خطته، والإضافة إلى منهجه، والسير على ذلك الدرب الصعب مهما كان شاقا... درب الأدب الإسلامي، فما زال يجد من الأصوات

المنوثة أكثر بكثير مما يجد من الأصوات المساندة... ومن أسف أن معظم المناوئين من حملة الدرجات العلمية الكبرى، ومن خريجي الجامعات العربية، بل إن بعضهم من خريجي الجامعات الإسلامية ذات التراث العريق، وحجتهم: أن كل الأدب إسلامي، فلماذا التفريق والتسميح بالتقسيمات والمصطلحات؟

ولا نود ونحن في موقف وفاء لراحل كريم أن نثير غبار معركة لم يحن حينها... وإنما نود... وبكل الصدق . أن نكرم الرجل ما وجدنا إلى تكريمه سبيلا، ولا سبيل غير الحث والعمل على

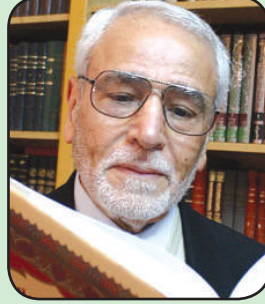
ازدهار الأدب الإسلامي، شعرا وقصة ورواية ومسرحية ودراسة ومناهج نقدية.. إلخ...

حينذاك تفتح بوابة الأفراح منافذها، فليس هناك ما هو أفضل ولا أنبل من أن يتواصى على الحق والخير رجال وعقول وحمة أقلام.

ولا نملك في النهاية إلا أن ندعو الله مخلصين أن يبيؤ الراحل الكريم ما هو أهل له، وأن يغدق عليه سحائب الرحمة والرضوان... وأن يهب أهله وذويه وتلامذته وعاريفه فضله الصبر الجميل والأجر الجزيل ■



معلم الرحمن الباشا.. رائد عروبة اللسان



د. فخر الدين قباوة(*) - سورية

من جنسها في التوجه والعمل والتنفيذ، ألا وهو العُروبة. فما دام للعُولة عنصر اجتماعي يهدد ألسنة الناس بمحولاتهم لفرض اللغة الفازية، فإن علينا نحن - علماء العربية - أن نواجه ذلك بأسلحة الفكر والتدبر والعمل القائم على الوعي الكامل البناني، لتنمية العربية وتوسعة أبوابها في استيعاب العلوم والفنون والآداب. فبالقول خطاباً وكتابة وتأليفاً وتعليماً وتوجيهاً، نستطيع أن نتحمل تلك الواجبات، ونقدم ما نحمل من المهام العظمى في ميداننا المبارك، للتنمية والتوسعة والانفتاح.

والمراد بالعُروبة هو: تشييد الحصن الحصين لعروبة اللسان ومسيرتها العالمية، أعني ما قام به أجدادنا القدماء من الصحابة والتابعين في إحياء عروبة اللسان ببضع سنوات بين إخوتهم في الشام وشمال إفريقيا وشرقيها، ثم نشر العربية عالمياً بالتواصل الإنساني الكريم في التجارة والمصاهرة، من الأندلس إلى إندونيسية، ومن فاراب إلى جنوبي إفريقيا واليمن. حتى إنه مازال الأفغانيون غرب مزار شريف، وبعض أهل طاجيكستان، يتحدثون باللغة العربية. ومثل هذا كثير في الجمهوريات الإسلامية من شرقي أوربة وأواسط آسية، مع استعمال الحرف العربي في الكتابة أيضاً، رغم ما نزل بها من بطش الشيوعية الملحدة والرأسمالية اليهودية المعاصرة، وما فرض عليها من أساليب العُولة الفاشمة. ■

مستغربين يسودون وجه العربية بالعُجمة واللهجات العامية المحلية في التدريس والتوجيه والإشراف، ورسم مناهج التعليم لتصنيف المقررات، والقيام بعمليات التربية اللسانية والتعليم لعربية القرآن الكريم والحديث الشريف. وبهذا صارت حقول التعليم مرتعاً للثلاثية اللغوية: الفصحى والعامية والأعجمية، لإفساد التعبير والتفكير والتمثل لعروبة اللسان، ثم انتقل ذلك إلى منابر المساجد والمؤتمرات وميادين الإذاعات والتلفزات وقاعات الجامعة ومدرجاتها ومجالسها التحكيمية للبحوث والأطاريح.

وتكريماً لأستاذنا الغالي، وتأسيساً به في نهجه النبيل، وغيره على عروبة اللسان من النكسة التي أصابها في بلاد الشام، وعمّت سائر الأقطار العربية، نهضنا نكافح العُولة الخبيثة - وهي قديمة قدم الغزو الاستعماري - بسلاح

بالكلمة الطيبة والبسمة الأخاذة والنبرة الحانية، كان أستاذنا الراحل الدكتور عبد الرحمن رافة الباشا - رحمه الله - يجعلك تشاركه فيما يحمل من هموم العربية والعرب والمسلمين والإسلام. فهو ينشر حوله بشخصه الحبيب وأنفاسه النفاذة هالات من البشر والحماسة والعزيمة، لترسيخ تلك الأنوار في الضمائر والوجوه، ويشعرك بطلاقة التكوين اللغوي الفصيح وسحره الحلال للنفس والألسنة والأسماع. وبهذا كان رائداً وراعياً لعُروبة أجيالنا ومن بعدنا من أبناء الشام والخليج في النصف الثاني من القرن الماضي، كان: رائداً وراعياً في حديثه وحواره وجلساته.. رائداً وراعياً في تدريسه وتوجيهه وتعليمه.. رائداً وراعياً في كتاباته وبحثه وتأليفه.. رائداً وراعياً في اختيار الأكفاء من المعلمين والمدرسين والموجهين والمؤلفين في التربية.. رائداً وراعياً في إشرافه على تدريس اللغة العربية وإرشاد رجالها في ميادين التعليم.. رائداً وراعياً في المقررات الدراسية للنحو أشرف عليها ودبجها ببراعه المتألقة بالبيان والجمال والسداد.

حتى إذا غادر بلاد الشام إلى ميادين الخليج، ليحل محله رجال العُولة الفازية، انكفأت عروبة اللسان بين أيدي

(*) أستاذ الأدب والنقد بجامعة حلب.



عبد الرحمن الباشا الإنسان

د. مهجة الباشا - سورية

شاركت د. مهجة الباشا في ندوة تكريم عبد الرحمن رأفت الباشا بدار الثقافة في إدلب، بكلمتين الأولى ممثلة لأسرة المحتفى به في حفل الافتتاح، والآخرى ضمن وقائع بحوث الندوة بعنوان: (عبد الرحمن الباشا الإنسان وأعماله الأدبية والعلمية) فقالت بعد أن قدمت إضاءة على نشأته في كنف جده ومراحل سنيه الأولى:

يشيعه إلى مثواه الأخير، وأمر بدفنه في مقبرة الفاتح التي أوقف الدفن فيها منذ سنين لمكانته الرفيعة، وثوى فيها إلى جانب الكثير من العظماء من الصحابة والقادة والعلماء.

وقد أجمع أصدقائه وزملاؤه على خصال حميدة اتصف بها، أذكر منها: أنه كان مربيا فاضلا، وأستاذا جليلا قوي الشخصية مع تواضع ووقار، مهيب مع لطف ومشر ولين جانب، عف اللسان لا يذكر أحدا بسوء، جم النشاط صادق العزيمة، كريم السجايا، واسع الأفق، غزير العلم، رصين الأسلوب، سخيا كريما قلما يخلو بيته من ضيف عابر أو مقيم.

وكان قويا في مواقف الحق لا ينافق ولا يدهن ولا يضعف، ولعل ذلك كان سببا في ميله إلى العزلة أحيانا، وشعوره بشيء من الانقباض، وكان كثيرا ما يعبر عن ذلك متمثلا بقول القاضي الجرجاني:

يقولون لي: فيك انقباض وإنما

رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

إذا قيل هذا مشرب قلت: قد أرى

ولكن نفس الحر تحتمل الظما

وكذلك عندما كان يرفض المال الذي يورثه ذلا أو خضوعا فكان يتمثل بقوله:

.. وأخذت مظاهر هذا التكوين تترسخ في سلوكياته لتصبح سمة مميزة لشخصيته، من طموح لا حدود له، ووطنية تستهين بالموت من أجل الحرية، ونفس وثابة إلى المجد والعلياء محصنة بما تحمله كلمة المروءة من معان كريمة، من صدق وإخلاص ووفاء وإيثار وتфан في العمل، بقيت ملازمة له طوال حياته إلى أن وافاه اليقين.

إن هذه الصفات التي ذكرت لم أسقها لأنني في مقام لا بد فيه من المدح والثناء، بل لأنني وجدتها إلى جانب صفات نبيلة أخرى في كل ما كتب عنه من قبل أصدقائه وزملائه وتلامذته، ولمستها في أحاديث أقربائه الذين يكونون له الولاء والود والمهابة، وللجميع روايات كثيرة تؤكد عمق إيمانه بفضائل الأخلاق ومكارمها ورسوخها في نفسه، أذكر منها على سبيل المثال: مشاركته في المظاهرات ضد الإنكليز عندما رحل إلى مصر للدراسة رغم أنه تعهد للسلطات بعدم المشاركة فيها وإلا أعيد إلى وطنه.

وقد صادف أن كنا وأسرتي في تركيا في الوقت نفسه (حين وفاته) فقدمنا مسرعين إلى العزاء، وكنا نحسب أنه سيكون صامتا حزينا! لكننا فوجئنا بحشد كبير جدا من كبار الشخصيات والعلماء، وموكب مهيب

وقالوا: توصل بالخضوع إلى الغنى

وما علموا أن الخضوع هو الفقر

وبيني وبين المال بابان حرما

علي الغنى نفسى الأبية والدهر

إذا قيل: هذا اليسر، عاينت دونه

مواقف خير من وقوف بها العسر

ولعل القيم العربية تجتمع وتلتقي في نفوس وعظماء الأمة وعلمائها؛ فهي هو ذا المتنبى يعبر عن القيم ذاتها بقوله:

فاطلب العز في لظى وذرا الذل ولو كان في جنان الخلود

إن المقام ليضيق عن ذكر الكثير من المواقف النبيلة التي عددها له أحبته من الذين عاشوا إلى جانبه، واستظلوا بظله من أصدقاء وزملاء وتلامذة وأقرباء، وبما أنني من الأقرباء فأنا أشهد أنه كان نبيل النفس، سخي اليد، كريم الطباع، لا يخذل من يلجأ إليه، يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة، رقيقا مع زوجته، عطوفا على أبنائه، سمحا مع أقربائه، رحمه الله وأحسن إليه. وأذكر أنه كان صاحب الفضل في دفعي إلى دراسة اللغة العربية وأدائها متوسما بي أن أتابع الطريق الذي سار فيه على هدى الذين نافحوا عن اللغة العربية، وردوا عنها كيد الكائدين. ومازلت أحاول أن أكون كما تمنى، لكنني أبدا أراه يقف على جبل شامخ وأنا مازلت

أسفل سفحه، وأكتفي بقول صديقه الدكتور الأديب عبد القدوس أبو صالح الذي لخص لنا مكانته الأدبية في قوله: « كان الدكتور عبد الرحمن الباشا -رحمه الله- من فرسان البيان، وممن نذروا أنفسهم للدفاع عن لغة القرآن، وقد أبدع بقلمه البليغ نتاجا أدبيا رفيعا، سيبقى ذخرا للأجيال ومنازة للأدباء».

هذا هو الأديب عبد الرحمن رأفت الباشا، إنسانا وأديبا وعالما! ولئن احتفى زملاؤه وتلامذته في المملكة العربية السعودية وفي تركيا عند وفاته بتأبينه وراثته فإنه في وطنه لم يعلن عن خبر وفاته، ولم يعرف بها إلا قلة من أقربائه، ولذلك فأسرة الفقيد اليوم يتقدمون بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى وزارة الثقافة متمثلة بسيادة الوزير الفاضل الدكتور رياض نعان آغا الذي أعاد الأمور إلى نصابها، بحفل التكريم هذا، فقرت به عيوننا، وسرت به نفوسنا.

إن فضل ترسيخ شعور الاعتزاز في نفوس أبناء المبدعين ومحبيهم وما يعكس ذلك من تشجيع على مواصلة مسيرة العطاء فيمن يريد اقتفاء أثرهم يعود إلى من شجع على ذلك، وحث عليه، فلسيادة الوزير أسمى آيات الشكر، ولمن أعد لهذه الندوة وعمل على إنجاحها أسمى آيات العرفان، ولجهود إدارة المركز الثقافي في إدلب وأسرتة الكريمة كل الحب والتقدير ■

«أيها الأعزاء: وأنتم تكرمون اليوم علما من أعلام هذه المحافظة بل شمساً من شمس معارفها، طافت على أقطار عدة حاملة النور والخير غير المنقطع إلى قيام الساعة، فقد ترك ما يقرب من خمسين مؤلفاً علماً ينتفع به؛ اعلّموا أنها تكرمون أنفسكم وأنتم تعرفون لعالمنا هذا حقه، فلا يعرف الفضل إلا ذووه، ولا يقدر قدر الرجال إلا الرجال، فهي إذا مأثرة لكم تعدونها وبراً منكم تؤجرون عليه».

عبد القادر الأسود - رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب بإدلب

شجاعة



فقدناك مالا وأدياً وفكراً (*)

هي الأمور كما شاهدتها دول

من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد

ولا يدوم على حال لها شان

حقاً!! هذه الدار فانية بمن فيها، وهذه الدنيا وإن ضحكت لك يوماً، فما بقيت لك دوماً...

فوالله لا عاصم من الموت، هو كظلك في نهارك، يلازمك حتى تحين منيتك، فيخطف روحك لتنتقل إلى دار الخلود الأبدى.

كأس من المر، من ذا يطلب المر

ستلحق المر يسرا منك أو عسرا

هذا شأنك مع الموت، فما شأنك بعد فراق إنسان عزيز عليك يسبقك إلى دار القرار؟

ترى أي لوعة تنساب بين أضلعك فتذكي في نفسك لهيب الأحزان؟ ترى أي شجون تغتال قلبك فتتسج أمامك خيوطاً سوداء مدلهمة؟

«الباشا في ذمة الله» هكذا

وبالخط العريض عبر صحيفة الجزيرة (٥٠٥٤)، خبر كالصاعقة يهز كيان من عرف ذلك الإنسان الذي عشق تراب هذا الوطن، واستقر بمركبه على شواطئه، وأخذ يجول فيها بأدبه وبفكره وبفؤاده، خدم عرويته بلسانه العربي وسانه الأدبي.

الناقد الأديب الحبيب الأستاذ بكلية اللغة العربية

بالرياض الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، شهاب الأدب الذي انطفأ، وحسامه الذي نبا، أستاذنا العزيز... أي حزن تركته فينا! أي لوعة بعد فقدك تعترينا! وما لنا لا نحزن وقد رحلت رحلة طويلة لن نراك بعدها في هذه الدنيا؟ رحلت وكنا قد تبادلنا التهاني بعد نجاحنا، لا لنجاحنا، ولكن لأننا نأمل أملاً كبيراً بأن تكون أستاذنا في العام القادم.

هذه الآمال تحولت إلى آلام... وهأنذا ترحل قبل أن نراك وقد غادرتنا إلى غير رجعة.

تركت فينا كلماتك النابضة الحية ونصائحك

القيمة الوفية...

أعطيتنا الثقة والأمل... أشعلت لنا شموع الأدب، فتنه وأفئنه، إجاباتك الرقيقة الممزوجة بابتسامة تتم عما تحمله في قلبك الطيب من تفاؤل ونظرة أمل جسدها يراعى الفياض، وفكره المعطاء في كتبك ومؤلفاتك، التي رغم قلتها إلا أنها تساوي الشيء الكثير؛ لذا فإنها ستبقى رمزا لنبل الغاية وصدق العطاء.



نايف رشدان العتيق (**)-السعودية

مصباح ليس يشبهه مصباح

لذي الأبواب إذ فقد الشهاب

شهاب قد حوى من كل علم

كنوزاً نحوها يسعى الركاب

فسلطان البلاغ بغير شك

وسلطان العلوم بلا ارتياب

(*) جريدة الجزيرة، ٥ أغسطس ١٩٨٦م. (**) الرياض - كلية اللغة العربية.

بكاية العشماوي أبكتنا (*)

— أحمد عبد الرحمن النمال - السعودية —

قرأت تلك القصيدة المؤثرة التي كتبها الشاعر عبد الرحمن العشماوي ونشرتها جريدتنا المحبوبة الجزيرة في يوم الخميس ١٢/٢/١٤٠٦ هـ ، وكان عنوان القصيدة «يا رب عونك» في رثاء الدكتور الفقيه عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله .

والدكتور الباشا من الرجال الذين كانوا يعملون بإخلاص وصمت، ولا أظن أحدا يطلع على صور من حياة الصحابة وصور من حياة التابعين - وهما سلسلتان أصدرهما الباشا، وأضفى عليهما من روعة أسلوبه ما جعل سيرة السلف الصالح في متناول الشباب المسلم-. أقول: لا أظن أحدا يطلع على هاتين السلسلتين إلا ويشعر بالحب الكبير للباشا، وبالتقدير لهذا العمل الذي قام به.

عبد الرحمن رأفت الباشا.. كان قويا في مواقف الحق لا يتراجع عنها، وقد نجح في ترسيخ فكرة الأدب الإسلامي. وأذكر أن آخر كتاب طبع له هو كتاب: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد.

إن في موته خسارة كبيرة بلا شك، ولكن الأمل معقود بالله تعالى، ثم بنخبة من الشباب الغيور الصادق في أدبه وفكره وفي مقدمتهم شاعرنا المتألق دائما عبد الرحمن العشماوي . الذي أشرف الدكتور الباشا على رسالته للماجستير عن باكثير، ويشرف أيضا على رسالته للدكتوراه كما علمت مؤخرا ■

(*) جريدة الجزيرة، السبت ١١ ذي الحجة ١٤٠٦ هـ ، ١٦ أغسطس ١٩٨٦ م.

سقى الله الكريم ثراه صوباً

له من كل رضوان رضاب

سيدترك الصغار والشباب بكتب صور من حياة الصحابة، وصور من حياة التابعين تلك التي سكبته روعة وجمالاً على كل لسان وفي كل قلب!!

تلك التي نمقتها بجمال عباراتك، وصورتها بروعة أساليبك. لن ننسى ما كنت تقوله لنا، عندما كنت تهيب بالسير قدما في الطريق الذي لا يناله المغرضون... عندها كنت تقول: «كلمة الباطل مهما طال إنماء غرسها فإنها لا بد أن تسقط، وكلمة الحق وإن طال حجبها لا بد أن تبرز واضحة متأقّة».

ولن أنسى نصائحك وتشجيعك لي عندما أعرض عليك شيئاً من شعري... نصائحك التي أعتز بها وأحاول أن أسير على غرارها... فتغمة: يا ولدي! ما زالت تسكن في أذني وتطرق شفاف قلبي.

حقاً..! إنك أب لمن درس على يديك، ولمن عرفك، ولجميع طلابك، أب تربوي كنت حريصاً على أن تنشئ جيلاً يعشق العلم والأدب، يساهم في نشاط الحركة الأدبية ليصان قدر اللغة والشعر والأدب.

لقد كنت نبيل المقصد، شفاف الجوهر، وهاب الحشاشة، سليم الفطرة، نقي السريرة، صافي النفس، مشرق الروح، متحمساً للعروة والإسلام، غيوراً على الدين والفكر والوطن، ومتصلاً بالله.

كنز حملته في دنياك، سيتبعك حتماً في آخرتك، ألا وهو حب الناس... الذين عرفوك وسايروك، الذين درستهم حضورياً، أو عن طريق القراءة في كتبك...

كل هذا الكنز شفيح بالخير لك يا ذن الله.

رحمك الله يا أبا اليمان!! وأسكنك فسيح جناته... وألهم ذويك الصبر والسلوان، وما لأنفسنا عزاء سوى رحمة الله الواسعة، هي كل ما يجعل قلوبنا تخفق أملاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.. ■



شده وآثره: فكيف لنا الاستفادة من كتاب التراث؟ (*)

— حمد العليان - السعودية —

ولقد استطاع أدينا رحمه الله الوصول إليه، فمثلاً نجده يذكر في الكتاب الأول تحت اسم الصحابي سعيد بن عامر الجمحي قوله المؤرخين عنه: «سعيد بن عامر رجل اشترى الآخرة بالدنيا، وأثر الله ورسوله على ماسواهما».

أما في عرض صور حياة الصحابي خباب بن الأرت في الكتاب السادس فينقل قوله علي بن أبي طالب: «رحم الله خباباً فقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً».

وهو ينقل حديث رسول الله ﷺ عن حكيم بن حزام في ذكره لصور من حياة حكيم في الكتاب الخامس: «إن بمكة لأربعة نفر أرباً بهم عن الشرك وأرغب لهم في الإسلام، أحدهم: حكيم بن حزام».

وهو ينقل حديث رسول الله ﷺ عن زيد الخير في الكتاب الثاني: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الأناة والحلم».

وأحياناً يستنتج ما يشتهر به الصحابي نفسه، فهو يقول عن نعيم بن مسعود في الكتاب السادس: «نعيم بن مسعود يعرف أن الحرب خدعة» حيث إن نعيماً طبق هذا المبدأ في تفرقه بين الأحزاب، وبذلك صد الأقوام والمهاجمين عن المدينة.

ثم تجد في سرده لحياة الصحابي أنه يسردها بأسلوب رائع سهل، وترتيب دقيق للحوادث، مبتدئاً بصفاته الجسمانية ومكانته في قومه قبل الإسلام، فهو مثلاً يقول عن البراء بن مالك في الكتاب الأول: «كان أشعث أغبر، ضئيل الجسم، معروق العظم، تقتحمه عين رائيته ثم تزور عنه ازوراراً، ولكنه مع ذلك قتل مائة من المشركين مبارزة وحده».

تناقلت الأخبار نبأ وفاة الأديب والكاتب الذي خدم الأدب الإسلامي وقدم جهداً لا يستهان به محاولة منه لصياغة التاريخ الإسلامي صياغة أدبية تعتمد على الروايات الصحيحة والموثوقة.. الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، أستاذ اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وسوف نقتصر في حديثنا حول مآثر هذا الأديب الكبير عما كتبه عن صحابة رسول الله ﷺ، والتي تعرض فيها للجوانب المضيئة التي اشتملت عليها حياة صحابة رسول الله ﷺ، والتي أعقبها بإصدار مجموعة أخرى تحدثت عن حياة التابعين لهم برضوان.

أصدر أدينا الكبير - تغمده الله برحمته - سبعة كتب احتوت على ملخص لصور من حياة ٥٨ صحابياً جليلاً من صحابة رسول الله ﷺ، ولم يغفل أن يذكر على غلاف كل كتاب أنه للفتيان والفتيات، فهو بهذا يمكن أن يقال عنه: إن ما كتبه هو للشبان في الدرجة الأولى، وهي أول محاولة لتقديم التاريخ الإسلامي بصفة خاصة للشبان.

ولقد نهج أدينا نهجاً جديداً في الكتابة قد نقول: إنه لم يسبق إليه أحد! فتجده - رحمه الله - في كل كتاب يتعرض لمجموعة من الصحابة متناولاً كل صحابي على حدة، ذاكراً ما اشتهر به هذا الصحابي من عمل ميزه عن الآخرين من صحابة رسول الله ﷺ، وقد يكون ما اشتهر به الصحابي حديثاً قاله رسول الله ﷺ فيه، أو قوله لأحد أصحابه، أو ذكراً ذكره المؤرخون عنه.

وهذا الاستنتاج فيما يميز الصحابة بعضهم عن بعض جهد يحتاج إلى تدقيق وعناء، وبعد نظر وسعة اطلاع.

(*) جريدة الجزيرة، ٢٢ أغسطس ١٩٨٦م.

وأعمقه، فهبني يوم الفزع الأكبر لأي منهم، فإنك تعلم أنني ما أحببتهم إلا فيك، يا أرحم الراحمين».

والحقيقة التي لا غبار عليها أن أدينا - رحمه الله - قد خدم فتیان وفتيات المسلمين بتقديم صور من حياة صحابة رسول الله ﷺ للاقتداء بهم، واقتفاء آثارهم، وهو لم يتبع الأسلوب التقليدي في النقل، إنما ابتكر أسلوبا سهلا ميسرا، وحاول إعطاء الصورة الحقيقية عن كل صحابي وما كتب عنه في مجلدات التاريخ وكتب الحديث.

وكفاه فخرا! لو اكتفى بهذا الجهد العظيم، ولكنه تعدى ذلك إلى التابعين من هذه الأمة، فقد أصدر ستة كتب ذكر فيها ثلاثين تابعيا، سلك في عرض صور من حياتهم نفس أسلوبه في الكتابة عن صحابة رسول الله ﷺ، وبدأ كل كتاب من هذه الكتب بمقدمة أيضا بخط يده قال فيها: «اللهم إني أحببت الصفوة المختارة من ثقات التابعين؛ حبا لا يفوقه إلا حبي لصحابة الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.. اللهم فهبني يوم الفزع الأكبر لأي من هؤلاء أو هؤلاء، فإنك تعلم أنني ما أحببتهم إلا فيك، يا أكرم الأكرمين».

ولقد كتب الله لهذه الكتب الانتشار، فقد طبع بعضها أكثر من ثماني مرات، وقد أدركت وزارة المعارف ورئاسة تعليم البنات في المملكة أهمية هذه الصور فقررت تدريس بعضها في مراحل التعليم المتوسط، وإنها لخطوة مباركة لكي يعرف أجيالنا شيئا عن صحابة رسول الله ﷺ وما قدموه للإسلام والمسلمين.

وإننا إذ نجد الحديث عن أدينا - رحمه الله - شيقا كما كان هو نفسه عندما كان حيا بين أظهرنا، نسأل الله له الرحمة والثبوة على ما قدمه من جهد في خدمة صحابة رسول الله ﷺ.

وإننا في تعرضنا لهذه الصور إنما هو دعوة لكل شاب وشابة إلى اقتناء هذه المجموعة النادرة وقراءتها، وتهمم معانيها لما فيها من الخير والمنفعة. وبالله التوفيق ■

وهو يقول عن زيد بن ثابت: «وهنا أقبل على الصفوف غلام صغير لم يتم الثالثة عشرة من عمره، يتوهج ذكاء وفطنة، ويتألق نجابة وحمية، وفي يده سيف يساويه في الطول أو يزيد عنه قليلا».

حيث يصف تدافع المسلمين على الاشتراك في الجيش الإسلامي السائر إلى بدر.

وهو في عرضه لصور من حياة الصحابة يسرد فضائل الصحابي، فمثلا يقول عن عبد الرحمن بن عوف: «هو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى يوم اختيار الخليفة بعد الفاروق، وأحد النفر الذين كانوا يفتنون في المدينة ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه حي قائم بين ظهرائي المسلمين».

وهو لا يسرد الوقائع مجردة، بل تجده يستشف الدروس والعبر التي لا بد من الاستفادة منها والاعتبار بها، مذكرا الشبان بهذه النماذج الحية التي دافعت عن الإسلام، وبذلت في سبيله المهج والأرواح، مستحنا الهمم على ضرورة الاقتداء بها وتتبع آثارها.

وهو لا يكتفي بذلك فقط، بل تجده يفسر الكلمات التي يرى فيها غرابة، لما يعلم أن جيلنا يحتاج إلى تسهيل لمفردات اللغة وبيان معانيها.

وبعد أن ينتهي من عرض صور الصحابي يدفعك إلى الاستزادة من أخباره، ويذكر كتب التاريخ التي تعرضت لحياة ذلك الصحابي الجليل، مشيرا إلى الصفحة والجزء. وهو بهذا يقدم خدمة جليلة بتيسير الرجوع إلى كتب التاريخ الكبيرة الأحجام، والمتعددة الفهارس.

وإننا في هذه الأيام إذ نفقده - رحمه الله - نسأل الله أن يجعل ما قدمه في ميزان أعماله، وأن يتقبل عنه، وأن يحقق له أمله حسبما ذكره في مقدمة كل كتاب من هذه الكتب القيمة، حيث ذكر - رحمه الله - بخط يده قولته: «اللهم إني أحببت صحابة نبيك محمد ﷺ أصدق الحب



عبد الرحمن الباشا ونقد الشعر التراثي (*)

د. سمر الديوب - سورية

ينضوي البحث عن منهجية النقد لدى عبد الرحمن رأفت الباشا تحت عنوان: نقد النقد، ويمتلك هذا الناقد رؤية إبداعية غنية لا تقف عند رؤية إبداعية واحدة، إنما تتعداها إلى رؤية شمولية فكرية وأدبية. لقد ترك مؤلفات في الرواية، والسيرة، والنقد، وبحث في ثقافتنا العربية الإسلامية والتحديات التي تواجهها، ولم يشأ لها أن تكون تابعا؛ لكي لا تنتهي وظيفتها في المجتمع. ويحوي الأدب الإسلامي الذي يعد الناقد من أكثر النقاد اهتماما به - مجموع القيم الإنسانية والأخلاقية والتربوية، فقد وجد أنه أدب قادر على مواجهة العراقيل الفكرية والثقافية التي ينتجها الآخر؛ لا ختراف قيمنا وأفكارنا، وتشويه إرثنا وتاريخنا.

(*) من بحوث ندوة الدكتور عبد الرحمن الباشا في دار الثقافة بإدلب، وزارة الثقافة السورية.

والقارئ نقدَ الدكتور الباشا يدرك أن ثمة وشائج متينة تربطه بالتراث؛ ذلك لأنه نظر إلى التراث على أنه دعامة أساسية من دعائم هويتنا، فحاول استثارة المعنى المدفون معتمداً على بلاغة التأويل، وثقافته اللغوية والجمالية، واستعان بأدوات القدماء؛ ليأتي بأبحاث مفيدة يمكن أن ندرجها تحت عنوان: النقد التطبيقي، في مرحلة زمنية مشرقة من تاريخ أدبنا العربي. إن جانباً مهماً من الثقافة العربية التراثية يسكن ذلك الرجل، ويمكن القول: إن من يقرأ نقده يشعر أن ثمة خلطاً بين الناقد، ونقده، فيصغي للنقد كما يصغي للناقد، ويحاول النقد كما يحاول الناقد.

يشكل التراث البعد الحضاري الحقيقي للموروث العربي، وللفكر العربي. فإنسان اليوم سليل قرون طويلة من الحضارات التي تشكل أسماء متعددة لمسمى واحد. وقد لا يجد الناقد صعوبة كبيرة في تطبيق رؤيته النقدية على شعر معاصر؛ ذلك لأنه يعيش المشكلات التي يعايشها المبدع، وليس الأمر كذلك حين يفكر في معالجة نصوص شعرية تراثية. فالأمر يحتاج إلى جهد مضاعف. وسواء أكان الشاعر قديماً أم معاصراً يعبر عن مشاعره، ويبني من الواقع أحلاماً، ومن الآمال آمالاً، ومن الحقيقة خيالاً.

وقد اتجه ناقدنا إلى الشعر القديم، فالشعر ديوان العرب، وعلم قوم لم يكن لهم علم غيره، كما أن التكوين الثقافي للعقل العربي تأسس على الشعرية، وبناءً على ذلك ظهرت حركة نقدية اهتمت بالشعر خصوصاً. وكان مهمة الباشا في إحياء التراث الشعري الذي يعيشه. فقد حمل الشعرَ قيماً رسّخها الشعراء مثلاً يفعل شعراؤنا المعاصرون، فتقف الناقد نفسه بعقلية نقدية حافلة بالإبداع ارتبطت بالتراث، وتجاوزت مع ذاته اليقظة، ورؤيته الصافية التي التقطت ما

يعدّ هذا الناقد من المثقفين الملتزمين الذين تماثل لديهم الفكر والممارسة، فلم يكن يمكن التفريق بين حياتهم الخاصة، وحياتهم العامة. إنجاز الباشا النقدي ضخم، يشير إلى أن هذا الباحث يمتلك الكثير، ويحرص على تقديمه لمحبي التراث. ولم يكن إبداعه كمياً فحسب. إنه نوعي، فقد ركز على التراث الشعري نقداً، ودراسة أدبية. وثمة اهتمام واضح بمرحلة أدب صدر الإسلام وتاريخه، والصور الثقافية التي تجلت فيه، وجمع بين الأدب والنقد. وربما استطاع من خلال نظراته النقدية أن يأتي بشيء متميز على صعيد كتابة الرواية.

«نقد الشعر التراثي وعلاقته بالهوية»

يعني نقد النقد فيما يعنيه الكلام على الكلام، وهذه المهمة صعبة، على حد تعبير أبي حيان التوحيدي في كتابه الجامع عمق الفكرة وجمالية الصنعة. ففي أثناء إجابته عن سؤال: أحب أن أسمع كلاماً في مراتب النظم والنثر، وإلى أي حد ينتهيان، وعلى أي شكل يتفقا، وأيهما أجمع للفائدة وأرجع بالعائدة، وأدخل في الصناعة، وأولى بالبراعة؟ يجيب التوحيدي: إن الكلام على الكلام صعب. قال السائل: ولم؟ قال التوحيدي: لأن الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور، وشكلها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحس ممكن، وفضاء هذا متسع، والمجال فيه مختلف. فأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه، ولهذا شقُّ النحو وما أشبه النحو من المنطق، وكذلك النثر والشعر.⁽¹⁾ وعلى ذلك يمكن للقارئ أن يستنتج من كلام أبي حيان أنه قصد نقد النقد، وبناءً على ذلك يدور النقد على نفسه فقد طالبه السائل بالموازنة بين الشعر والنثر، وسمّى هذا العمل: الكلام على الكلام.



وينتظم نقده مجموعة من الأسس المعيارية، والخصائص الأسلوبية، والطموحات النقدية يمكن أن نفصلها بما يأتي:

«الأسس المعيارية في نقد الباشا»

أ. التلازم بين العملية النقدية والهم الوطني والذاتي؛

كان الهم الوطني شاغلاً له، فقد دفعه إلى دراسة شعر الشاعر علي بن الجهم وحياته ببيتين حفظهما من دليته، ورأى أنهما يعبران عما كان يحصل في سورية حين كانت ترزح تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وكان الشعب في سورية يناضل من أجل حريته نضالاً حرّاً. فوجد في البيتين أصدق تعبير عما في نفسه ونفوس أولئك الذين يساقون إلى السجن زمرّاً.

وحين عرضت في البلاد مناسبة ردّد هذين البيتين وهما:

قالت: حُبست، فقلتُ ليس بضائري

حبسي، وأني مهنّد لا يُغمّد

والحبس ما لم تغشه لدنية

شنعاء نعم المنزل المتورّد

فشاعا بين الناس، وأصبحا أحد الشعارات التي رفعها المجاهدون في وجه فرنسة وسجونها الرهيبة.^(٢)

لقد شعر أن النص الأدبي مرتبط بتجربة ذاتية، فأضاف إلى الدراسة الأدبية عناصر خارجة عنها، واعتنى بالجوانب النفسية والاجتماعية والسياسية في سياق تحليل الشعر، وعلى سبيل المثال وجد في مجال تحليله المديح لدى علي بن الجهم أن هذا المديح الشعري أتى استجابة للناس في تلك الفترة، وتعبيراً عن مدى الولاية للخليفة، فكان مديحه تعبيراً عن قضايا عصرية، كما كان نقده تعبيراً عن

وافقها، يقرأ ويحلل، ويقلب الكلام ظاهره، وباطنه، ولم ينظر إلى التراث نظرة معزولة عن سياقها التاريخي والثقافي والجغرافي، وبذلك لم يخرج عن المبدأ القائل: (حينما أتكلم أتكلم نفسي، وأتكلم ثقافتي)^(٢).

«خصائص نقده الشعر التراثي»

تختلف مناهج النقاد في دراستهم النصوص التراثية ما بين منهج تقليدي يهتم بالخصائص اللغوية، والمكونات الثقافية التي شكلت النص التراثي، ومنهج حديث يعتمد على معطيات المناهج



النقدية الحديثة من تفكيكية، وأسلوبية، وعلامية، وبنوية، وغير ذلك.

ويتميز النص التراثي من غيره من النصوص بخصوصية يجب على الباحث مراعاتها، تتمثل في الخصوصية المتسمة بالاستناد إلى نصوص محددة كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والأدب العربي القديم، فيكون الموروث مادته لغة، وبلاغة، وثقافة.

ففي كتابيه علي بن الجهم، وشعر الطرد يبدو فكره النقدي نيراً. وهو لا يكتفي بالمادة المأخوذة من الديوان فقط.^(٧) ولا يقف عند معطيات الديوان، حتى إنه يجد فيه بعض الخلل، ويحاول توضيحه (ولعل الذي أوقع الأستاذ خليل مردم في ذلك أنه كان هناك شخصان متعاصران، اسم كل منهما محمد بن الجهم، وأن كلاً من الرجلين اتصل بالمأمون، وولي له بعض الأعمال، غير أن أحدهما كان فارسياً متصلاً بالثقافة اليونانية، والآخر عربياً متصلاً بالثقافة العربية)^(٨).

ويعتمد في دراسة حياة الشاعر على معطيات التحليل النفسي، والمؤثرات السياسية والاجتماعية والدينية في إبداعه الشعري، ويركز على خصوصيات العصر والثقافة. ف (الأدب مرتبط بصورة حيوية بأوضاع البشر الحياتية: فهو ملموس وليس مجرداً، يبدي الحياة بكل تنوعها الخصب، وينبذ البحث المفهومي العقيم مقابل الشعور بما هو حيّ، وتذوقه)^(٩) ويعتمد منهجه على ترجمة حياة الشاعر، ثم النظر في شعره، فقد ترجم لشعراء الطرد، ثم نظر في طردياتهم^(١٠) من جهة الخصائص المعنوية والموسيقية والتصويرية.

ج - الانتقال من المقدمات إلى النتائج:

منهجه هذا قاده إلى استعراض المعاني في شعر الشاعر، ثم الوصول إلى نتائج مستقاة من المادة التي رصدها. فبعد أن يستعرض طرديات أبي النجم العجلي يستخلص خصائص شعر الطرد لديه.^(١١) وبذلك يحيط بالموضوع من كل جوانبه. وفي دراسته شعر علي بن الجهم يجتهد في مناقشة روايات المصادر التاريخية، والاستدلال على الصحيح

هم فكري ووطني. لقد وافق هوى علي بن الجهم السياسي هوى المتوكل في ذم الطالبين، والاحتجاج للعباسيين.^(١٢) فوافق شعره هواه السياسي، وكان المتوكل أشد الخلفاء العباسيين كرهاً للطالبين.

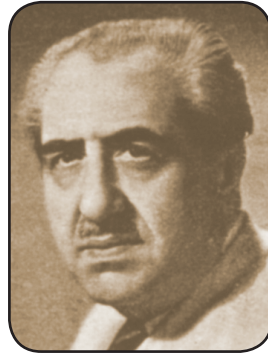
أعطى الباشا من ذاته للموضوع، فرأى الموضوع من خلال الذات، أو رأى الذات من خلال الموضوع. ويعني هذا الكلام أن النص الشعري يقدم إلى المتلقي من الداخل، لا من الخارج. أما في دراسته شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري فقد مزج بين حاله الذاتية والنص الشعري

معللاً سبب اختياره هذا الشعر مادة للدراسة بأنه قام برحلة في أعالي نجد من الجزيرة العربية، ومتعة هذه الرحلة حسمت الأمر، وقطعت التردد، وجعلته يقدم على دراسة هذا الشعر^(١٣).

ب - دراسة خصائص العصر والإحاطة بحياة الشاعر:

عمد الباشا إلى التدقيق في صلة النص الشعري بمشكلات التاريخ، والخصائص الثقافية الأخرى. يرى صاحبنا نظرية الأدب أن (أولى مهمات البحث تجميع مواده، والكشف المتأني عن آثار الزمان، والتأكد من المؤلف، ومن النص وتاريخه)^(١٤).

ويعتمد في دراسته حياة الشاعر أو عصره على الأفكار المأخوذة من المصادر، ومناقشتها. وفي هذا الأمر دليل على نظرته النقدية التي لا تقبل بالأمر على علاته، إنما تقلب الخبر، وتناقشه فتقبله، أو ترفضه بناءً على أسس واضحة. وهذا ما فعله في دراسته حياة الشعراء الذين وقف على شعرهم.



خليل مردم بك



فلم يسفر بحثي الطويل الصابر إلا عن طردية واحدة كبيرة، وترف صغيرة من طرديات ضاعت بواقبها.. وقد بذلت الجهد في إيضاح غموضها، وإزالة اضطرابها، وتصحيح تصحيفها، وشرح معانيها حتى استقامت معنى ومبنى، وغدت ميسرة للقراءة والدراسة^(١٤).

ورافقت ممارسته النقدية هذه ممارسة على أرض الواقع أيضاً؛ (فهذا الشعر شعر الطرد في جملته وصف للصيد في حالاته المختلفة، وكيف يستطيع المرء أن يدرك الصفة وهو لا يعرف الموصوف، ومن أين

له أن يتذوق النعت، وهو خالي الذهن من المنعوت؟)^(١٥).

كان هذا الكتاب سرداً لقصته الطردية العربية من نشأتها إلى نهاية القرن الثالث الهجري، روى من سيرتها ما استطاع روايته، وقدم للقارئ من خلالها ثلاثين ومئة طردية، ثم قومها، وأبرز أهم خصائصها، ومزاياها. كما اجتهد في أثناء دراسته شعر ابن الجهم في ترتيب القصائد المأخوذة من أمهات الكتب ترتيباً زمنياً متصلاً، ونظر في ذلك إلى تطور القصائد مع تطور

نفسية الشاعر. ف (الدارس لهذه القصائد وفق ذلك التسلسل يرى أنها ترسم خطأ بيانياً واضحاً لنفسية الشاعر من أول يوم دخل فيه السجن إلى آخر يوم خرج فيه منه)^(١٦)

هـ - اجتماع الوصف والتحليل والقدرة على التأويل:

وقد مررنا أن التأويل كان ناتجاً من النص الشعري، أو النص التراثي الذي كان يأخذه من أمهات

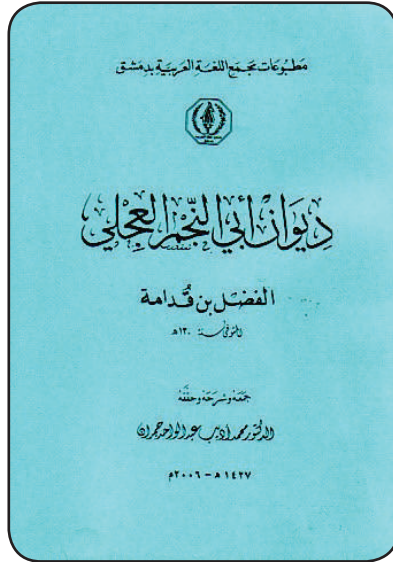
بالاحتكام إلى العقل والمنطق^(١٧). ولعل جهده النقدي في هذا المجال يندرج ضمن ما يمكن تسميته بالنقد التاريخي التجريبي، فقد شعر الناقد بالحاجة إلى التجريب النقدي المنطلق من النص الأدبي، والنص التراثي، وأمسك بالأداة النقدية المناسبة للحوار معه. فاستخرج أفكاره من باطن النص التراثي شعرياً كان أو نثرياً، وأضاف إليها أفكاراً نقدية أسعفته على التقويم النقدي. ومما لا شك فيه أن هذا النوع من الممارسات النقدية يثري الفكر.

والباشا من النقاد الذين أسسوا لمنهج نقدي إسلامي، وهو لا يستطيع أن يرسى أفكاره النقدية من دون تجريب. فلم يول اهتمامه للشعراء الأعلام في التراث العربي الإسلامي فقط، لقد اهتم أيضاً بالشعراء المغمورين شأنهم شأن الأعلام، فدراسة شعر الطرد لدى أبي نواس مثلاً، أو لدى أبي النجم العجلي لا تعني عدم الاهتمام بطرديات عبد الصمد بن المعذل، أو الناشئ الأكبر، أو الشمرذل ابن شريك اليربوعي.^(١٨) فركز

على الشخصيات المتفردة والمغمورة، واهتم بالجوانب المشهورة والفريدة في الأدب مدركاً أن الأدب يعني تكامل الفريد والمتشابه.

د - الرغبة والإصرار والعمل الدؤوب:

كان الباشا باحثاً لا يكل، ولا يمل في وقوفه على النصوص التراثية. والرغبة في العمل، والإصرار عليه من أهم الأسباب التي تولد ناقدًا متميزاً. يقول: (لقد بحثت عن طرديات عبد الصمد بن المعذل ما وسعني الجهد



لقد نظر إلى التراث بوصفه وحدة متصلة، مدركاً أهمية صلة اللغة العربية بالهوية القومية ضمن عمله في مجال نقد الشعر التراثي، ومدركاً وظيفة الدراسة التكاملية بين الشكل والمضمون، ووظيفة الجوانب البلاغية والنقدية في النص التراثي. فأية (دعوى من دعاوى تجديد العقل العربي، أو نقده لا يمكن لها أن تتغافل عن المكون النقدي والبلاغي داخل التراث)^(٢٠).

تتمثل نظرته إلى الشعر التراثي من جهة كونه ينبت قوته، ويحمل رموزاً كبيرة وعميقة لها أكبر الأثر في صياغة الشخصية العربية، وهاجس التراث الذي حمله في قلبه هاجساً فنياً عالي الطموح كَوْن لديه موهبة النظر إلى النص بوصفه وحدة متكاملة من جهة اللغة والصور والإيقاع، فكان بذلك أشبه بالصيد الذي يحرك طريدته؛ ليبعث فيها الحياة في سكون الغابة، والناقد صياد للصور واللغة والأفكار والرؤية والرؤيا. وهو مبدع آخر يشارك المبدع الأول في إضاءة جوانب الجمال في النص الشعري وبذلك شعر أنه ليس في حاجة إلى استعارة أية خصوصية نقدية من الشعوب الأخرى مع أن هذا الكلام لا ينبغي تقديره خصوصية الآخرين.

ز. اجتماع الموهبتين النقدية والأدبية في شخصيته:

اعتنى الباشا بالأدب إبداعاً ونقداً عناية كبرى، وكان من الرواد الذين عملوا في مجال الأدب الإسلامي. وقليلة هي الأبحاث التي اتخذت من الأدب الإسلامي مادة لها مقارنة ببقية العصور الأدبية. وثمة علاقة تكاملية بين الإبداع الأدبي والنقد، وبين المبدع والناقد، وكل من الطرفين يؤثر في الآخر، ويقدم مادة لعمله، وربما نستطيع القول: إن النقد يكون متميزاً في حال كون الناقد أدبياً؛ لأنه في هذه

الكتب. وكان واضحاً لديه تجنب الأحكام النقدية الشائعة؛ لالتزامه بمنهجية واضحة. فكان يقف على النص الشعري، فيبرز المعاني الكامنة في علاقتها بالأسباب النفسية والاجتماعية. والرؤية الكلية أو ما يقاربها (لا ينالها إلا من تعلموا كيف يصنعون مزيجاً من الاستبصارات التي تمخضت عنها الطرائق النقدية العديدة).^(١٧) فوعى علاقة الشعر بقضايا العصر وخصائصه التاريخية والثقافية، وجمع بين الجانب الوصفي في الدراسة، والجانب التحليلي، وبحث في النسق المضمري، وأوّل ما يحتمل التأويل والتفسير من داخل النص الشعري. وكان يمتلك قدرة تأويلية واضحة، فقد انطلق من إشارات تاريخية بسيطة، ومعلومات متناثرة لا ينظمها ناظم، فتحوّلت الإشارات البسيطة إلى تأويل محكم. وبذلك ابتعد عن التأثرية، أو الانطباعية واقترب من النقد الموضوعي.

و. منهجه نقدي كلاسيكي:

يقوم منهجه على تلاحم الوصف والتحليل مع الذوق والتعبير والإيقاع.. للشكل والمضمون معاً، وقد اعتنى بالعناصر الشعرية ففرض موضوعات الشعر لدى ابن الجهم مثلاً. ثم أتبعها بدراسة لعاطفته، وخياله، وصوره، وخصص فصلاً لدراسة أغراضه الخاصة. ويقصد بها شعره المذهبي، وشعر السجن، وأرجوزته في التاريخ، ثم أنهى بحثه بفصل عن خصائص شعره المعنوية والأسلوبية والموسيقية.^(١٨)

ونلمح لديه رغبة شديدة في تأصيل النص التراثي من خلال الدراسة النقدية؛ لذلك اهتم بالبلاغة، والأسلوبية من خلال الاتجاه الوصفي التحليلي الذي جمع بين دراسة البلاغة واللغة والموسيقى والمعنى الشعري، ويرى جورج واتسون أن هذا الاتجاه النقدي هو (النوع الوحيد الذي فيه اليوم شيء من الحياة والنشاط).^(١٩)



إلى الرواية، فقد ظلت بعيدة عن دائرة اهتماماته النقدية. وكم كان حرياً به أن يربط من خلال رؤية الرواية نقدياً مكونات الثقافة الوطنية، ومدى ارتباط الرواية بها، ويقرأ نقدياً الإيديولوجيات الغربية.

ومن المعروف عن الأديب إذا كان ناقداً أن يعمم رؤيته الإبداعية على نقده. لكن الباشا قد اتخذ مجالاً بعيداً عن مجال الشعر التراثي، فلم تتعد أفكاره النقدية الشعر التراثي لتصل إلى نقد الرواية.

والجدير ذكره أن ظاهرة الأدباء النقاد ظاهرة قديمة في تراثنا العربي، نرى بذورها منذ العصر الجاهلي على يد أوس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى، وابنه كعب، والحطيئة. فقد كان هؤلاء

الشعراء يجمعون الشعر والنقد، فيخرجون قصائدهم بعد أن ينقحوها حولاً كاملاً. وتعد هذه العملية نقديةً تطبق على النص الشعري.

واستمرت هذه

الحركة النقدية الأدبية

مع عصور الأدب كما نرى

لدى الخنساء، والنابعة الذبياني وحسان بن ثابت، وجريير، وابن المعتز.. وعندما يركز الأديب على معايير النقدية يأتي بنقد فني متميز إذ يجمع بين لغة الوجدان ولغة العقل.

ح - الموازنة بين الشاعر المدرّس وغيره من

الشعراء:

من المعروف أن الموازنة تثري الدراسة الأدبية، وقد ساعده الإبداع على اتسام أحكامه بالدقة

الحال يكون أديباً على تواصل بالنقد والنقاد، وهذا التواصل إيجابي يرتقي بأدبه ونقده. وقلة أولئك الذين جمعوا بين الأدب والنقد. ولعل هذه الميزة قد مكنته من أن يكون لديه فكر نقدي تحليلي فني جمالي، فقد قلّص المسافة بين المبدعين والنقاد، وأصبح يتعرف موقعه داخل المدرسة التي ينتمي إليها، ونظر إلى أدبه نظرة نقدية فاحصة بغية تطويره. إنه ناقد مقوّم، وأديب مبدع. وقارئ متذوق كان وفيّاً لتراثه، ملتزماً، طموحاً، مثابراً، مثقفاً، ثقافة أدبية ودينية.

ويمكن أن نعدّ فهمنا شخصيته مفتاحاً للدخول إلى عالمه النقدي. ف (الشخصية هي تلك التي تتيح لنا تنبؤاً بما سوف يعمل الشخص في موقف معين) (٢١).

ولعله أدرك أن ثمة علاقة بين

الرواية ونقد التراث، فقد أراد

أن ينقل تجربته الإبداعية

بلغة نقدية متميزة،

وشغف بالإبداع الروائي

الذي حمل همّه الوطني

مثلما شغف بالممارسة

النقدية.

ومما لاشك فيه أن الناقد الأدبي

الذي يعاني همّاً وطنياً تختلف رؤيته النقدية عن ناقد آخر لا يعاني هذا الهم. فالجانب الذاتي أمر طبيعي في العملية النقدية، وبذلك نقرأ أعماق الناقد، ورؤيته، ورؤياه، ويشترك الأديب والناقد في حساسيتهما، وعمقهما الشعوري مع الاختلاف في طبيعة النظر إلى الأمور.

وقد يضمّن الناقد السرد الروائي بعض اللمحات

النقدية، فيقدم ما يطمح إليه عبر النص الأدبي.

واللافت أن الباشا كتب الرواية لكن نقده لم يصل



والموضوعية. ف (لا ينتظر من علي بن الجهم أن يكون شاعراً حكيماً كصديقه أبي تمام مثلاً، ذلك لأن الحكمة عند الشاعر العباسي...) (٢٢).

ط. وظيفة الأدب والنقد لديه :

يرى أن للأدب رسالة يجب أن يؤديها تتمثل في التزام حرّ بقضايا الإنسان والوطن، ويتوجب على الأديب المشاركة في تشخيصها. ويتمثل هذا الكلام ومفهوم الالتزام مع أننا نجد أن له نظرة خاصة، فهو يرى الأدب فوق كل التزام، وفي الوقت نفسه يرتبط الأديب بقضايا أمته، والتعبير عن سعيها للخلاص، وقد طبق هذا الالتزام من خلال أدبه ونقده معاً (٢٣). ويرى أن على الناقد مسؤولية كبرى من جهة كونه يبحث عن حقيقة ما، وكل نص شعري يحاول أن يقول شيئاً ما، وعلى الناقد بأدواته أن يدخل إلى مواطنه، وأن يكتشفها، ويجب أن يكون وعي الناقد بالنص الشعري متجاوزاً فهم المبدع؛ ليستطيع تلافي الثغرات. فالنقد لديه مشاركة في العملية الإبداعية، وبذلك تتحقق وظيفة النقد في تقويم حركة الفكر والإبداع، كما يرى أن النقد إبداع. وقراءته عملية إبداعية، وحرّي بالناقد أن يتحلّى بالإبداع؛ لكي يقترب من الإبداع. وأن تقوم عملية الإبداع على الثقافة التي يمتلكها المبدع. فلا بد للموهبة من ثقافة، ولا بد للثقافة من موهبة.

شكلت مؤلفاته النقدية مادة متنوعة، ومتابعاته التراثية طابعاً خاصاً يشكل ثقافة نقدية خاصة ذات نمط متغير، نقيض لثقافة الامتثال في الوظيفة. يتناول تفاصيل الحياة الفكرية والدينية والأدبية. وبذلك يكون النقد نقداً للمرجعيات المعرفية كلها. وتتحدد علاقته بالتراث بصفاتها فعلاً إيجابياً ضمن الحياة التي يحيها بعلاقاتها المختلفة، فلا يوجد نقد وأدب من دون معرفة، ولا قارئ فاعل من دون ثقافة.

والفعل النقدي القادر هو المحاور حوار الناقد والقارئ، وبذلك يخوض القارئ والناقد معركة واحدة، ويقترب كل منهما من الآخر. فكل ممارسة نقدية هي إنتاج لشكل معين من الاستقبال النقدي.

لقد نظر إلى الشعر التراثي على أنه يمتلك وظيفتين: وظيفة فنية جمالية نقدية، ووظيفة إيديولوجية، وبذلك تكون ثقافته النقدية ذات طبيعة قادرة على التغير، لا ثقافة امتثال، تنزع إلى المستقبل، وتهدف إلى تحرير الفكر والإنسان انطلاقاً من التراث. إنه يبدأ من التراث لأخذ ما يجب أخذه منه، وينتهي إلى ما يجب أن ينتهي إليه، وهو الوعي بالواقع من خلال التراث. ركز الباشا على الموجود في قراءة النص، لا على الموجود في النص نفسه، وعمد إلى تفهم النص الأدبي أولاً، وتذوقه ثانياً. ولم يتأت له ذلك لولا الممارسة النقدية المستمرة، والتواصل مع التراث. فعملية التذوق عند الناقد الأدبي تسبق عملية التحليل بغية الوصول إلى حكم نقدي (٢٤).

ي. الموضوعية :

تميز نقده بالمصداقية؛ فهو يظهر الإيجابيات، ويتوقف عند السلبيات. ولم يجعله هاجس التراث يغمض عينه عن مواطن الضعف في الشعر المدروس. فقد عاب على ابن الجهم تكلفه الشديد الذي يبذو أكثر وضوحاً في رثاء أبي تمام حتى لكان الشاعر يقصر نفسه على القول قسراً، ويحملها عليه حملاً (٢٥).

أما اللون الذي دعاه بالغزل العارض لدى ابن الجهم، فهو أضعف غزله بناءً، وأقله رواء؛ ذلك لأنه يُطلب، ويحمل عليه، فيُفسر نفسه على قوله (٢٦).

لقد كان موضوعياً في منهجه، فوقف على مسافة من النص الأدبي، أدواته في الموضوعية هي التحليل، والحكم، والسيطرة على ثنائية الداخل والخارج في النص.



وقد أثرى الباشا مفردات اللغة النقدية (ولعل في ذلك كله ما يوحي بقدرة الشاعر على مدّ طاقات اللفظة، وجعلها تتجاوز الحدود الذهنية التي رسمتها لها كتب اللغة، وتثير في القارئ كثيراً مما أكنّه في عالم نفسه، وتؤدي للشاعر ما تعجز اللفظة المحدودة عن تصويره.^(٣٢) ولا يفهم من هذا الكلام أن تلك السمة الإنشائية غالبية على اللغة النقدية. فلو طغى الكلام الإنشائي لوصل الباحث إلى إحدى طريقتين: النتائج الخاطئة، أو الخروج عن الموضوع، وكان الباشا يجمع بين لغة النقد ولغة الإبداع.

ب. صيغة السؤال:

كثيراً ما كان يصوغ أفكاره في شكل أسئلة وتساؤلات يقدم من خلالها رؤية خاصة للفترة المدروسة مستفيداً من مخزونه النقدي الثقافي، ومستنداً إلى معطيات الجماليات النقدية بقراءة واعية هدفها التركيز على الإنسان المبدع. وبذلك يكون النقد نقداً للمرجعيات المعرفية كلها.

وقد قدّم السؤال من أجل أن يشاركه المتلقي في العملية النقدية، ولإضافة جو من التشويق إلى النص، (ونحن نتساءل بعد ذلك هل تطورت قصيدة المديح عند ابن الجهم خلال السنوات الثماني التي اتصل فيها بالمتوكل كما تطورت علاقته به، أو أنها بقيت محافظة على سمتها الأولى حين أنشده أول قصيدة بين يديه)^(٣٣) يمثل السؤال مفتاحاً للدخول إلى القضية التي يدرسها، ويعرض لها، وهو يبدو من أول السطر؛ ليزيد من بروزه.

وقد يحمل السؤال إجابته معه، وهي خصيصة أسلوبية ظاهرة في نقده، وأسلوب يحمل معه درجة عالية من تنظيم المعرفة، ويشوق المتلقي، ويثيره، ويحثه على الاستماع، فلا يتركه وحيداً، ثم يتبع

ويربط النص بمبدعه، فلا يمكن للنص أن يأتي من فراغ؛ لأن له صلة بحياة المبدع الذي يحمل فكراً يظهر في نصه.

يؤكد هذا الكلام مرة أخرى صلة النقد بناقده إذ إن (باستطاعتنا دراسة النقدة، ونحن نستقصي الأساس الذي تركز عليه مؤلفاتهم، وسداد أحكامهم، أو عمقها، أو المقدرة التي يظهرونها في التحليل والمحادثة، وفي فن المجادلة)^(٣٧).

«الخصائص الأسلوبية في كتابته النقدية»:

أ. لغته النقدية المشرقة:

من أبرز سمات لغته النقدية تزاوج النقد والإبداع لديه، فهو يستخدم اللغة الأدبية الشفافة؛ لتوضيح أفكاره في كثير من الأحيان، فيقدم للقارئ لغة مشرقة تجمع بين مصطلحات النقد، وأأسسه، والألفاظ الحافلة بالخيال. ولعل ذلك الأمر يعود إلى ميزة الجمع بين الأدب والنقد، إذ تعد هذه الخصيصة تحرراً من جمود اللغة النقدية. يقول: (ثم أقبل الحكام والمحكومون على الترف يتربعون منه ثم لا يرتوون، وأوغلوا في المتع يلهثونها التهاماً ثم لا يشبعون)^(٣٨).

وتبدو عنايته واضحة بالإيقاع في الجملة النقدية (كانت نفس الشاعر بعد مصرع المتوكل تمور بشتى الانفعالات، وتهتز بمختلف العواطف)^(٣٩)... (وقد بلغ من يأسه أنه جعل يفرّ من الأحياء ومغانيهم، ويفزع إلى الأموات وقبورهم، ليجد فيها السلوة لمن أساه والأنس من وحشته...) (٣٠).

وقد جمع بين إنشائية العبارة النقدية وحسن التقسيم يقول: (الشعر باب من أبواب الكلام، وضرب من ضروبه، فصالحه صالح، وهو مقبول، وفاسده فاسد، وهو مرفوض)^(٣١) ولهذا اللغة النقدية المشرقة وظيفة في تطوير السياقات الدلالية.

الثرية في قدرتها على التأثير في القارئ، وإدراكه العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والهوية القومية من خلال ممارسته النقدية؛ ذلك لأنها تمثل الخصائص الثقافية العربية والإسلامية. وقد ساعدته خلفيته الأدبية وخلفيته الفكرية على ولوج باب النقد، وفتحت الأفق أمامه لقراءة العصر.

هـ- الاستشهاد:

هدف الباشا من خلال الاستشهاد إلى توثيق الفكرة التي قدمها من خلال السرد، أو أفعال الأمر، أو إثارة الأسئلة. وتعد هذه الخصيصة مشتركة، لا تخص الناقد وحده، وتكمن قيمتها في توظيف الشاهد سياقياً فقد يذكره؛ ليعارضه، أو ليدعم فكرته، أو لشرح وجهة نظره، أو ليدل على قضية ما. وقد يستشهد بأي من الذكر الحكيم^(٤٠)، أو الحديث النبوي الشريف، وقد يستشهد بشاعر آخر^(٤١) أو بنص من كتب التراث.

السؤال بتفسير ما قصد إليه، لقد كان يدرك أن ثقافة السؤال أهم من ثقافة الجواب إذ تكمن مهمة التأويل والاستنتاج (في إثارة التساؤلات بدلاً من الإجابة عنها، والتساؤل عن شيء ما بدلاً من الاستنتاج منه، وخلق مكان حيث يمكن أن تحدث المواقع فيه بدلاً من التكلم انطلاقاً من المواقع)^(٣٤).

ج - صيغة الاستفهام الذي يخرج إلى معان أخرى:

تؤدي هذه الخصيصة وظيفة مشابهة للوظيفة السابقة، تحرك ذهن المتلقي، وتجعله مشاركاً في العملية النقدية (وعلي بن الجهم لم يكن جزوعاً إذا مسّه الضرر، فكيف يجزع لموت الآخرين)^(٣٥)، (فهل رأيت تعبيراً عن الحنو أبلغ من قوله...؟)^(٣٦). وقد اقترح رولان بارت أن يسهم القارئ في وقائع النص، لكي يغدو قادراً على خلق سياقات مؤتلفة ومختلفة، وعلى نحو تصبح معه كل قراءة بمنزلة تحدّ لذاكرة هذا القارئ، بل يغدو النص نفسه نصاً داخلياً شخصياً أكثر منه نصاً نهائياً محدداً^(٣٧).

د - أفعال الأمر:

عمد الباشا إلى محاورة القارئ من خلال أفعال الأمر، فكسر الحاجز النفسي بين المادة النقدية والقارئ، وشاركه في العملية النقدية؛ ليتدرب على التمييز والمفاضلة، وولد في داخله شرارة؛ ليتعرف إلى هذا التراث الثر. وكثيراً ما كان يخاطب القارئ بقوله: (استمع، اقرأ)^(٣٨)، (فاستمع إليه وهو يصف لك حفل صيد اشترك فيه الشاعر مع هشام بن عبد الملك...)^(٣٩) ولعل اهتمامه بهذه الجوانب اللغوية دليل ناصع على إدراكه وظيفة الجوانب اللغوية



و. الاعتراض:

- عمل على إيجاد دراسات تأسيسية منهجية من خلال النقد التطبيقي للمجموعات الشعرية والقصائد المفردة.

- وقد رأى أن النقد المتصل بالشعر القديم نقد يعتمد على إصدار أحكام نقدية عائمة، فسعى إلى ضبط المصطلح النقدي العربي، ووضع لبنة في سبيل تحقيقه، فابتعد عن الاستيراد الأعمى من الخارج، ورأى أن الأدب جهاد في حياة المسلم، وله أهمية كبرى في بناء المجتمع الإسلامي^(٤٤).

- ودعا إلى مذهب إسلامي في الأدب ونقده، وبحث في مهمة الأديب الإسلامي في بناء المجتمع (لا ريب في أنك حين تسمعون ندعو مع الداعين إلى إقامة مذهب إسلامي في الأدب ونقده ستقول في نفسك: يحسن بكم قبل الكلام على هذا المذهب وأسسهِ وتطبيقاته

يعلل الاعتراض الحالة النفسية للشاعر الذي يدرس شعره، ويأتي الاعتراض عن طريق عبارة تحليلية تعليلية، وهو اعتراض تعقيبي، إذ يأتي بجملة يعقب من خلالها على قضية ما، يقول في حديثه عن علي بن الجهم: (ثم يعرض الشاعر للناس صوراً مشرفة من حكم المتوكل تقابل تلك الصور القائمة؛ ليبدو لهم الفرق بين العهدين، كما تفعل وسائل الإعلام في العصر الحديث. من ذلك أن الخليفة أخذ بمبدأ الشورى في سياسة البلاد...) (٤٢)، (ولا عجب فقد أصبح للشاعر حساده كما يقول في إحدى قصائده الأخيرة، وغدا يقف في القصر...) (٤٣).

طموحاته النقدية:

تميز نقد الباشا بالتكامل بين الجانب

التنظيري والتطبيقي، وبين النقد

التحليلي والتركيب، كما تميز بأنه كان نقداً تطبيقياً تأسيسياً، وقد طمح إلى أن تكون علاقة النقد بالإبداع علاقة تكاملية، فيأخذ النقد

مادته من التراث الشعري،

ويعمقها بالنظر العميق فيها من دون أن يهمل الرواية، وهي منجز عصري، ونتاج حضاري:

- فزواج بين المعايير النقدية المعتمدة على أصول تراثية، والمستجدات العصرية.

- وطمح إلى إخراج شعراء مغمورين إلى ساحة النور.

- قدم لغة نقدية مشرقة، متخلصة من الكلام المترهل، تعتمد على التكتيف والتركيز.

- حاول تقليص المسافة بين النص الإبداعي والمتلقي، وذلك عن طريق الارتفاع بذائقة المتلقي بخلق

ذائقة نقدية متميزة لديه.



أن تقفوناً على موقف الإسلام من الأدب ونظرته إليه^(٤٥).

أراد من خلال النقد أن يقدم النماذج الطيبة، والقذوة الحسنة، ليكونوا مثلاً في العمل الصالح، وصحح مفاهيم خاطئة عن موقف الإسلام من الشعر والأدب عامة، وكان مذهبه في الأدب الإسلامي ونقده سلاحاً لمقاومة الغزو الفكري والحضاري والوجداني، والدرع الواقعي الذي يقف في وجه التيار الجارف للمذاهب الأدبية المنبثقة من نظرة أصحابها إلى الإنسان وما حوله، فعرض الخصائص العامة للمذهب الأدبي الذي سعى إليه بمعلوماته الموسوعية

له دراسات جعلت له اسماً بارزاً، وقد أراد من خلال التنظير الأدبي أن يلتزم الأدب بتبني التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، ودعا إلى منهج في الأدب، وإلى أن يكون الأدب الإسلامي سلاحاً لمقاومة أشكال الغزو، ودرعاً للثقافة العربية الإسلامية. وقد ترك هذا المنهج الذي دعا إليه صدى في الحياة النقدية.

٣. نقد النقد:

ظهر في ثنايا كتبه النقدية، وذلك عن طريق التعرض لآراء النقاد والباحثين من خلال العودة إلى أمهات الكتب، ومناقشة أفكارها النقدية، وهو ما يعرف بتوسيع الأفق النقدي الحواري، ساعده في ذلك كله ذخيرته الثقافية، وخطابه الجمالي المعرفي المبني على أسس منهجية واضحة.

غير أن المتتبع نقد الباشا يرى أن ثمة خلطاً بين النقد الأدبي والدراسة الأدبية مع أن ثمة تبايناً في المعالجة النقدية، والأسس الناظمة لكل منهما. كما نجد خلطاً لديه في الحديث عن طبيعة الشعر وشكله. فالحديث عن طبيعة الشعر يتعلق بالشعر بصفته أثراً فنياً تربطه علاقات وثيقة بالفنون الأخرى. وبالشعور الذي يدخله إلى نفس المتلقي، وبمقاييس الجمال التي يتم الحكم من خلالها على الشعر، وما يتعلق به. أما البحث في شكل الشعر فيدور حول صفة الشعر وأدواته وموسيقاه وبنائه وكل ما يجعل من النص الشعري شعرياً، مع مراعاة أن الشاعر لا يلتزم بالواقع، إنه يقدم رؤيته ورؤياه، فيشعر أنه شريك فيما يحيط به عن طريق شطحاته الشعرية.

لقد ربط الباشا الدراسة الأدبية بالدراسة التاريخية، ورأى أن ثمة علاقة بين السياسة والأدب. وهذه السياسة في نظره تقتصر على القصور، فغداً ربط الأدب بالسياسة ربطاً للأدب بالقصور والحكام.^(٤٧)

كما حدّد غرض الدراسة الأدبية بدراسة ما يستتر

الشاملة، وتحليله العلمي الدقيق، وأسلوبه الأدبي المتميز، وخلص إلى رسم منهج إسلامي في النقد يُيسّر وضع المقاييس والمعايير لمعرفة الغث من الطيب. وكان من السباقيين لتطبيق هذه الفكرة من خلال تدريسه الجامعي، وندواته، والرسائل التي أشرف عليها، والإسهام في تأسيس رابطة تعنى بهذا الموضوع، وتحولت هذه الفكرة إلى منظمة عالمية. وبذلك جمع بين الفنية والعودة إلى النبع الإسلامي يستقي منه، ويبين خصائصه.

« رأي في جهود د. الباشا النقدية:

توزع عمل الباشا النقدي على ثلاثة اتجاهات نقدية مهمة:

١. النقد الأدبي:

تجلّى في دراسته الشعر التراثي، فقد كان الميدان الوحيد الذي احتضن إسهاماته النقدية وتنظيره الأدبي، وقد جعل من الأدب الإسلامي موضوعاً معرفياً ثقافياً انصبّت جهوده عليه بالتحليل والنقد والحوار، ويكاد لا يترك شاعراً له علاقة بهذا العصر من دون أن يتوقف عنده شرحاً وتحليلاً ومحاورة وتنظيراً وتطبيقاً.

تعدّ تجربته في النقد الأدبي تجربة تصاعدية تحوّل فيها من الدراسة الأدبية إلى النقد الجمالي المعرفي، وانتقل من مرحلة المقولات ومناقشتها إلى مرحلة الكتابة. وتعيّن الهدف من نقده الشعر التراثي في حقل القيم؛ ذلك لأن التاريخ في تقدمه وتراجع مرآة لتقدم القيم وتراجعها. فقد نظر إلى التراث بوصفه تاريخاً قديماً، وفي الوقت نفسه ظلت صلتنا به حية إلى اليوم. إنه يحوي السمات الأصلية لأمتنا والقيم الباقية لشعبنا، والروح الخالدة لشخصيتنا.^(٤٦)

ويمكن أن نقول: إن نقده الأدبي ثلاثي الأبعاد، فهو اجتماعي، تاريخي، تحليلي فني.

٢. التنظير الأدبي:

تطورت شخصية الباشا النقدية في هذا المجال، فكان



وراء النصوص من دلائل نفسية واجتماعية وسياسية؛ لذلك دعا إلى نظرية جديدة، تعتمد حكم القيمة، فهي لا تشرح إنما تصل إلى حكم قيمة. ويفسر الأدب اعتماداً على اللغة والموضوعات والمعاني... ونراه يصدر الأحكام النقدية لكنه لم يسلم من الوقوع في مطب التكرار، ويسهب في الشرح. وكتابه علي بن الجهم على سبيل المثال لم يسلم من الاستطرد. إن ما ذكر سابقاً لا يقلل أبداً من قيمة الجهد الذي قدمه للحركة النقدية والأدبية، ولتراث العربي من خلال محاوره التراث، والتشديد على أهميته حتى أصبح ناقداً لامعاً في مجال نقد الشعر التراثي، والأدب الإسلامي بوجه خاص، وأباً لنقد الأدب الإسلامي ■

الهوامش:

- (١) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج ٢/ ١٣٠-١٣١.
- (٢) كنوني، محمد. اللغة الشعرية، ص ٢٨ نقلاً عن: Baple` line la poesia 'Armand colinbourrolier. paris. 1980. p. 131
- (٣) انظر: الباشا، د. عبد الرحمن. علي بن الجهم حياته وشعره، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية (٤٠) مصر، د.ت، ص ٥.
- (٤) المصدر السابق: ص ٧٢-٧٣.
- (٥) الباشا، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، مؤسسة الرسالة، دار النفائس ط١، بيروت ١٩٧٤. ص ٥، ٧.
- (٦) ويليك، رينيه ووارين، أوستن، ص ٦٩.
- (٧) علي بن الجهم حياته وشعره، ص ١١٧ وما بعدها، شعر الطرد، ص ٨٧، ١٢٠.
- (٨) المصدر السابق، ص ٢٢، وكان محقق الديوان خليل مردم قد وجد أن محمداً أخ للشاعر.
- (٩) إيفلتون تيري. نظرية الأدب، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥، ص ٣٢٨.
- (١٠-١١) المصدر السابق، ص ١١٧، وينظر أيضاً علي بن الجهم (حياته وشعره) ص ٢٦، (غير أن قارئ الديوان يستطيع أن يلمس أموراً أربعة من شأنها أن تلقي الأضواء على ثقافته...)
- (١٢) علي بن الجهم، ص ١٢، ١٤، ٢١.
- (١٣) انظر شعر الطرد، ١٢٢ وما بعدها، ٢٥٨ وما بعدها، ٢٨٥، وما بعدها. انظر شعر الطرد، ص ٢٦٨، ٣١٩، ٣٥٦، ٤٠٧، ٤٣
- (١٤) المصدر السابق، ص ٢٦٠، ٢٦١.
- (١٥) المصدر السابق، ص ٧.
- (١٦) ديتش، ديفيد. مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ص ٦٠.
- (١٧) علي بن الجهم، ص ٢، ١٨٣.
- (١٨) انظر الصفحات: ٨٩، ١٦٦، ١٧٢، ١٩٣، ٢٠٧، ٢٢٥.
- (١٩) نقاد الأدب، ص ٣١.
- (٢٠) ابن الوليد، يحيى. التراث والقراءة، ص ٨.
- (٢١) عبد الحميد، جابر. نظريات الشخصية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٦. ص ٢٨٩.
- (٢٢) علي بن الجهم، ص ١٦٦.
- (٢٣) انظر مقدمة كتابه علي بن الجهم (حياته وشعره).
- (٢٤) ديتش، ديفيد. مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ترجمة محمد يوسف نجم، مراجعة د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧. ص ٤٣٣.
- (٢٥) انظر علي بن الجهم، ص ١٢٢.
- (٢٦) المصدر السابق ص ١٥٢.
- (٢٧) دوفيللو، كارلوني، تطور النقد الأدبي في العصر الحديث، ص ٥.
- (٢٨) شعر الطرد: ص ١٤٢.
- (٢٩) علي بن الجهم، ص ٨٥.
- (٣٠) المصدر السابق، ص ٨٤.
- (٣١) موقف الإسلام من الأدب عامة ومن الشعر خاصة، ص ٢٨١.
- (٣٢) علي بن الجهم، ص ٢١٧.
- (٣٣) المصدر السابق، ص ١١٤.
- (٣٤) ج. هيو، سلفرمان. نصيات بين الهرمينوطيقا والتفكيكية، ترجمة حسن ناظم وعلي صالح، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٢. ص ٥٩، ٦٠.
- (٣٥) علي بن الجهم، ص ١٣٠.
- (٣٦) شعر الطرد: ٢٣٤.
- (٣٧) كريزويل، أديث. عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، ط١، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣، ص ٢٧٥.
- (٣٨) علي بن الجهم، ص ١٢٦، ١٢٨، ٢٢٦.
- (٣٩) شعر الطرد، ص ٨٤.
- (٤٠) علي بن الجهم، ص ٣٠.
- (٤١) المصدر السابق، ص ٤٥.
- (٤٢) المصدر السابق، ص ١٠٥.
- (٤٣) المصدر السابق، ص ١١٥.
- (٤٤) موقف الإسلام من الأدب عامة والشعر خاصة، ص ٢٧٣.
- (٤٥) المصدر السابق، ص ٢٦٩.
- (٤٦) انظر هيكل، د. محمد. في الأدب واللغة، ص ٤٠.
- (٤٧) انظر دراسته لعلي بن الجهم، ص ٣٢٤٠، ٦٣، ٨٣.

من تكميلي مع أساتذتي د. الباشا



د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين

لقد شرفني الله عز وجل في أثناء دراستي الجامعية في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالتلمذة على يدي أساتذة أجلاء ذوي مكنة في العلم والأدب العالي؛ منهم شيخ رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيسها الحالي، الأستاذ الدكتور:

عبد القدوس أبوصالح، والأستاذ الدكتور: درويش الجندي، والأستاذ الدكتور: علي الجندي، والأستاذ الدكتور: عبدالفتاح حجاب، والأستاذ الدكتور: بدوي طبانة... وغيرهم؛ رحم الله من قضى نحبه منهم، وأحسن خاتمتنا وخاتمة من ينتظر، ولكن الأستاذ الدكتور: عبدالرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - قد ترك أثرا حميدا علي في مسيرتي العلمية؛ ففضلا على أنه درسني في المرحلة الجامعية فقد أشرف علي في مرحلة الماجستير؛ إرشادا وإشرافا؛ حتى ناقشت الرسالة؛ التي كانت بعنوان: الالتزام الإسلامي في الشعر، وأذكر له كلمة حية في مسامي إلى الآن إبان مشاورته في موضوع مناسب للرسالة؛ فكان مما قال وقتها في نصح وإلحاح:

(أنصحك يا بني بأن تختار موضوعا مؤثرا بانيا؛ يترك أثرا

للدكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور: فريد النكلوي - متعه الله بالصحة والتقوى - ثم إن من خصال أبي يمان الحميدة جده وحزمه، وغيرته على أسلوب اللغة العربية الصحيح، وكان كثيرا ما يقول في أثناء التصحيح والقراءة لرسالة الماجستير: ارجع إلى اللسان، راجع القاموس، العبارة قلقة... الجملة تحتاج إلى إعادة صياغة ونظر... فربى لدي بهذا النقد اللاذع الحساسية اللغوية من الخطأ نحويا كان أو أسلوبيا. وكان هادئ الطبع في أثناء التوجيه، حلما رفيقا بالطالب وإن كان يتعبه ويعذبه؛ لكن الشهد اللذيذ يعقب إبر التأنيب والبحث والتحقيق..

رحم الله الأديب الداعية؛ الساعي لقيام رابطة الأدب الإسلامي العالمية؛ حتى قامت بفضل الله وعونه، وراعي فكرة منهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية؛ حتى استوت شعبة في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، وصارت مادة علمية في الكلية في الدراسة الجامعية والدراسات العليا، وشع نورها، وامتد وهجها إلى أقسام اللغة العربية في كثير من البلدان العربية والإسلامية، ومن زرع خيرا أو دل عليه فله أجره وأجر من استفاد منه أو عمل به إلى قيام الساعة من غير أن ينقص من أجورهم شيء ■

فيك وفي تخصصك وينفع أمتك؛ فإنني كنت نادما على الموضوع الذي اخترته للدكتوراه؛ وهو: شعر الطرد عند العرب؛ أنفقت فيه وقتا، وبذلت جهدا لو كان في أنفع منه لكان أولى وأجدى، ولكن الله تعالى عوضني في آخر عمري خيرا؛ فأرشدني إلى تأليف الكتابين المعروفين: صور من حياة الصحابة، وصور من حياة التابعين؛ فأنا أغادر هذه الدنيا غير آسف عليها؛ تاركا هذين الأثرين يدران علي أجرا - بإذن الله تعالى - فلقد شعرت براحة إيمانية بعد الفراغ منهما..).

وكانت هذه الكلمات منه - رحمه الله - قبسا نفسيا وتببها تربويا؛ جعلني أدقق في اختيار الموضوع الذي ينفع ويرفع؛ فكان موضوع (الالتزام الإسلامي في الشعر) للماجستير بإشرافه، وموضوع (النظم القرآني في آيات الجهاد)



فن السرد

في صور من حياة الصحابة

لعبد الرحمن الباشا (*)



د. أحمد زياد محبك - سورية

قد يبدو من السهل للوهلة الأولى تحويل مادة تاريخية منجزة إلى عمل أدبي، ولكن مثل تلك السهولة محض وهم، ولا سيما عندما يسعى الكاتب إلى الحرص على المادة التاريخية، فهو هنا يقوم بدورين: الدور الأول هو دور المؤرخ، وعليه أن يحقق المادة التاريخية، وأن يختار منها الصحيح والضروري والمفيد، وما هو مناسب للإبداع. والدور الثاني هو دور الأديب، وعليه أن يفكر فيمن يتوجه إليهم من المتلقين، وأن يختار النوع الأدبي الذي سيعبر من خلاله، وأن يعنى بالمفاهيم الأولية على الأقل للنوع الأدبي الذي اختاره، ولذلك لا بد لمن يتصدى لهذه المهمة أن يكون أديباً مؤرخاً، أو مؤرخاً أديباً، أي أن يمتلك موهبة الأديب وثقافة المؤرخ، فهو مقيد بمعرفة التاريخ، ويريد أن يكون حراً منطلقاً في عالم الإبداع، ومن هذا التوتر بين الحرية والقيّد تبرز مشكلة كاتب القصة التاريخية.

(*) من بحوثه فلدوة الدكتور عبد الرحمن الباشا في دار الثقافة بإدلب، وزارة الثقافة السورية.

«مواقف في حياة الصحابة»

إن الفكرة الأساسية التي بني عليها الكتاب هي تقديم صور من حياة الصحابة، والمقصود بالصور هنا هو مواقف في حياة أولئك الرجال، وليس المقصود الترجمة لهم أو التأريخ لحياتهم، ولذلك فإن أهم ما في الكتاب هو اختيار تلك المواقف، وهي مواقف تربوية سامية، لا تدل على أفراد عابرة لمهمين متميزين، بل تدل على مجتمع حي متحرك، تغيرت فيه المفاهيم والقيم والعادات والأخلاق، وكان وراء هذا التغيير الإسلام بمنحه الإنسان قيم الحق والعدل وحب الآخر والرغبة في بناء مجتمع يسعى فيه الجميع إلى طاعة الرسول، وبيتني فيه الجميع مرضاة الله تعالى.

والذي يؤكد ذلك أن الكتاب يقدم مواقف كثيرة في حياة خمسة وستين رجلاً، وما هم بالقليل، ومما لا شك فيه أن مثلهم كثير، والأمر لا يتعلق بهم وحدهم، لأنهم لا يمكن أن يكونوا حالة شاذة أو فريدة، إنما هم نتاج مرحلة، وتعبير عن روح عصر، فهم يحيون من أجل مبدأ، هو الإسلام، وسعيًا لهدف، هو الله،

والله تعالى هو المحرك لأفعالهم.

وتبدو تلك المواقف أو الصور من أهم ما في الكتاب، ومن أهم ما في حياة أولئك الرجال، وهي مواقف تبدو اليوم من المعجزات والخوارق والعجائب والغرائب، بل تبدو نوعاً من الخيال المستحيل، ولا يمكن تفسيرها على أنها طفرة، ولا يمكن تصنيفها على أنها عجايبية، ولا بد من فهمها في إطار الهدف الذي حركها، ولا بد من تفسيرها في إطار القيم التي كانت تسعى إليها.

ومن المحاولات الجادة في النفاذ عبر التوتر بين القيد التاريخي وحرية الإبداع محاولة قدمها الدكتور عبد الرحمن الباشا (١٩٢٠ - ١٩٨٦) في كتابه «صور من حياة الصحابة» رضي الله عنهم، ويتضمن الكتاب ملامح من حياة خمسة وستين صحابياً من صحابة رسول الله ﷺ، والكتاب موضوع بأسلوب سردي مبسط، لتربية الفتیان والفتيات، فهو كتاب تربوي، مبني على معطيات التاريخ، يحرص على التقيد بها، ولكنه لا يقدم تاريخاً، لأنه لا يترجم لأولئك الصحابة، ولا يقدم سيرة حياتهم كاملة، إنما

يختار مواقف بارزة في حياتهم، وملامح متميزة في شخصياتهم، ويقدمها بأسلوب سردي، فيعنى برسم ملامحهم الشخصية، ويحلل دوافعهم النفسية.

وقد طبع الكتاب في دار النفائس ببירות عام ١٩٩٢ ويقع في ٥١١ صفحة، ويتألف من سبعة أجزاء صغيرة في مجلد واحد، ويتضمن الكتاب صوراً من حياة ثمانية وخمسين صحابياً، فيهم أربع نسوة، ثم نشر ثانية في دار الأدب

الإسلامي في القاهرة عام ٢٠٠٦، وأدخلت عليه بعض التعديلات، فتضمن صوراً من حياة خمسة وستين صحابياً، إذ أضيف إليه جزء ثامن، وسحب منه ما تعلق بالصحابيات، وألحق بكتاب آخر عنوانه: «صور من حياة الصحابيات»، وتضمنت هذه الطبعة نبذة عن حياة المؤلف بقلم نجله يمان، وتعريفاً بأهم مؤلفاته، وتقع هذه الطبعة في ٥٧٥ صفحة، وإليها تحيل أرقام الصفحات في هذا البحث.





«فقر الحاكم وعفته»

ومن تلك المواقف العادية في عصرها الغريبة في سائر العصور عفة الحاكم وفقره، فقد ولّى عمر بن الخطاب سعيد بن عامر الجمحي على حمص، «وما هو إلا قليل حتى وفد على أمير المؤمنين بعض من يثق بهم من أهل حمص، فقال لهم: اكتبوا لي أسماء فقرائكم حتى أسد حاجتهم، فرفعوا كتاباً فإذا فيه فلان وفلان وسعيد بن عامر، فقال: ومن سعيد بن عامر؟ فقالوا: أميرنا؟ قال: أميركم فقير؟ قالوا: نعم، والله إنه لتمر عليه الأيام الطوال ولا يوقد في بيته نار، فبكى عمر حتى بلت دموعه لحيته، ثم عمد إلى ألف دينار، فجعلها في صرة، وقال: اقرؤوا عليه السلام مني، وقولوا له: بعث إليك أمير المؤمنين بهذا المال لتستعين به على قضاء حاجاتك.

جاء الوفد لسعيد بالبصرة، فنظر إليها فإذا هي دنانير، فجعل يبعدها عنه، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! كأنما نزلت به نازلة، أو حل بساحته خطب، فهبت زوجته مذعورة وقالت: ما شأنك يا سعيد؟ أمات أمير المؤمنين؟ قال: بل أعظم من ذلك، دخلت علي الدنيا لتفسد آخرتي، وحلت الفتنة في بيتي. قالت: تخلص منها! فأخذ الدنانير فجعلها في صرر، ثم وزعها على فقراء المسلمين» ص (٢٥-٢٦).

«قتل الأب في معركة لنصرة الإسلام»

إن ما يبدو من المواقف غريباً بالنسبة إلى واقعنا، أو مدهشاً، أو غير متوقع، هو موقف عادي بالنسبة إلى الصحابة، بسبب إيمانهم القوي، ومن تلك المواقف: إقدام أبي عبيدة بن الجراح على قتل والده في المعركة، فهو موقف غرائبي في مجتمع جاهلي، يعتد فيه المرء بنسبه، ويفخر بانتماؤه إلى أسرته وعشيرته وقبيلته، وإذا بأبي عبيدة يخالف ذلك كله، ويجعل انتماءه إلى دينه، أي إنه يجعل

الانتماء إلى الفكر والمبدأ والعقيدة، لا إلى العشيرة، ومثل هذا الانتماء جديد على المجتمع الجاهلي، وهو ما بناه الإسلام، فجعل الانتماء إلى الدين لا إلى النسب، وهذا يدل على قوة الإيمان، أي قوة الاقتناع بالمبدأ، ولكن لا بد من وضع هذا القتل في إطاره، فهو لم يأت هكذا مفاجأة، وإنما كان في الحرب وفي خضم المعركة، وبعد إصرار الأب على قتل ولده، والولد يتحاشاه، وفي مشهد القتل ما يبرر ذلك القتل، وهو يجري على النحو التالي: «انطلق أبو عبيدة يوم بدر يصول بين الصفوف صولة من لا يهاب الردى، فهابه المشركون، ويجول جولة من لا يحذر الموت، فحذره فرسان قريش، وجعلوا ينتحون عنه كلما واجهوه، لكن رجلاً واحداً منهم جعل يبرز لأبي عبيدة في كل اتجاه، فكان أبو عبيدة يتحرف عن طريقه ويتحاشى لقاءه، ولجّ الرجل في الهجوم، وأكثر أبو عبيدة من التنحي، وسد الرجل على أبي عبيدة المسالك، ووقف حائلاً بينه وبين قتال أعداء الله، فلما ضاق به ذرعاً ضرب رأسه بالسيف ضربة فلقّت هامته فلقّتين، فخر الرجل صريعاً بين يديه...» (ص ٩٠).

والرجل الصريع هو عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة، ويلق الكاتب على الموقف فيقول: «لم يقتل أبو عبيدة أباه، وإنما قتل الشرك في شخص أبيه، فأنزل الله سبحانه في شأن أبي عبيدة وشأن أبيه قرآناً، فقال علت كلمته: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة) (ص ٩١).



«روح الفداء عند الشباب»

الحارث، وستة نفر آخرين من كرام الصحابة، واستطاع الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الفئة الصغيرة المؤمنة الباسلة أن يحول هزيمة أصحابه إلى نصر... وفي يوم مؤتة جاهد أسامة تحت لواء أبيه زيد ابن حارثة وسنه دون الثامنة عشرة، فرأى بعينه مصرع أبيه، فلم يهن، ولم يتضعض، وإنما ظل يقاتل تحت لواء جعفر بن أبي طالب، حتى صرع على مرأى منه ومشهد، ثم تحت لواء عبد الله بن رواحة، حتى لحق بصاحبيه، ثم تحت لواء خالد بن الوليد، حتى استنقذ الجيش الصغير من براثن الروم.

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة أمر الرسول الكريم ﷺ بتجهيز جيش لغزو الروم، وجعل فيه أبا بكر، وعمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيدة ابن الجراح، وغيرهم من جلة الصحابة، وأمر على الجيش أسامة بن زيد، وهو لم يتجاوز العشرين بعد... ثم ما لبث أن فارق الرسول ﷺ الحياة،

ومن تلك المواقف أيضاً ما يتجلى فيه روح الفداء عند الشباب، ولاسيما ما يظهر عند أسامة ابن زيد، «ففي يوم أحد جاء أسامة بن زيد مع نفر من صبيان الصحابة يريدون الجهاد في سبيل الله، فأخذ الرسول ﷺ من أخذ ورد منهم من رد لصغر أعمارهم، فكان من جملة المردودين أسامة بن زيد، فتولى وعيناه الصغيرتان تفيضان من الدمع حزناً ألا يجاهد تحت راية رسول الله ﷺ».

وفي غزوة الخندق جاء أسامة بن زيد أيضاً ومعه نفر من فتيان الصحابة، وجعل يشد قامته إلى أعلى ليجيزه رسول الله، فرق له النبي عليه الصلاة والسلام وأجازه، فحمل السيف جهاداً في سبيل الله، وهو ابن خمس عشرة سنة.

وفي يوم حنين حين انهزم المسلمون ثبت أسامة ابن زيد مع العباس عم الرسول ﷺ، وأبي سفيان بن



النجم والشجر والحجر تسبح بحمد ربها وتقدس له، فتاقت نفس عباد بن بشر إلى العبادة، واشتاق قلبه إلى القرآن، وكان أحلى ما يحلو له القرآن إذا رتلته مصلياً، فيجمع متعة الصلاة إلى متعة التلاوة، فتوجه إلى القبلة ودخل في الصلاة، وطفق يقرأ من سورة الكهف بصوته الشجي الندي العذب، وفيما هو سابح في هذا النور الإلهي الأسنى غارق في لألاء ضيائه، أقبل رجل يحث الخطى، فلما رأى عباداً من بعيد منتصباً على فم الشعب، عرف أن النبي ﷺ وصحبه بداخله، وأنه حارس القوم، فوتر قوسه، وتناول سهماً من كنانته، ورماه به فوضعه فيه، فانتزعه عباد من جسده، ومضى متدفقاً في تلاوته، غارقاً في صلاته، فرماه الرجل بآخر فوضعه فيه، فانتزعه كما انتزع سابقه، فرماه بثالث، فانتزعه كما انتزع سابقه، وزحف حتى غدا قريباً من صاحبه عمار، وأيقظه قائلاً: «انهض، فقد أنخنتني الجراح. فلما رأهما الرجل ولّى هارباً» (ص ٢٤٨).

«إنفاق المال في سبيل الله:

وهذا رجل ينفق ماله في سبيل الله لا يبغى إلا المثوبة عند الله، وهو عبد الرحمن بن عوف، فقد أراد رسول الله ﷺ تجهيز سرية، «فوقف في أصحابه وقال: تصدقوا فإنني أريد أن أبعث بعثاً، فبادر عبد الرحمن بن عوف إلى منزله وعاد مسرعاً، وقال: يا رسول الله! عندي أربعة آلاف، ألفان منها أقرضتهما ربي، وألفان تركتهما لعيالي، فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: بارك الله لك فيما أعطيت، وبارك الله لك فيما أمسكت.

ولما عزم الرسول عليه الصلاة والسلام على غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها في حياته، كانت الحاجة إلى المال لا تقل عن الحاجة إلى الرجال... فهب المسلمون يستجيبون لدعوة النبي عليه الصلاة

وتمت البيعة لأبي بكر، فأمر بإنفاذ بعث أسامة... ولما انطلق الجيش بقيادة قائده الشاب، شيعه خليفة رسول الله ماشياً وأسامة راكب، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله! واللّه لتركبن أو لأنزلن، فقال أبو بكر: واللّه لا تنزل، واللّه لا أركب، وما علي أن أغتبر قديمي في سبيل الله ساعة، ثم قال لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فائذن له بالبقاء معي، فأذن أسامة لعمر بالبقاء» (ص ٢٢٢ - ٢٢٥).

«الصمود في الحرب:

وفي خضم المعركة، يصمد جعفر بن أبي طالب، وقد نزل به ما نزل، حتى يجود بروحه، «ففي أوائل السنة الثامنة للهجرة جهز الرسول صلوات الله عليه جيشاً لمنازلة الروم في بلاد الشام، وأمر على الجيش زيد بن حارثة، وقال: إن قتل زيد أو أصيب فالأمير جعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر أو أصيب فالأمير عبد الله بن رواحة، فإن قتل عبد الله بن رواحة أو أصيب فليختر المسلمون لأنفسهم أميراً منهم، فلما وصل المسلمون إلى مؤتة... وجدوا أن الروم قد أعدوا لهم مئة ألف... أما جيش المسلمين فكان ثلاثة آلاف، وما إن التقى الجمعان ودارت رحى المعركة حتى خر زيد بن حارثة صريعاً... فما أسرع أن وثب جعفر بن أبي طالب عن ظهر فرسه... وحمل الراية وأوغل في صفوف الروم، وظل يجول في صفوف الأعداء بسيفه ويصول حتى أصابته ضربة قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، فما لبث أن أصابته أخرى فقطعت شماله، فأخذ الراية بصدرة وعضديه، فما لبث أن أصابته ثالثة شطرته شطرين» (ص ٢٦٨).

«الصبر على الألم في طاعة الله:

والصور لا ترد جافة تقريرية مباشرة كالخبر في صحيفة، بل تأتي في مشهد حي، ومن ذلك تصويره عباد بن بشر: «كان الليل ساجياً هادئاً وادعاً، وكان

والسلام، وكان في طليعة المتصدقين عبد الرحمن بن عوف، فقد تصدق بمئتي أوقية من الذهب...

ولقد بلغ من بر عبد الرحمن بن عوف بالمسلمين وأمهات المؤمنين - بعد وفاة رسول الله ﷺ - أنه باع أرضاً له بأربعين ألف درهم، فقسمها كلها في بني زهرة وفقراء المسلمين والمهاجرين...

وفي ذات يوم قدمت عير عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة، وكانت مؤلفة من سبع مئة راحلة، وهي تحمل على ظهورها الميرة والمتاع وكل ما يحتاج إليه

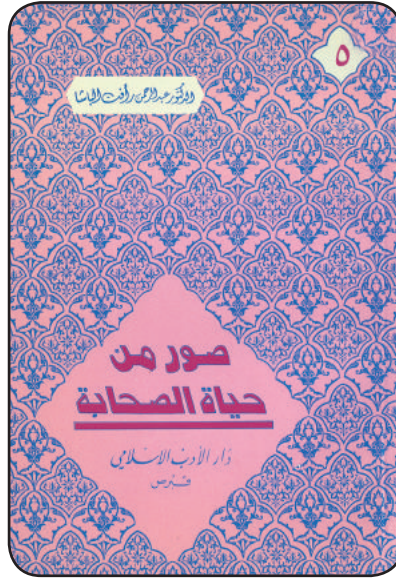
الناس، فما إن دخل المدينة حتى رجت الأرض بها رجاً، فقالت عائشة رضوان الله عليها: ما هذه الرجة؟ فقليل لها: عير لعبد الرحمن بن عوف، فقالت عائشة رضوان الله عليها: بارك الله له فيما أعطاه، ولثواب الآخرة أعظم، وقبل أن تبرك النوق كان الخبر قد نقل إلى عبد الرحمن بن عوف، فما إن لامست مقالة أم المؤمنين سمعه حتى طار مسرعاً إلى عائشة وقال: أشهدك يا أمه أن هذه العير جميعها بأعمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله...

ولما حضرت عبد الرحمن بن عوف الوفاة أعتق خلقاً كثيراً من مماليكه، وأوصى لكل رجل بقي من أهل بدر بأربع مئة دينار ذهباً، فأخذوها جميعاً، وكان عددهم مئة، وأوصى لكل واحدة من أمهات المؤمنين بمال جزيل، ثم إنه بعد ذلك كله خلف لورثته مالاً لا يكاد يحصيه العد، حيث ترك ألف بعير، ومئة فرس، وثلاثة آلاف شاة....

لكن ذلك المال كله لم يفتن عبد الرحمن بن عوف، ولم يغيره فكان الناس إذا رأوه بين مماليكه، لم يفرقوا بينه وبينهم، وقد أتى ذات يوم بطعام وهو صائم، فنظر إليه ثم قال: لقد قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فما وجدنا له إلا كفنًا إن غطى رأسه بدت رجلاه، وإن غطى رجله بدا رأسه، ثم بسط الله لنا من الدنيا ما بسط، وإنني لأخشى أن يكون ثوابنا قد عجل لنا، ثم جعل يبكي وينشج حتى عاف الطعام» (ص ٢٥١-٢٥٦).

تلك بعض مواقف، وهي مواقف وراءها باعث واحد هو الإسلام، بما يحمل من قيم العدل والحق والخير وبناء الإنسان والمجتمع، وهي مواقف دافعها غاية واحدة هي حب رسول الله ﷺ، لا لأنه قريب أو صديق، أو من القبيلة أو العشيرة، بل لأنه حامل الرسالة، ومبلغها، ولأنه بين ظهرانيهم يرونه مثلهم يجوع كما يجوعون، ويحارب كما يحاربون، ويصدق كما يصدقون، ولا يملك شيئاً من متاع. وثمة هدف من هذا كله وهو رضا الله، لا طلباً لشهرة أو منصب أو مال، بل

هم أبعد ما يكونون عن مثل هذه الدوافع. هي صور لرجال من عامة الناس، ليسوا برسل ولا أنبياء ولا معصومين، ولا ملهين ولا مدعين، فيهم الأبيض والأسود، والحبشي والرومي والفارسي، وفيهم الغني والفقير، والعبد والسيد، والفتى الشاب والكهل الشايب، ولكنهم جميعاً ينشدون طاعة الله، ويتبتون مرضاته، وهم جميعاً يحبون رسول الله





طويل القامة، عظيم الهامة، بصيراً باقتفاء الأثر، صبوراً على أهوال الطريق، وكان إلى ذلك كله أريباً لبيباً شاعراً، وكان فرسه من عتاق الخيل» (ص ٤٤٤).

وفي هذا الوصف ترشيح لما سيكون من بعد من اقتفاء سراقة أثر محمد ﷺ لدى هجرته إلى المدينة، وما سيكون من أمر فرسه وقد غاصت قوائمه في الرمل. ومن ذلك أيضاً وصف أسامة بن زيد والحسن عليهما السلام: «وكان الحسن أبيض أزهر رائع الحسن شديد الشبه بجده رسول الله ﷺ، وكان أسامة أسود البشرة، أفتس الأنف، شديد الشبه بأمه الحبشية».

وفي هذا الوصف تمهيد للإشادة بحب رسول الله ﷺ لهما، وعدله فيهما: «فما كان يفرق بينهما في الحب، وكان يأخذ أسامة فيضعه على إحدى فخذه، ويأخذ الحسن فيضعه على فخذ الأخرى، ثم يضمهما معاً إلى صدره ويقول: اللهم، إني أحبهما، فأحبهما» (ص ٢٢٠ - ٢٢١).

وواضح ما في الوصف من ترشيح للحديث عن عدل محمد رسول الله ﷺ، وحبه للأطفال الصغار، وإشفاقه عليهم، من أقارب وأبعد.

ويطيعونه؛ لأنهم يعلمون علم اليقين أنه من يطع الرسول فقد أطاع الله.

«عناصر السرد في صور من حياة الصحابة»

وصف الشخصية :

والكتاب يصور المواقف بأسلوب سردي ممتع، تتوافر فيه معظم خصائص السرد، ومنها وصف الشخصية، ففي بعض المواضع يبرز وصف الشخصية خلقاً وخلقاً بلغة موجزة، ومن ذلك وصف أبي عبيدة بن الجراح، حيث يقول: «كان وضيء الوجه، بهي الطلعة، نحيل الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، ترتاح العين لمرآه، وتأنس النفس للقياء، ويطمئن إليه الفؤاد. وكان إلى ذلك رقيق الحاشية، جم التواضع، شديد الحياء، لكنه كان إذا حزب الأمر وجد الجد يغدو كالليث عادياً، فهو يشبه نصل السيف رونقاً وبهاء، ويحكيه حدة وبهاء» (ص ٨٩).

ووصف الشخصية لا يأتي لمجرد الوصف، وإنما يأتي لغرض مقصود، ومن ذلك وصف سراقة، وقد جاء فيه: «كان سراقاً بن مالك فارساً من فرسان قومه المعدودين،



نهاية غير محددة:

وغالباً ما تنتهي الصور بالحديث عن الوفاة، ولكن بعض الصور تنتهي نهاية غير محددة، كما في الحديث عن أسامة بن زيد، إذ ينتهي بالقول: «ظل أسامة بن زيد، ما امتدت به الحياة موضع إجلال المسلمين وحبهم، وفاء لرسول الله ﷺ، وإجلالاً لشخصه، فقد فرض له الفاروق عطاء أكثر مما فرضه لابنه عبد الله» (ص ٢٢٥).

أو قد تنتهي صورة الصحابي بموقف متميز من مواقف حياته، ومن ذلك موقف صهيب الرومي، إذ لحق برسول الله إلى المدينة مهاجراً، ولكن قريشاً تبعته، وحاصرتها، ففرض عليهم أن يترك لهم ماله، فوافقوا، فدلهم عليه، (ص ١٩٨-١٩٩).

خواتيم موضوعات صور من حياة الصحابة:

وغالباً ما تختم كثير من الصور بتعليقات تقريرية، تربوية، استطرادية، لا تضيف جديداً، ومنها قوله في ختام الحديث عن أسامة بن زيد: «رحم الله هذه النفوس الكبيرة، فما عرف التاريخ أعظم، ولا أكمل، ولا أنبل من صحابة رسول الله ﷺ!» (ص ٢٢٦).

ومن ذلك أيضاً اختتام الحديث عن عمير بن سعد، بالقول: «رضي الله عن عمير بن سعد وأرضاه، فقد كان نمطاً فريداً بين الرجال، وتلميذاً متفوقاً في مدرسة محمد بن عبد الله» (ص ٢٤٨).

إن مثل هذه الخواتيم هي مجرد تعليقات لا تضيف جديداً، وهي ضرب من الإسهاب، ولكن توجه المؤلف إلى الفتیان اقتضى مثل هذا الضرب من التعليق.

استهلال الصورة:

وقد تبدأ الصورة بحدث مفاجئ، وما يقتضيه ذلك الحدث بعد ذلك من ردة فعل، كما في صورة سراقه، حيث تبدأ بالحدث الذي أدهش قريشاً، وهو هجرة رسول الله ﷺ، وهي التي كمنّت له عند باب داره تريد قتله، وتبدأ الصورة على النحو الآتي: «هبت قريش ذات

صباح وجلة مذعورة، فقد سرى في أنديتها أن محمداً قد بارح مكة مستتراً بجنح الظلام، فلم يصدق زعماء قريش النبأ، واندفعوا يبحثون» (ص ٤٤١)، ثم رصدت قريش مئة من الإبل لمن يأتيها بمحمد، ثم كان ما كان من أمر سراقه.

وقد تبدأ بعض الصور بالحديث عن المكان والقبيلة، ومن ذلك الحديث عن أبي ذر الغفاري، حيث جاء فيه: «في وادي ودان الذي يصل مكة بالعالم الخارجي كانت تنزل قبيلة غفار، وكانت غفار تعيش من ذلك النزر اليسير الذي تبذله لها القوافل التي تسعى بتجارة قريش ذاهبة إلى بلاد الشام أو آتية منها، وربما عاشت من قطع الطريق على هذه القوافل إذا هي لم تعطها ما يرضيها، وكان جندب بن جنادة المكنى بأبي ذر واحداً من أبناء هذه القبيلة» (ص ١٤١).

وتبدأ بعض الصور بمشهد كلي شامل، يبرع الكاتب في وصفه، ومنه المشهد الآتي: «في ذات مساء من أماسي مكة الهادئة الهائئة الوادعة، خرج سعيد بن العاص بن أمية المكنى بأبي أحيحة من دارته في أعلى الحجون يريد الحرم، وقد اعتم بعمامته الحمراء الثمينة الزاهية، وخلع على منكبيه برداً من حلل ملوك اليمن، ومشى بخيوط الذهب، ومشى بين يديه طائفة من غلمان المقلدين بالسيوف، وكان عن يمينه بعض أولاده، وعلى رأسهم ابنه خالد، وكان عن شماله طائفة من رجال قومه بني عبد شمس، وهم يخطرون في حلل الديباج والسندس» (ص ٤٣١).

اعتماد كثير من الصور على الحلم

وتعتمد كثير من الصور على الحلم، ومنها حلم رآه عباد بن بشر! ففي الليلة التي سبقت المعركة رأى: «فيما يراه النائم أن السماء انفرجت له، فلما دخل فيها ضمته إليها، وأغلقت عليه بابها، فلما أصبح حدث أبا سعيد الخدري برؤياه، وقال: والله إنها الشهادة يا أبا سعيد» (ص ٣٤٩).



ما يروى هو حقيقة وواقع، وهو يناسب هذا النوع من السرد، التاريخي التعليمي، ويرد في مواضع كثيرة، منها: «ولا ريب في أنك تود أن تعرف هؤلاء الخمسة الذين يشبهون نبيك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فتعال نتعرف عليهم» (ص ٢٥٧).

ومنها: «لا تحاول أيها القارئ الكريم أن تخمن من يكون الرجل الصريع، أما قلت لك: إن عنف التجربة فاق حسابان الحاسبين، وجاوز خيال المتخيلين، ولقد يتصدع رأسك إذا عرفت أن الرجل الصريع هو عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة» (ص ٩١).

ومن الممكن الوقوف بعد ذلك عند عناصر سردية كثيرة منها: الحوار والسبق والاسترجاع؛ مما هو مألوف في السرد عامة وفي القصة خاصة، وهي جميعاً عناصر متوافرة في صور من حياة الصحابة، وقد تم التعامل معها فنياً بما يخدم هدف الصور، ويحقق الغاية المرجوة منها.

ومن ذلك حلم رآه عوف بن مالك الأشجعي، وقد رأى «فيما يراه النائم مرجاً أخضر فسيح الأرجاء، وارف الأفياء، فيه قبة عظيمة، من آدم، حولها غنم رابضة لم تر العين مثلاً قط، فقال: لمن هذا؟ فقيل له: لعبد الرحمن بن عوف، فطلع عليه عبد الرحمن من القبة، وقال له: يا ابن مالك، هذا ما أعطانا الله عز وجل بالقرآن، ولو أشرفت على هذه الثنية لرأيت ما لم تر عينك، وسمعت ما لم تسمع أذنك، ووجدت ما لم يخطر على قلبك، فقال ابن مالك: ولمن ذلك كله يا أبا محمد؟ فقال: أعده الله عز وجل لأبي الدرداء، لأنه كان يدفع عنه الدنيا بالراحتين والصدر» (ص ٢١٠).

قطع السرد وخطاب المتلقي:

وفي كثير من المواضع يتم قطع السرد، والخروج عنه، لخطاب المتلقي، وفي هذا الخروج نوع من التواصل مع المتلقي، وتبنيه له، وإيقاظ لوعيه، لهدف تعليمي تربوي، وهو خروج يكسر الإيهام، ويؤكد أن



«طبيعة السرد في صور من حياة الصحابة:

والقصص تعبر عن روح التفاؤل، وتنتشر طيفاً من الأمل، وضياء من الثقة، وهي أبعد ما تكون عن تصوير القلق والضياع والتمزق، وهي أبعد ما تكون عن تصوير الإنسان وهو يتحول إلى شيء، أو يبحث عن شيء، بل هي تؤكد أن الإنسان حامل قيمة، وساع إلى تحقيق قيمة، وأن الإنسان هو بحد ذاته قيمة، وهو يعي ذلك كله ويسعى إلى تحقيقه، والقصص لا تعي ذلك، ولا تطرحه في شعار أو قول، ولا تقدمه من الخيال، إنما تصوره وهو يتحقق في ساحة الواقع وفي ميدان التاريخ في مكان وزمان واقعيين.

ولعل القصص تبدو بالنسبة إلى القارئ المعاصر ضرباً من الخوارق والمعجزات والغرائب، بل لعلها تثير في نفسه الحيرة والقلق، أو تثير في نفسه الشك والسؤال، وربما أثارت لدى بعض المتلقين الشعور باليأس والإحباط، لأن الواقع المناقض لها قد يدفع إلى مثل هذه المواقف.

إن القصص وهي فرادى تصور رجالاً في مجتمع يتحركون في داخله، ويعملون لأجله، ومواقفهم كلها لأجل مجتمعهم، لبنائه وتغييره نحو الأفضل، فالقصص تتعلق بأفراد، وبمواقف في حياة أفراد، ولكنها ليست معلقة في فراغ، ولا مبنية في فراغ، بل هي متحققة في مجتمع، وعلى أرض الواقع، وبين بشر وأناس آخرين. والقصص في مجموعها تصور مجتمعاً حياً متحركاً، ينبض بتلك الحيوانات، ولا يبرز فيه موقف ما من فراغ، ولا يأتي موقف آخر هكذا فجأة من غير دوافع أو مبررات، ولا يظهر موقف ثالث منبثقاً عن مواقف الآخرين.

إن مجموع المواقف يمثل شبكة علاقات بعضها يقود إلى بعضها الآخر، وهي جميعها تمثل شبكة خيوطها متصلة مترابطة وهي خيوط من نسيج واحد،

وفي علاقات متشابهة، وتحقق مفهوم الشبكة وشكلها لتؤكد وحدتها وانسجام بعضها مع بعضها الآخر. إذ لا يمكن أن يظهر من يضحي بماله كله لتجهيز جيش أو توزيعه كله في الفقراء في وقت لا يظهر فيه من يتخلى عن قومه وعشيرته، وعن أمه وأبيه، وزوجه وأولاده؛ من أجل مبدئه. كما لا يمكن أن يكون هذا أو ذاك في وقت لا يندفع فيه فتى للمشاركة في ذلك الجيش أو حمل لوائه والقتال فيه حتى الرmq الأخير.

إن المواقف مترابطة وإن عرضت فرادى، وهي متماسكة وإن بدت أحادية، وهي مواقف لا بد أن ينهض بها أفراد لصنع المجتمع، وحسبها تماثلها وتشابهها، وقوامها جميعاً التضحية بالنفس والمال والشهوات والرغبات، والتخلي عن الأشياء من أجل القيم العليا متمثلة الإسلام ومتجهة إلى طاعة الله وحب رسوله.

وقد يسأل سائل: كيف فعل أولئك ما فعلوا؟ وقد يخطر على البال أنهم فعلوا ما فعلوا لأن رسول الله حي معهم وبين ظهرانيهم.

ولكن الأمر ليس كذلك، فقد فعلوه لأنهم يؤمنون بالله، ويصدقون رسوله. وكثير من المواقف كانت بعد وفاة رسول الله، ولم تتغير.

«مواقف المرأة في صور من حياة الصحابة:

وللمرأة في ذلك المجتمع مواقف هي مثل مواقف الرجال، ولا تختلف عنهم، بل ما كان من الممكن أن تكون للرجال مثل تلك المواقف إن لم يكن للمرأة مثل تلك المواقف، فلقد وزع سعيد بن عامر وهو والي حمص ما أتاه من مال خالص له على الفقراء وأعانتته زوجته على ذلك (ص ٢٦).

ويتزوج خالد بن سعيد بن العاص أم حكيم بنت الحارث، وفي صباح اليوم التالي يخرج للقاء الروم في مرج الصفر قرب دمشق، فيقتل! «عند ذلك هبت أم حكيم كاللبوة التي أخذ منها أشبالها، فشدت عليها



ولتواجه الفساد في الأزمان، ولتدعو إلى الخير والعدل، ولتقدم صورة تحققت وليست من الخيال، ولذلك كله ستكون طبيعة التعبير عن تلك الصور ناجمة عن تلك الأهداف، فالهدف هو الذي يحدد طبيعة الأشياء، وقيمة الأشياء تتبع من قدرتها على تحقيق أهدافها، وانسجام طبيعتها مع أهدافها، ومن الأهداف والطبيعة تتبع معايير النجاح، وقيم التوصيل والأداء.

ومن هذه المعايير يمكن القول: إن الصور قد حققت أهدافها، وانسجمت طبيعتها مع أهدافها، ومن الصعب بعد ذلك أن نبحث في الصور عن معايير هي معايير القصة في أدب أمم أخرى في عصور أخرى سابقة أو لاحقة، وحسب الكتاب فضلاً أنه سد ثغرة، فقدم بأسلوب سردي صوراً من حياة الصحابة، وكان هذا الأسلوب منسجماً ودالاً ومعبراً، وحسب العمل فخراً أنه يطبع هنا وهناك، في مصر والشام ولبنان، طبعات كثيرة، مما يدل على نفاذ الطبقات، وعلى إقبال القراء، وهو معيار لا يمكن إغفاله، وما يزال الانتشار معياراً يذكر اليوم، ويأخذ به الكاتب والناقد والناشر. إن كتاب «صور من حياة الصحابة» عمل أدبي ممتع بأسلوبه السرد المشوق، ومن الجدير أن يقرأه الكبار والفتيان، لمعرفة مجتمع، والاطلاع على أسلوب حياة من أجل الحق والعدل والسمو، ومن أجل ما يمثل قيمة الحياة ■

ثياب عرسها، واقتلعت عمود الفسطاط الذي شهد ليلة زفافها، وخاضت المعركة، فأردت سبعة من فرسان الروم» (ص ٤٤٠).

«نمو الشخصيات في القصص»

ومعظم الشخصيات نامية متطورة، يتغير موقفها، من الكفر إلى الإيمان، وما هو بالتغير الآلي السريع، إنما هو تغير قائم على معاناة، وبعد خوض غمار التجارب، ومن ذلك إسلام سراقه، فقد تبع النبي محمداً ﷺ وهو في الطريق مهاجراً مع صاحبه أبي بكر إلى المدينة، وكان سراقه طامعاً في مئة من الإبل رصدتها قريش لمن يأتيها بمحمد، وما كاد يصل إليه حتى أعلن إسلامه بين يديه، لما رأى من وضاعة وجهه، وحلو حديثه، ولما عانى سراقه نفسه، فقد غاصت أقدام فرسه في الرمال، فاستنجد بمحمد كي يدعو ربه، ووعدته ألا يلحق به، فأنجده، ودعا له ربه، ولكن سراقه غدر، فقد رفع سيفه ليضرب محمداً فجمدت يمينه، وغاصت أقدام فرسه ثانية في الرمال، فاستنجد بمحمد ثانية، ورجاه أن يدعو ربه، فدعا له! وهنا أعلن سراقه إسلامه بين يدي محمد، وهو الذي كان يريد قتله.

«صور من حياة الصحابة: طبيعتها وأهدافها»

ومن الضروري أن نقدر (صور من حياة الصحابة) بمفاهيم أولية تتعلق بضم السرد تتبع من وظيفة تلك الصور ومن طبيعتها، وهي صور انتقيت لتعلم الفتیان،

«من الواضح أن نقد الباشا النثري يستند إلى اللغة والمنهجية والمصطلحية والمعرفية من الموروثات العربية لأصيلة الكثيرة إلى الحداثة المتجلية في إبداعات الحاضر منذ مطلع القرن العشرين حتى اليوم، على أنها لا ينبغي أن تنقطع عن الأصول الثقافية العربية التي صارت راسخة وثرية في المباني والمعاني».

د. عبالله أبو هيف - سورية

شجاعة

تجليات الموروث الإبداعي.. حدث في رمضان.. التوثيق (*)

د. حسان الحسن . سورية

وحدث معركة بدر التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً مؤزراً، وقد عرض الدكتور الباشا صورة، صورة سير الرسول الكريم بأروع صورة للتعالى والمساواة بينه وبين أصحابه حيث يقول: «خرج النبي ﷺ بثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً من أصحابه فيهم مئتان وواحد وثلاثون من الأنصار وستة ثمانون رجلاً من المهاجرين، كان معهم سبعون بعيراً وفرسان، لكل ثلاثة أو أربعة بعير يتعاقبون عليه. وكان الرسول صلوات الله عليه يتعاقب على بعير واحد مع مرثد بن أبي مرثد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فرغب شريكا الرسول الكريم ﷺ بالتنازل له عن حصتهما في ركوب البعير، وقال له: نحن نمشي عنك يا رسول الله! فقال صلوات الله وسلامه عليه: ما أنتم بأقوى مني، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر. وأبى إلا أن يكون نصيبه في ركوب البعير كنصيب أي منهما»^(٢).

وهناك الأحداث التاريخية المهمة التي حدثت في شهر رمضان الشريف، منها أيضاً مصرع أبي جهل، وهدم الأصنام، ما كنا نعرف ذلك على وجه الدقة لو لا رصد الدكتور الباشا لتلك الأحداث وتخصيصها في كتاب مستقل ليكون دليلاً مرشداً إليها بأقرب السبل وأرقى العبارات، مما يجعل القارئ متفاعلاً مع ما يقرأ وكأنه يعيش الحدث بنفسية القائمين عليه، بل يكاد ينقلك إلى الحياة التي كان يعيشها الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بكل تفاصيلها وأحداثها، ومرها وحلها فيجعلك أكثر إيماناً بالدين الإسلامي، ومبشرة الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ■

(*) من بحوث ندوة الباشا، وقد اقتصرنا فيه على الحديث عن هذا الكتاب وحده، لعدم تناوله من قبل غيره، وورد الحديث عن الكتب الباقية في مواضع أخرى.
(١) الباشا (د. عبد الرحمن): حدث في رمضان، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط ٢، ٢١٩٩٩، ص ٢٠ و ٢١.

لا شك في أن الموروث الأدبي والفكري للأمة العربية والإسلامية يشكل نقطة ارتكاز مهمة للبحوث الإنسانية عامة، وللإبداعات الخلاقة عند المفكرين خاصة، ومن هنا جاءت اهتمامات الدكتور عبد الرحمن الباشا في الغوص وراء التراث ليبين أهميته من جهة، وليكشف النقاب عن جماليات الإبداع الفكري عند العرب والمسلمين كي يكون معينا ثريا للأجيال الإنسانية المتعاقبة من جهة أخرى، في حين أن الغوص وراء هذا التراث وما يحمل من نصب ومن تعددية المجالات الواسعة لا يتأتى لأي باحث إلا إذا كان متمكناً من أدوات البحثية واسع الثقافة والاطلاع كي يستطيع أن يحلل وينقب، فتأتي الشجرة البحثية أكلها بثمر يانع نضر، وما أحلى البحوث التي تجلت في إبداع الباشا المستوحاة من التراث العربي والإسلامي أخص منها: «حدث في رمضان» و«الطريق إلى الأندلس» و«نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد» و«الصيد عند العرب» و«علي بن الجهم حياته وشعره»، وسوف أقف عند هذه التجليات الإبداعية لعلني أرى التراث برؤية الباشا بل لأرى الإبداع في المبدع.

«حدث في رمضان»: كتاب كتبه الدكتور الباشا يؤرخ فيه الأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي والوجود الإنساني، من ذلك مهبط الوحي على الرسول الكريم ﷺ أنه حدث في رمضان، فكانت لحظة تاريخية في ولادة عالم جديد على كوكب الأرض، وما أروع الكلمات التي وصف بها الدكتور الباشا ذلك الحدث، حيث يقول: «وقد ظل الوحي زاداً للرسول ﷺ يتزود به في مشقة الطريق، وظلا يفيء إليه كلما لفحه هجير الجحود، وعونا من السماء يواجه به المكر والكيد والأذى، وهاديا يهديه سواء السبيل»^(١)، ثم يشير الدكتور الباشا إلى أعظم مؤتمر للشورى عرفه تاريخ الإسلام إنه حدث في رمضان المبارك عندما عقده الرسول الكريم ﷺ لمواجهة قافلة قريش



أرض البطولات رواية تاريخية مذهشة

لعبد الرحمن الباشا (*)



صبيحي فحماوي-فلسطين

قرأت عن رواية أرض البطولات، لعبد الرحمن الباشا، ما يلي: رواية تاريخية تعرض قصة كفاح شعبنا ضد المستعمر الفرنسي. ليس فيها من خيال القاص إلا ما يربط بين الوقائع، فمنها هوريح القرن الذي أعقب الحرب العالمية الأولى، ومكانها هو تلك الربوع الشامية، وأشخاصها مواطنون معروفون. وقد كتبت هذه القصة بلغة فصحة.

قصره في عاليه. استشهد يوسف العظمة ومعه المجاهد أبو عبادة.. انتصر جيش فرنسا الجرار على أصغر دولة في العالم. وعند ضريحه العظيم، قال غورو: ها قد عدنا يا صلاح الدين!

رفضت الأرملة أم عبادة أن ترحل مع أخيها، ليعولها هي وابنها في بلدتهم (داريا)، وأبت أن تتزوج، وما زالت في الخامسة والعشرين من عمرها.

وصممت أن تهب نفسها إلى ولدها. وباعت قرطها

المجاهدة رتيبة من قرية (داريا) هي بطلة هذه الرواية، بمفهوم عبارة بطلة، وهي أرملة الشهيد «أبي عبادة» الذي هو من قرية (حرسا)، كان عمره خمسا وعشرين سنة، عندما خطبها، وهي في الرابعة والعشرين من عمرها. دهم البلاد غول فرنسي، فتودي للجهاد، فامتدت يد العريس الشهمة إلى المال المجموع بقطرات العرق، واشترى بندقية وعتادا..

«أحداث الرواية في مشاهد موجزة»

(وفي ٢٤ تموز ١٩٢٠ وهذا

التاريخ أخذته من خارج النص) زحف الجيش الفرنسي بمائة ألف من جنوده المدججين بالأسلحة المتطورة، تدعمهم الطائرات، ووقف يوسف العظمة وسط معركة ميسلون، بينما قبع (غورو) وراء أسوار

(*) من بحوث ندوة الدكتور عبدالرحمن الباشا في دار الثقافة بإدلب، وزارة الثقافة السورية.

الصالحية، ولكن الفرنسيين الفاشلين يهاجمون دمشق بالطائرات، ويدكونها بالمدافع من ذرى قاسيون، فتستسلم المدينة مرة أخرى، وينسحب الثوار منها إلى دوما، حيث يشكلون حكومة لهم هناك.

تستمر الأحداث إلى أن تعتقل أم عبادة، ويحكم عليها بالإعدام، ولكن خروج زكريا، ضابط السجن عن ذاته، وانتماءه إلى الثوار، جعله ينقذ أم عبادة من الإعدام، ويهربها من السجن.

يستمر النضال حتى يخرج المستعمر وتتحرك أرض سوريا، وذلك يوم ١٧ نيسان - حسب الرواية- ولكن عيد الجلاء - حسب ما قرأت خارج النص - هو يوم ٢٤ نيسان ١٩٤٥.

«أرض البطولات.. رواية وزارة التربية والتعليم»

- رواية أرض البطولات (قصة)

لعبد الرحمن الباشا، فازت بمسابقة وزارة التربية والتعليم في زمن الوحدة السورية المصرية (الجمهورية العربية المتحدة)!! هل يوجد اليوم مسابقات للرواية في وزارات التعليم في الدول العربية، خاصة التي تشجع الأدب الملتزم بقضايا الوطن، مثلما حصل مع هذه الرواية؟

أعتقد أننا نعيش مرحلة تخلف ثقافي، مقارنة مع سباق الأدب الموجه والمسيب في العالم، خاصة في النظام الرأسمالي الاستعماري الغربي، يتبعه زيادة في عدد المواطنين الأميين في الوطن العربي، حسب الإحصائيات.

«أرض البطولات بين القصة والرواية»

- مفهوم (قصة) كان بديلاً لمفهوم (رواية) في

الذهبي، واشترت نولاً، وأخذت تصنع عباءة وتبيعهها، لتنفق منها..

تتفجر في الشمال ثورة (إبراهيم هنانو) الذي كان رئيس ديوان محافظة حلب، فأحرق مفروشات، ودمر ثرواته، لينسلخ عن طبقة الأغنياء، ثم قاد الثورة في الشمال، فحرر مدينة (كفر تخاريم)، وعيّن حاكماً لها، يسوس الرعية، ويجبي الأموال لتزويد المجاهدين بالمؤونة والعتاد، وتكامل مع مجاهدي دمشق والجنوب.

الدروز من (بني معروف) توحدوا مع الدمشقيين في المقاومة، فتم تحرير جبل العرب..

وعلى صعيد آخر، أخذ الطفل عبادة يخرج إلى الباحة الصغيرة، وكان في جملة ما سمعه من أترابه كلمة بابا، وعند ذلك بادر أمه سائلاً: أين (بابا) يا أمه؟ فقالت له: بابا مسافر.

تتجح الثورة في إعلان حكومة عربية جديدة في سوريا، وتتواصل معارك المجاهدين في الغابات التي أضعفت مسالكها الوعرة جيوش الفرنسيين، ومزقتهم في معارك الغوطة، وقررت الثورة تحرير دمشق..

تشارك رتيبة بنقل الرسائل والأسلحة إلى ثوار دمشق المطوقة، وذلك بسلال الخضار وبين العباءات التي تبيعهها، وذلك بالتعاون مع الحاج بائع الصعتر والصابون القادم من جماعة إبراهيم هنانو في الشمال، وذلك لتتأثر لشهيدها الغالي، وتتقم لابنها من الذين يتموه.

تبدأ عملية سيطرة الثوار على دمشق، حتى تتم محاصرة الفرنسيين داخل بؤرة دمشق، وبوابة





«وانقسم المجاهدون إلى فرق ثلاث، تدخل أولاهما دمشق من حي الميدان، وتدخلها الثانية من حي الشاغور، أما الثالثة...» معنى ذلك أن الروائي يؤرخ لسوريا المناضلة، في الوقت الذي يدهشنا بروايته الفنية هذه.. ثم يقول:

«واشدت وطأة البرد على الفرقة السنغالية من

جند العدو...» وهذا توثيق تاريخي

للمرتزقة في جنود الفرنسيين. وما تكشف أخيراً من أن نسبة كبيرة من جنود فرنسا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، هم مغاربة عرب.. هذه الفضيحة الوطنية كان الباشا سابقاً في كشفها، في هذا السرد التاريخي الوثائقي الفني الروائي الذي ندرت مواصفاته الجمالية.

ويقول (ص ٢١٢): «أُحرقت

في المرة الأولى من قرى الغوطة: برزة، والقابون، وجوبر، والأشرفية، وجسرين.. وجرمانا. ويستمر في التفصيل الوثائقي للحرائق...»

لقد نجح د. الباشا في تصوير معارك مترامية الأطراف أمامنا، وسرد تفاصيلها بلغته الجميلة وخياله الجامع. وميزة الرواية التاريخية، أن القارئ الشعبي يتعلم التاريخ، لا من المدارس والكتب الرسمية الصعبة

التناول، بل يشرب تاريخه ببساطة تناول قراءة الرواية الممتعة المدهشة المسلية، وفي نفس الوقت الملتزمة المعلمة لما جرى للوطن...

«أين رواياتنا عن معاركنا التاريخية القديمة؟!»

وكنا نتمنى لو أن روائياً سابقاً، سرد لنا عبر

تلك الأيام، فرواية زينب لمحمد حسين هيكل كان مكتوباً عليها: نشرت هذه (القصة) عام ١٩١٤م، ولم يكتب: (نشرت هذه الرواية) والتي هي ليست أول رواية عربية، فأول رواية عربية كانت سورية على ذمة (جمال شديد) الذي ذكر أن أول رواية عربية كانت سورية بعنوان (وي، إذن لست بإفرنجي) لخليل خوري، وصدرت عام

١٨٥٩م.

فكلمة (رواية) بدأت في التاريخ العربي للشعر.. ورواة الشعر جعلونا نحفظه حتى أيامنا هذه. وبعد ذلك انتقلت الرواية إلى الحديث النبوي الشريف، فرواة الأحاديث إنما يروون (روايات أحاديث نبوية شريفة). وبعد ذلك انتقلت الرواية إلى المسرح، فكنا نقرأ عناوين (روايات شكسبير) وكانت إذاعة لندن تعرض في برامجها روايات

تحت مسمى: (روايات شكسبير). وعندما حطم الشعراء الحداثيون شعرنا العربي الأصيل، دالت رواية الشعر (ديوان العرب)، وصارت رواية (الرواية) بمفهومها الحديث (ديوان العرب). وكلمة رواية في رأي المتواضع، تصف الأدب المسيطر - إذا جاز التعبير - .. واليوم أهم فنون الأدب المسيطر، والذي يتابعه القراء، ويشترونه في معارض الكتب بنسبة أكبر، هي الرواية.

«أرض البطولات.. رواية تاريخية معاصرة»

- الرواية تاريخية: يقول عبد الرحمن الباشا في مقدمته: هذه (القصة) ليس فيها من خيال القاص إلا ما يربط بين الحوادث وأشخاصها، مواطنون معروفون، وفيها وصف دقيق للمواقع العسكرية إذ يقول:



يوسف الخطيب



إبراهيم هنانو

محزون النفس..» وهنا نلاحظ أن السرد يرسم أجمل اللوحات الفنية، وأن الحوار يساعد في سبر أغوار الرواية، ما كان السرد ليوصلها بهذه الكفاءة التي أوصلها بها حوار هذه الرواية المتقن.

كثيراً ما يضعنا السارد في مواقف دراماتيكية، في سرد روايته، فيوترنا بحدث جلل، مثل اعتقال القائد إبراهيم هنانو، بينما هو يفاوض المحتلين الفرنسيين في الشمال.. ويشدنا ويوصلنا إلى أزمة خانقة، قمة التوتر خوفاً على مصير القائد، ثم يريحنا بحل قادم من الثوار الذين انقضوا على الموقع، فانتشلوا قائدهم من شرك نذالة المستعمر، الذي لا عهد له.... وأحياناً يسرد لنا مُسهلاً الكسب في المعركة، فنرتاح ونفرح لقرب التخلص من هذا العدو الغاشم، وفجأة يدخلنا في فخ قاتل، إذ يسيطر الفرنسي المحتل، فيرتفع ضغط القارئ، وتتوتر أعصابه، ويحزن، ويتفاعل مع المظلومين من أبناء الوطن، وفي النهاية يأتي الفرج، وينهزم العدو، فيرتاح القارئ ويفرح لفرح المظلومين.. إذ يقول (ص ١٢٧): «ثم ما لبثوا أن اصطدموا بفرقة دبابات العدو الضخمة.. وأيقن

الحاج ومن معه أنهم هالكون لا محالة.. ثم حدثت المعجزة التي رجاها الناس، فتساقطت على الدبابات عشرات من كرات النفط الملتهب. فانفجرت محركاتها بمن فيها.. وشق الأبطال طريقهم بين الأشلاء.. لاحظ الدراما.. الشد والجذب في السرد المنسوج بقلم فني رشيق، والذي يخلق التوتر، ثم ما بعد الضيق إلا الفرج..

«المفاجئات المؤهلة في أرض البطولات»

وأكثر المفاجئات المذهلة في الرواية، هي استشهاد الضابط عبادة، فتروح أمه تبكيه وتقول:

روايات فنية ممتعة، كيف تمت تفاصيل معارك التاريخ العربي المجيد، مثل معركة حطين، ومؤتة، واليرموك، وأحد، وبدر، وغيرها، كما صور الباشا التفاعلات الشعبية والوطنية في مواجهة المحتل الفرنسي في معركة ميسلون، وما بعدها، وحتى التحرير. وهذا يؤكد حاجتنا الماسة للرواية التاريخية التي تصور تاريخنا بإيجابياته وسلبياته، وبانتصاراته وهزائمه، تصويراً صادقاً غير مزور.

يقول د. عبد الملك مرتاض في كتابه (في نظرية الرواية- ص ٣١):

« في مرحلة كانت الرواية غير واثقة من نفسها، ولا موقنة من جمالها الفني، وسلطانها الأدبي المثير، تعولّ تعويلاً شديداً على أحداث التاريخ، مما حمل (بلزاك) على عد الرواية حليفاً للتاريخ، بيد أن (فولكنير) عارض هذا المبدأ، واعتبر أن جنس الرواية إبطال حتمي لمسار التاريخ. لأنها تجعل من الشخصية كل شيء في العمل السردى الروائي.» نحن نتعلم من هذين النقيضين دون تعليق.

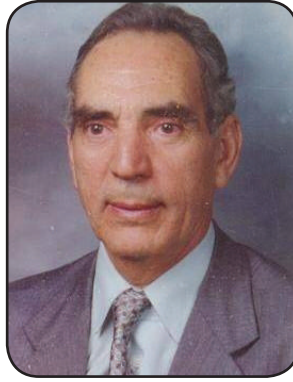
«متعة السرد في أرض البطولات»

أسلوب السرد في الرواية سلس وممتع ومدهش، ومرسوم بدقة. والحوار محكم ومترايط وجميل، ويوصل الفكرة بسهولة، ويدفعك إلى المتابعة بتشوق.. فعبادة يقول لأمه (ص ٩٩):

- كيف تقولين يا أماه: إن أبي مسافر؟ فتجيبه موقنة:

- نعم إنه مسافر يا عبادة، لقد استشهد وسافر إلى الجنة.. ثم يسرد قائلاً:

«غفا عبادة على أحلام يومه الأسود، منكسر الفؤاد



عبد الملك مرتاض



لتربية ابنها، إلا أنها ترفض التوقف، وتقرر مواصلة
المسيرة الثورية للنهضة.

«أرض البطولات والأسئلة المشروعة»

- مع السرد يثير الكاتب أسئلة فكرية وفلسفية، من
خلال الأم رتيبة:

« ماذا كان يحدث لو أن أبا هذا الصبي الصغير
بقي حياً؟
« ما الذي فعله هذا الطفل، حتى يهصر قلبه
الأسى؟
« هل كان شؤماً على أبيه، الذي استشهد قبل أن يولد
ابنه؟ »

وبذلك يثير قضايا ثقافية،
فكرية وفلسفية، تشغل فكر القارئ،
وتضطره للتفكير، والمناقشة وإعطاء
وجهة نظر مغايرة لما تعود عليه..

«جماليات الوصف في أرض البطولات»

- تبدأ الرواية بوصف جماليات
الشام، وامتعة الحياة الدمشقية، بعد
تخلصها من حكم الأتراك الكماليين،
وانتصار حلفاء سوريا الغربيين في
الحرب العالمية الأولى، إذ يكتب السارد



صلاح الدين الأيوبي

« كان الليل ساجياً، وأغصان الصفصاف تتدلى
على ضفاف بردى.. وكانت دمشق تهجع في أحضان هذه
الفتنة الحاملة.. »

وفوراً ودون إطالة، ينقلك من النعيم إلى الجحيم،
مثل تسونامي إندونيسيا. ويا فرحة ما تمت..! إذ انقضت
جيوش الجنرال (غورو)، العسكرية في «عاليه» لاحتلال
سوريا..! وتقع معركة ميسلون.. فتشكك للمتابعة، ولا
تدعك تترك الرواية، إذ إن كثيراً من القراء يتركون

«لم يتح لي أن أشهد دفن أبي عبادة.. ولم يتح
لي اليوم أن أشهد دفن عبادة!» فيحصل إحباط لدى
القارئ،... وما هي سوى لحظات، حتى تأتي البشرية
بأن عبادة حي، وهو في المشفى.. صحيح أن طريقة
المعالجة لاستشهاده، ثم اكتشاف أنه حي في المشفى
كانت ضعيفة في رواية واقعية، ولكن القارئ، يقبل
الحوادث غير المحبوبة جيداً في الرواية، لأنه قد قبل
منذ البداية كونها رواية، وليست أحداثاً يعيشها على
الأرض.

ومن الأساليب المؤثرة دراماتيكية، هي استشراف
المستقبل، إذ يقول (ص ٥٨): «وعلى أيديهم سيكون

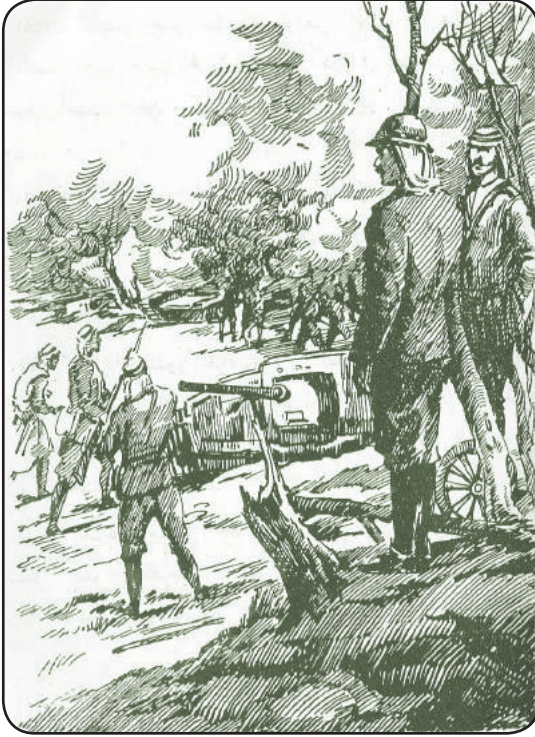
الثار، وعلى شفرات سيوفهم، ستسيل
نفوس الطغاة المعتدين.» فهذه العبارة
تشدك، وتجعلك تتابع ما سيحصل،
بترقب وتلهف..!

- برغم كون الأحداث في الشمال
وفي الوسط والشرق والغرب السوري،
إلا أن الروائي المتمكن من أدواته،
يربط شخصيات الرواية مع بعضها
في عمود فقري واحد هو المناضلة أم
عبادة، زوجة الشهيد أبو عبادة.. إذ
يقول: كانت أم عبادة من بين قاذي
الكرات.. ثم يقول (ص ١٥١):

« وهبت رتيبة وغير رتيبة يهيمون في أزقة (جوبر)
يستنهضون الهمم.. » ويقول:

« ثم فكرت وقررت إرسال الذخيرة بالجرار المغلقة
التي تطفو في (نهر بردى) باتجاه الزور. فيستلمها
المجاهدون.. »

وتستمر أم عبادة في نضالها طوال أحداث الرواية،
حتى بعد دخولها السجن، والحكم عليها بالإعدام،
وبرغم الأمر القيادي لها بالتوقف عن الجهاد، والتفرغ



« لقد خيل إليهم أن يوسف العظمة سيهزم غورو في
ميسلون، كما هزم صلاح الدين الملك (غي آل لوزينيان)
في حطين... » ويسرد في (ص ٧٥):
«وعامل هنانو أسرى المعركة الفرنسيين، كما عامل
صلاح الدين أسلافهم يوم حطين...»
وفي الرواية مقارنات كثيرة:
« يقارنهم بنيرون فيما أحرق، وهولاكو فيما دمر،
وتيمورلنك فيما أراق من الدماء الطاهرة... » ثم يقول
السارد في روايته :

«كان غورو يقارن بين انتصاره في ميسلون، واندحار
سلفه نابليون أمام أسوار عكا»
وفي كل مرة يقارن نكت المستعمرين الفرنسيين
لعهودهم واتفاقاتهم، بينما يلتزم المجاهدون
السوريون بالمواثيق! وهذا ما يتم اليوم مع المفاوضين
الإسرائيليين الذي ينقضون كل يوم اتفاقاً جديداً،

الرواية السخيفة أو المملة، بعد عشر صفحات، أو
عشرين صفحة من القراءة.

كان عبد الرحمن الباشا يدرك الدراما والشد
والتوتر الذي هو من مواصفات الرواية المدهشة. وكان
يدرك الدخول في الأحداث الساخنة منذ بداية الرواية،
كالقنبلة في باب البيت، كي يضطر القارئ إلى المضي في
القراءة حتى النهاية، ومن ذلك أنه بدأ روايته بمعركة
ميسلون الشهيرة.. وهذا ذكاء في الأسلوب السردى.

«الشخصية والبطولة في أرض البطولات»

- شخصيات الرواية أبطال، بمفهوم البطل، الذي
استبدلنا به اليوم عبارة (الشخصية)، فلا أبطال
في عصر الواقعية الحديثة. فأبطال الروايات يجري
تقديمهم اليوم بشخصيات متشظية، ذات أفكار وسلوك
متناقض أحياناً، وهذه هي حقيقة الشخصية.. والبطولة
المثالية أو المطلقة ليست حقيقة.. فالبطل هنا كأنه
ملاك، إنه يصيب ولا يخطئ، ولكن الشخصية تصيب
وتخطئ، ولذلك سيطر اليوم مفهوم (الشخصية)
على مفهوم (البطل) في الواقعية السحرية أو الواقعية
الحديثة..

وأم عبادة هنا (بطلة) بكل أبعاد البطلة. تصيب ولا
تخطئ، تفعل فتنجح، وتخطو فلا تلام، وتقرر فلا تفشل
قراراتها، وتدعوها قيادة الثورة للتفرغ إلى طفلها،
فترفض، وتبقى ملازمة للثوار، مهما جرى لولدها، وهي
المعيلة الوحيدة له...

«مقارنة بين وقائع الأحداث»

في الرواية مقارنات كثيرة، بين وقائع وأحداث
وشخصيات قيادية، فالسارد (يقارن) وقوف القائد
السوري (يوسف العظمة)، وسط المعركة، يضرم نارها،
بينما يقعد الجنرال (غورو) وراء أسوار قصره في
عاليه. ترى هل ما تزال عاليه...؟
يكتب (ص ٢٢):



الدخان كثيفاً من منخره وكأنه ينفس عما يضطرم في صدره من غيظ..

- توحيد دمشق و«عاليه» في العبارة: «كانت أسلاك البرق الممتدة بين دمشق و«عاليه» تترنح تحت وطأة الإنذار..» تؤكد وحدة البلد الواحد..

«ما أشبه الليلة بالبارحة»

- هناك تشابهات كثيرة بين ما سرده عبد الرحمن الباشا في روايته، أثناء احتلال الفرنسيين، وما يحصل اليوم على أرض العرب من فلسطين، ودارفور، والعراق، ولبنان! وهذا يؤكد بعد نظر (عبد الرحمن الباشا) في طرحه للقضايا المصرية العربية، ويؤكد النهج المستمر للعدوان على أمتنا العربية منذ انتهاء الدولة العثمانية وحتى اليوم.. (وما بدلوا تبديلاً) نذكر منه:

١- (ص ١١) كانت أهم شروط الفرنسي المحتل على الحكومة السورية آنذاك:

« يتم تسريح الجيش العربي تسريحاً تاماً..» وهذا ما حصل حالياً تحت الاحتلال الأمريكي للعراق، من تسريح للجيش العراقي!

« تنزل الحكومة العربية العقاب الصارم بخصوم فرنسا من أبنائها..» وهذا ما يحصل حالياً تحت الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، إذ يطلب من السلطة الفلسطينية حسب خارطة الطريق، القبض على المقاومين الفلسطينيين وسجنهم أو تسليمهم للعدو..!

٢- الدروز من (بني معروف)

توحدوا مع الدمشقيين في المقاومة،

فتم تحرير جبل العرب... وليس

غريباً أن يكون عميد الأسرى

اللبنانيين سمير قنطار،

من (بني معروف) هو أقدم

أسير منذ ١٩٧٩ في معتقل

في سجن (هداريم)

ويبدوون يتفاوضون من جديد، لتحقيق مكاسب جديدة.

«جمالية اللغة والخيال في أرض البطولات»

- في الرواية بلاغة لغوية، وخيال جامح، ووصف جميل مؤثر في النفس بنوع من الرومانسية التي كانت ما تزال يومها مهيمنة، في كتابات جبران خليل جبران والمنفلوطي وغيرهما.. إذ يقول:

« كانت أسلاك البرق الممتدة بين دمشق و«عاليه» تترنح تحت وطأة الإنذار..» ويقول (ص ٢١):

«وبدت فروع بردى السبعة وكأنها مسایل دموع على خد المدينة المحزونة..» ويقول:

« فتلفت المسجد الوقور ليرى أولئك الوافدين، وأطلت مأذن الجامع الثلاث..» وفي صفحة أخرى يقول:

« وكانت شمس الأصيل تلملم أذيالها لتتوارى خلف الأفق..»

«ترقد بلدة أريحا عروس مصايف الشمال آمنة مطمئنة تسند رأسها إلى سفح الجبل، وتريح جسدها وقدميها على السهل..»

خيال خصب، ولغة بليغة، ورسم جميل بالكلمات، ووصف تصويري جميل للقطار الذي أقبل من بعيد يهجم على المحطة هجوم المارد الجبار، وهو ينفث





الفجر، ليخوضوا معركة، كانوا يرون أن التفكير في نتائجها عار...» ثم يقول: «وأضرموا مع الصباح نار حرب جعلوا وقودها أجسادهم...» إذن هم يعرفون أن نتائجها خاسرة، ومع ذلك لم تسمح لهم كرامتهم الوطنية أن لا يدافعوا عن الوطن، مهما كانت النتيجة.

«أرض البطولات.. والمذهب الواقعي في الرواية»

لاحظت شخصياً هنا، أحد أسباب اضمحلال المذهب الواقعي التقليدي، وهو أن السارد عندما يكتب الواقعية، فإن كثيراً من التصرفات تبدو غير منطقية، مثل انهماك رتيبة في يوميات الثورة والجهاد المقاوم، ولا تعود إلى بيتها إلا مساءً، بينما ليس لديها زوج، وهي الوحيدة التي ترعى طفلها عبادة، وهي الوحيدة التي تحصل على قوتها وقوت ابنها بعرق الجبين، وبصناعة العباءات على النول، فكيف لها أن تجمع بين كل هذه

الإسرائيلي حتى اليوم(*).. هذا يؤكد عمق ثقافة الباشا، وبعد نظره، ويؤكد أهمية التاريخ في استشراق المستقبل.

٣- حلف المفاوضون الفرنسيون بشرف فرنسا أن لا يصيبوا أحداً من المفاوضين بأذى، ولكنهم غدروا بهم أثناء المفاوضات واعتقلوهم.. وهذا ما يحصل مع المقاومين الفلسطينيين الذين طلبت منهم السلطة تسليم أسلحتهم في بلدية نابلس، ووعدتهم بالعفو عنهم، وعدم ملاحقتهم إذا سلموا أسلحتهم، فلما سلموها، اعتقلتهم القوات الإسرائيلية داخل البلدية.

٤- وبعثت فرنسا زبانيتهما إلى تلك المناطق.. وهاهم المحتلون الإسرائيليون يستخدمون جواسيسهم هنا وهناك..

٥- يقول (ص ٨٨): وأخرجوا أمهاتهم وأخواتهم ليشهدوا مصارعهم بأعينهم.. وهذا ما حصل ويحصل في غزة هذه الأيام، ومن قبل في دير ياسين، وكل المواقع التي تخضع للاحتلال الغربي.

٦- قصف الفرنسيين لدمشق بالطائرات ودكها بالمدافع من ذرى قاسيون، يشبهه اليوم قصف الطائرات للمواطنين والمقاومين الفلسطينيين على السواء في غزة، والعراق وجنوب لبنان..

٧- أرض البطولات، تصف الإذلال الذي يمارسه المحتلون على الحواجز... نفس الإذلال الذي يعيشه الفلسطينيون والعراقيون على الحواجز اليوم.

٨- يقول (ص ١٥٦): «كان في وسعها أن تختفي وراء شجرة من أشجار الغوطة الباسقة، لولا أن الفرنسيين كانوا قد اجتثوا شجر هذه المنطقة، يوم أن سقطت في أيديهم..» نفس خلع الأشجار هذا يتم الآن في فلسطين.

- في الرواية بث روح الشهامة والعزة والكبرياء (ص ٢١): «باتوا ليلتهم في ميسلون، يترقبون مطلع



«وقفات مع رواية أرض البطولات»

وجمالية الرواية، ونضوجها وتكاملها، وسير أغوار مادتها، لا يمنع من ذكر بعض هئاتها، ومنها أذكر: ١- «دخل الضابط على القائد الفرنسي، وقال له: جئت لأخبركم سيدي بأن القافلة الفرنسية قد أبيدت. فما هي إلا ساعة وبعض ساعة، حتى أصبحت القافلة أثراً بعد عين.»

هذا السرد من وجهة نظر الكاتب، وليس من وجهة نظر الضابط الفرنسي الذي مطلوب منه أن لا يصف الحدث بهذه الشماتة! المفروض أن يلبس قناع الفرنسي، ويتفاعل مع الحدث، بتصور المعتدي، وليست بشماتة المعتدى عليه... ثم يقول في صفحة أخرى:

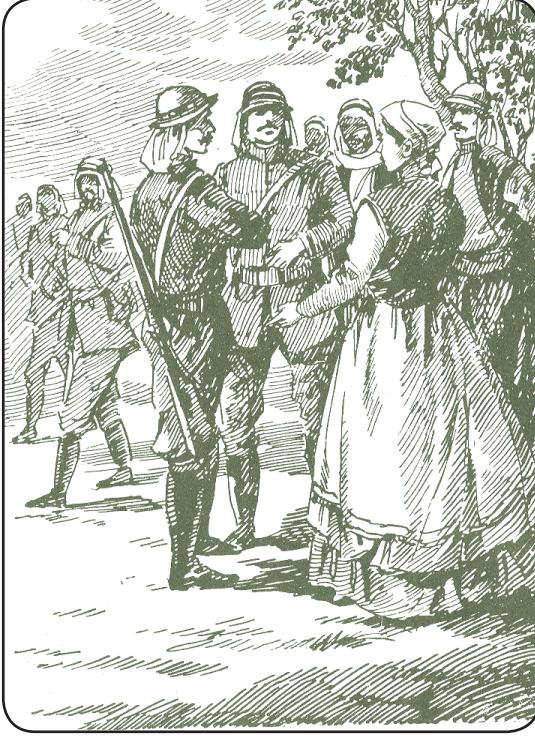
٢- «وجرب المستعمر أن يشتري الذمم، فلم يجد في هذا الوطن من يبيع ذمته!» وهذا ما قصدته بالمثالية الواقعية.. يريد الروائي أن يقنعنا بأن أبطال روايته، وهم هنا الشعب العربي من عاليه إلى دمشق، كلهم لا تشتري ذممهم! ولو كان هذا صحيحاً، فكيف نرى ونسمع عن بعض من يولون الاستعمار زمام وطنهم؟

٣- ثم يقول (ص ٢٠): «اهتزت أسلاك البرق تحمل إلى باريس خبر انتصار جيش فرنسا الجرار على (أصغر) دولة في العالم» وسورية الكبرى آنذاك، وحتى اليوم، ليست أصغر دولة في العالم.. وفي المقدمة يقول: «هذه القصة كتبها شعبنا (الصغير) بشفرات السيوف..» فسوريا هي أم الحضارة الكونية...، ومنها نشأت صناعة السفن العملاقة وصناعة النسيج المصبوغ بالأرجوان الذي كان يصدر إلى أمراء وملوك أوروبا.. وسهول حوران كانت مخزن حبوب العالم، وإلى وقت قريب كانت سوريا تصدر القمح لشعوبها

النشاطات، خاصة وأن ابنها في المدرسة، وعندما يعود يريد لقمة ومنامة، وعلى الأخص أن المواصلات لم تكن سهلة في تلك الأيام، والمسافات التي يذكرها السارد ليست قصيرة، فهي تسير يومياً من جوبر إلى منطقة الزور إلى حرستا..! وماذا يحصل عندما يتم اعتقالها وسجنها، فمن سيرعى الطفل عبادة؟! ثم إن المرأة تصلي داخل السجن..!

الروائي يريد أن يصنع منها بطله مثالية، والمثالية تتناقض مع الواقعية... هذا ما قصدته عندما قلت: إن الرواية الواقعية الحديثة قد حولت تعبير (أبطال الرواية) إلى تعبير (شخصيات الرواية).. فلا داعي لأن نجعل من رتيبة شخصية مثالية، وتقوم بكل هذه الأعمال البطولية المدهشة المتكاملة، فمثل هذه الأم الشابة الجميلة مثل رتيبة، في الروايات الواقعية الحديثة، قد تتعرض للاعتداء عليها، أو الاغتصاب، أو قد تسرق لتطعم الجياع من الثوار، أو ابنها على الأقل. وقد تحب رجلاً مقاتلاً. وقد تخطئ! ومن الأفضل أن تكون شخصيتها ضبابية، في نفس الوقت الذي فيه تصور أحداث واقعية، ولكن بطريقة غامضة، أو تعبيرية، وليست تقريرية.. فإذا قدّمت لي تقريراً عن عمل ما، فإنني مضطر لأن أحاسبك على الساعة والدقيقة، وعلى عدد الحضور ودقة المصاريف..

لو لم تكن أحداث الرواية واقعية تقليدية، لكانت أحداثها أكثر منطقية، وأكثر خيالاً، ولأوصلت الفكرة بطريقة أكفأ، دون أن تجد من يعد عليها الهنات.. وكما يقولون: «سكنّ تسلم»، فإن ضبابية التصوير الروائي، تعطيك مصداقية أكثر.. وكما قيل: (العجز عن الإدراك، إدراك) فإن ضعف إدراك الصورة الحقيقية، هو أكثر إدراكاً من وضوحها التام، ولهذا تلاشت الواقعية التقليدية، وسيطرت مكانها الواقعية السحرية، أو الواقعية الحديثة مؤخراً.



العربية... لقد كان البحر الأبيض المتوسط في عهد الكنعانيين يسمى في الخرائط (بحر سوريا). ولهذا فلا أُويد الباشا في تصغير أكتاف سوريا الكبرى.

٤- الروائي متمكن من استخدام اللغة العربية الفصحى، غير المحكية، ويبدو أنه يقصد ذلك، إذ يقول:

«عرين يعج بالضياغم. ثم يفسرها في الهامش بمعنى: «الأسود»....»

« جبل أرعن، طماح الذؤابة. ويفسرها في الهامش بكلمة «عال» ..

وفي مكان آخر يقول:

«كالطيور الفردة، تغدو مع الصباح خماصاً، وتعود مع المساء بطاناً». ثم يفسرها: (ضامرة البطون، وممتلئة البطون)

مثل هذه الكلمات الطنانة الرنانة كثيرة في الرواية، وهي وإن كانت أصيلة، إلا أنها تشغل القارئ بالتفسير، بدل انشغاله بأحداث الرواية، وسردها المدهش. هل هو عرض للعضلات اللغوية، أم تعليم لنا كلمات عربية فصحية؟ وما دام يفسر كلماته، فلماذا لا يكتب الكلمات المفسرة بنفسه، فيريح القارئ، كي لا يضطر الجيل الجديد لاستخدام اللغة الأمريكية للتعبير؟

٥- ويخطر في بالي سؤال للتأثير إبراهيم هنانو: « ما دمت تريد نفقات للثوار، لماذا أحرقت ممتلكاتك وما في إسطنبولتك؟ لماذا لم تبعها في السوق، وتشتر بثمنها أسلحة ومؤونة للمجاهدين...؟»

كأن هنانو هنا يقلد طارق بن زياد، الذي أحرق السفن، ليقول: «البحر من ورائكم والعدو أمامكم».

٦- ظروف رتيبة (أم عبادة) غير منطقية، فهي أرملة، ووحيدة، وليس لها سوى طفل، يذهب إلى المدرسة، وهي تشغل على النول لتنفق على بيتها

وطفلها. وأحياناً تعيش على الجوع هي وطفلها، إذ يقول السارد: إنها كثيراً ما كانت تأكل هي وابنها وجبة واحدة، ويذهب عبادة إلى المدرسة من حرسنا إلى دمشق سيراً على الأقدام، ومع كل ذلك تقضي نهارها بين المجاهدين، من الغوطة إلى دمشق إلى داريا.. تتقل المؤن والعتاد والرسائل.. وتعود قبل أن يعود طفلها من المدرسة..! حسناً..! ألم تكن هذه المجاهدة تتوقع أن تُعتقل أو تُستشهد، فيضيع ابنها، ونحن نعلم أن رعاية الأطفال جهاد أكبر؟

وبالفعل اعتقلت أم عبادة، وحكم عليها بالإعدام شنقاً.. وبقدرة قادر، تم خروج غير مبرر لضابط السجن زكي أفندي عن ذاته، فأنقذها من حبل المشنقة..

ماذا عن الطفل الذي هو أحق بالرعاية، ما دامت الأرملة ليس لديها معيل؟



الباشا يطرح في روايته؛ الصراع فقط مع المحتل، ويعتبر أن (كل الناس خير وبركة).
٨- يقول السارد (ص ٢٣٥):

« كانت الحكومة الوطنية مغلوطة اليد، مشلولة القدرة، فقد كان في يدها الحكم، وفي يد فرنسا الجيش... » ثم يقول في نفس الصفحة:

«وفتحت الحكومة باب التطوع للبدل والفداء، وكان عبادة في الطليعة...»

فكيف تفتح الحكومة المغلوطة اليد باب التطوع، وهو ممنوع من الناحية الفرنسية؟

وكيف يدخل عبادة سلك الجندية

أو الأمنية على الأقل، والسارد يقول:

إن التوظيف في الأمن تحت الاحتلال، ليس لكل من تقدم، بل هو محصور على من له تاريخ حافل بالمسألة والخنوع؟

فإذا كان عبادة وأبو عبادة وأم عبادة كلهم من الثوار، فكيف يسمح له بالتجنيد ضمن القوات التي تستخدم النظام تحت الاحتلال؟ ■

الهوامش:

(*) (تم الإفراج عنه في الدفعة الأولى من تبادل الأسرى مع حركة المقاومة الإسلامية حماس ١٤٢٢هـ/ ٢٠١١م).

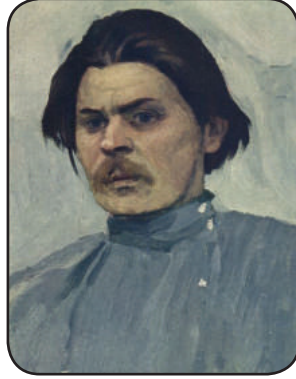
يبدو أن الكاتب قد تأثر برواية (الأم) لمكسيم جوركي، فحاول أن يبدع أمأ عربية، مناضلة من هذا النوع.. ولكن ظروف هذه المجاهدة لم تكن مقنعة.. لو كانت مثل (جان دارك) التي ليس لها أولاد أو أسرة تعولهم، لقلنا: نعم، ولكن..!

٧- يقول السارد:

«ولد عبادة من أبوين فلاحين شريفين، فأحبه رفاقه في مدرسة دمشق، وتنافسوا في التودد إليه..» وهذا يجافي الواقع، فالشاب المدني لا يتودد إلى الشاب الفلاحي عادة، لما بينهما من فروق اجتماعية وسلوكية.. ولا أزال أذكر قصة (زكريا تامر) حول ذلك الرجل

الفلاح الأصل المهيّب في قريته، والذي يعتز بشواربه بين رجال قريته، فيوم نزل من الريف إلى دمشق، تحرشت به امرأة سوقية من إياهن، فكان مآله النظارة، حيث تم حلق شواربه ونتف ريشه في (القاووش)..

وهنا تصوير الباشا- حسب رأيي- ليس في محله، في تثبيت مقولة: (كل الناس خير وبركة) وهذا ليس صحيحاً! فبعض الناس خير، وبعضهم شر. ولنا في غوار الطوشة وحسن البورزان، نموذجان يوضحان الصراع بين الخير والشر، داخل المجتمع الواحد.



مكسيم غوركي

« كان الوالد - رحمه الله - حين يريد توجيهنا إلى شيء يكرهه يحدثنا

بلطف، وكان يغضب لنومنا الكثير فيقول:

ما فاز إلا النوم

ناموا ولا تستيقظوا

رضوان عبد الرحمن الباشا

شجاعة

محمد الرحمن وآيات البشارة * رجل شمله

قضايا كثيرة من الأدب الإسلامي.

لقد كان في عمله هذا واسع النظرة، قوي الخطوة، صادق العزيمة لأنه يؤمن كما قال في كتابه نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد:

«إنها مسؤولية كبرى يلقيها الإسلام على عاتق الأدباء، وإشارة ضخمة إلى مهمة الأديب الإسلامي في بناء المجتمع، فأسلات الأقلام في هذا الدين كشفرات السيوف.

وكل أديب يستحق هذا اللقب بجداره يقف على ثغر من ثغور الإسلام، فإذا عرفنا أن الإسلام والمسلمين في معركة دائمة، وأن على كل مسلم نصيبه من الجهاد والبناء، أدركنا

قيمة الأدب في حياة المسلمين، وأهميته في بناء المجتمع المسلم، وعلى هذا فليس الأدب نافذة في الحياة، وإنما هو عنصر من عناصرها الأصلية الثابتة، وليس الأدباء بسكان الأبراج

العاجية، وإنما هم حملة السلاح في المعركة». وكان نتاجه وقلمه صورة عما يدعو إليه، ولذا صار يعرف بصاحب سلسلة صور من حياة الصحابة وصور من حياة التابعين،

هاتان السلسلتان اللتان كتبتا بأسلوب أدبي مشرق يعطي نموذجاً للأدب الإسلامي الحديث، هذا الأدب الذي يتميز بالأصالة، والإشراق والسمو.

فكانت كتبه هذه واسعة الانتشار، كثيرة الطبعات، ودخلت مقررات مدرسية في عدد من الدول.

رحم الله الفقيد الذي كان على ثغرة من ثغور الإسلام، وظل جندياً صامداً على هذا الثغر حتى وافته المنية. ■



محمد حسن بريغش - سورية

أسفار ضخمة تجمع النصوص الشعرية، والنثرية..

وسميت هذه الأسفار (موسوعة أدب الدعوة الإسلامية) وكانت أمنية الفقيد - رحمه الله - أن تصل هذه الأسفار إلى قريب من خمسة عشر مجلداً.

وتمثل هذه المجلدات الستة الأرضية الصلبة التي تساعد الدارسين في معرفة الأدب الإسلامي، ودراسة خصائصه، ورصد موضوعاته وأغراضه، وصوره منذ فجره الأول، وهو عمل جليل وكبير يحتاج إلى

من يكمله، ويتم خطواته تلك لتشمل جميع العصور وشتى الفنون الأدبية. وهو يعكس صورة الجهد الذي بذله الفقيد، والتصور الذي نظر من خلاله إلى الأدب الإسلامي.

وكذلك كان له الفضل في إقرار منهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية، وأصبح قسماً خاصاً يتخرج منه كثير من الباحثين والطلبة الدارسين، وتكتب فيه كثير من البحوث والموضوعات التي تعالج

إنه واحد من رواد الأدب الإسلامي المعاصر، الذين حملوا الراية بصبر وثبات، ووقفوا على ثغر من ثغور الإسلام.

لقد عمل الفقيد - رحمه الله - على إبراز الأدب الإسلامي بقوة، وثابر على المناداة به، وإبراز خصائصه، وإحياء تراثه بجد وإخلاص. وكان في دراسته وتدريسه مثلاً يحتذى في الجد والصبر والثبات، لقد

عرفته مدارس سورية، وجامعة دمشق منافحاً قويا عن العربية - لغة القرآن - وعن الأدب الإسلامي، ثم ترجم دعوته تلك إلى

عمل رائد عندما أصبح أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فبدأ يدرس الأدب الإسلامي، ويبرز نصوصه وخصائصه، ووجه عدداً من طلابه لدراسة

هذا الأدب، وجمع نصوصه من بطون الكتب، وشتى المراجع والمصادر الأدبية والتاريخية، ولا سيما أنه كان يعلم بأن هذا الأدب لم يلق

العناية التي يستحقها، والاهتمام الجدير به من طلاب الدراسات الأدبية. ولم يلتفت إليه إلا النزر اليسير من الدارسين التفاتات عابرة لا تتكافأ مع مكانته من ديوان الشعر

العربي، ولا تنهض إلى مستوى منزلته في حياة المسلمين حتى أصبح يطلق عليه اسم «الأدب اليتيم».

ثم راح يعدد الأسباب التي حالت دون إبراز هذا الأدب، وهكذا كانت ثمار جهده هذا أن أخرجت كلية اللغة العربية ستة

(*) مجلة المجتمع، الثلاثاء ٧ ذو الحجة ١٤٠٦هـ، الموافق ٢ أغسطس ١٩٨٦م.



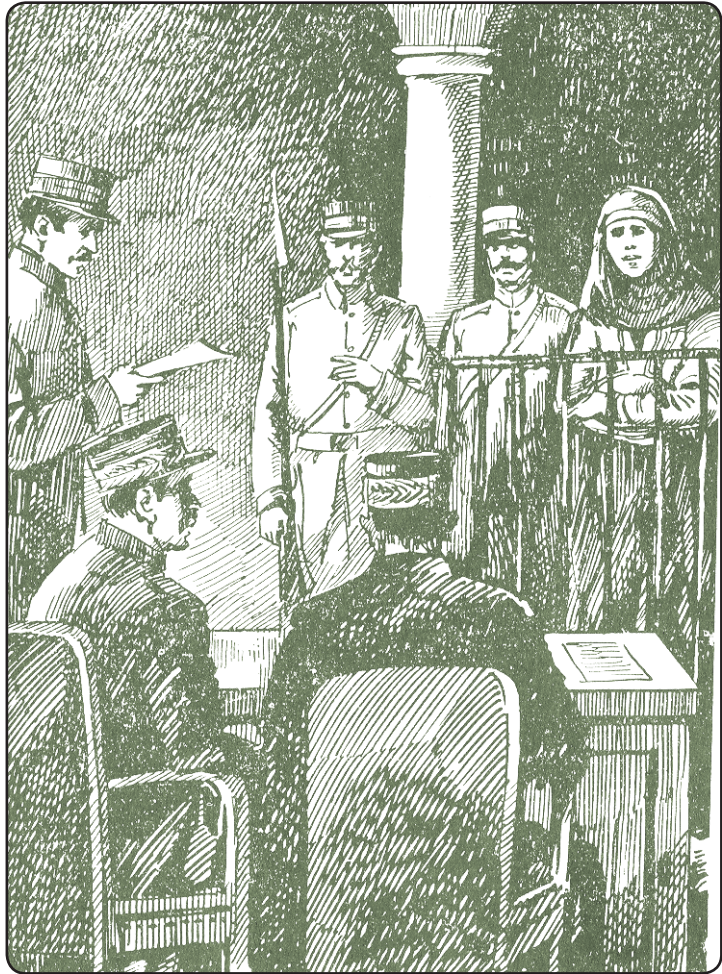
المرأة المناضلة

في رواية «أرض البطولات» تجسيد للـ

تعد رواية أرض البطولات للدكتور عبد الرحمن الباشا رواية نوعية بخصوصيتها التي وثقت نضال الشعب العربي في سورية ضد المستعمر الفرنسي منذ دخوله سورية وحتى الجلاء عنها، وقد طبعت الرواية عام ١٩٦٠ بعد أن فازت بجائزة مسابقة وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة زمن الوحدة بين مصر وسورية، وقررت وزارة التربية تدريسها في الصف الأول الثانوي.



محمد قرانيا (*) - سورية



حياتها لتحرير الوطن مقدمة التضحية تلو الأخرى، حتى غدت رمزا من رموز الكفاح الوطني. يشمل الحيز المكاني للرواية تلك الربوع الشامية

تحكي الرواية قصة النضال الوطني الذي شاركت فيه جميع فئات الشعب فقدمت مئات الشهداء، وتبرز من خلال شخصياتها الرئيسية «رتيبة» التي نذرت

(*) عضو اتحاد الكتاب - إدلب - سورية.

كفاح الذي حقق الجلاء عن أرض الوطن

بعد أن قضى على حامية (سلقين) الفرنسية، وجعل مركز ثورته في جبل الزواية، وفاوض القائد الفرنسي في بلدة (أريحا) وفي قرية (كورين) بعد أن نجا من المكيدة الفرنسية بأعجوبة خارقة.

لكن صورة الأم (رتيبة) (أم عبادة) هي الصورة التي تغطي جميع أحداث الرواية، وتربطها بها. فتبدو لنا امرأة صلبة مناضلة، وشخصية روائية نامية ومتطورة تضي بالروح من أجل انتصار الوطن.

هذه الشخصية المتألقة ربما كانت تخالف المؤلف الاجتماعي الذي كانت تعيشه المرأة السورية في طرح قضية النضال الوطني في ظل البنية التقليدية لنظام الأسرة السورية، في مطالع القرن العشرين، أو قضية الأمومة والحب الغريزي الذي يرفع الابن في عين الأم إلى قمة الكمال والجمال، فتجد أمثال هذه الشخصية تصمُّ على قلبها عن جميع عواطفها، وتبيري لتنفيذ المهام المسندة إليها.

إن «أم عبادة» في رواية (أرض البطولات) تشكل الموضوع الرئيسي الذي تتمحور حوله الرواية بسردها التاريخي وعرضها الفني، المتمثل في النضال ضد

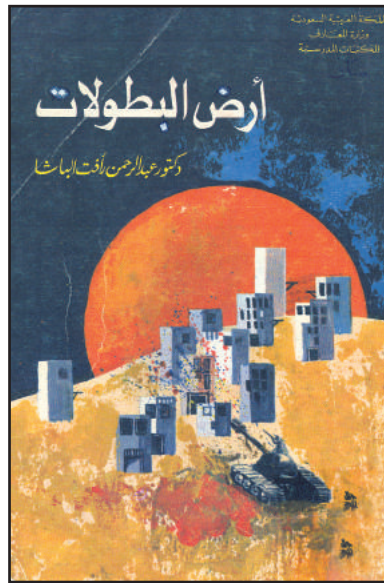
التي ثوى في كل شبر منها شهيد مضمخ بطيوب المعارك، وهوى على كل ذروة من ذراها سر رافع الرأس مبسوط الجناح، وتخرج الرواية على ثورة الشمال، وتقف على ميادينها ومرابض ثوارها في كفر تخاريم وأريحا وما حولها من سهول وهضاب. وأشخاصها مواطنون معروفون، منهم من قضى

نحبه ومنهم من ينتظر، «رتيبة»، «أم عبادة» هي «أم عبود» تلك المرأة الفقيرة المجاهدة التي عرفت دمشق إبّان الثورة السورية الكبرى، وروت كثيرا من بطولاتها.

و (زكريا أفندي) هو السيد (زكريا الداغستاني) ذلك المواطن الشهم الذكي الذي عاش أحداث الثورة، وظلت في خياله منها بعد الاستقلال ذكريات تتألق بسنا المجد.

و (عبادة) هو ذلك الفتى الباسل الذي أطلقت عليه (دمشق) لقب الشهيد الحي بعد أن نجا من مجزرة مجلس النواب بأعجوبة.

و (إبراهيم هنانو) هو نفسه الزعيم الوطني الذي انبثق من قلب الشعب، وجمع الثوار حوله، وأشعل ثورة الشمال، وشكل أول حكومة وطنية في (كفر تخاريم)





إلى (داريا) مع ولدها، للعيش في كنف أخيها، كما صدت جميع الدعوات للزواج ثانية، مصممة على تربية ولدها بنفسها، وبالطريقة التي تؤهله لأن يأخذ دوره الفعال في الكفاح الوطني. فتعمل في (النَّوْل) الذي كان يعمل فيه زوجها، وتبيع قرطها الذهبي كي تحصل على مواد النسيج اللازمة لتحدي حالة الفقر والعوز، ومتجاوزة حالاتها النفسية القاسية، وناذرة حياتها - رغم شبابها الغض - لتربية (عبادة) والقيام بواجبها كأم مواطنة تتسج العباءات وتبيعهها للثوار بأسعار بخسة، مضحية بتعبها الذي تراه يسيرا في سبيل تحرير الوطن.

لقد ألهتها تربيتها الريفية الرصينة لأن تكون (أُمًّا) ممتازة. علمت ابنها حب الوطن، فأخذته إلى الكتاب منذ نعومة أظافره، وتابعته يوما بعد يوم إلى أن انتقل إلى المدرسة الثانوية في دمشق ليشترك مع رفاقه في المظاهرات التي تندد بالاحتلال، وتطالب بالجلء عن الوطن.

وكما كانت (أُمًّا) ممتازة في تجاوز عواطف قلبها، والدفع بابنها إلى المشاركة في النضال الوطني، فإنها كانت (أُمًّا) مناضلة على أفضل ما يكون النضال، وفاقته فيه الرجال، حين نذرت نفسها للكفاح الميداني، فعملت على نقل الرسائل السرية من قيادة ثورة (هنانو) في الشمال إلى المجاهدين في (حي العمارة) بدمشق، على الرغم من حصار المدينة، مجتازة حواجز التفتيش الفرنسية في الذهاب والإياب، ومتعرضة للموت في ظروف قاسية صعبة.

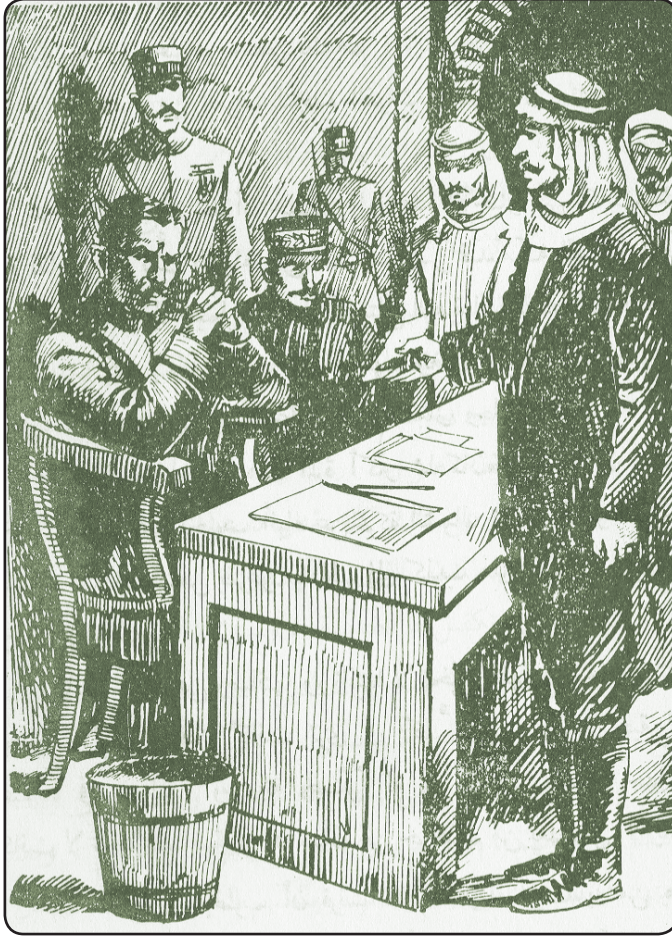
ترسم الرواية صورة المرأة المناضلة في خط تصاعدي. شأنها في ذلك شأن الأحداث التي يتصاعد فيها الخط البياني للثورة، ومع ازدياد التنكيل بالشعب السوري، وقصف دمشق بالطائرات والمدافع ستين ساعة كاملة، دمرت فيها المساجد والكنائس

غريب أجني يجثم فوق أرض الوطن، ينكل بشعبه ويسرق خيراته، ولا غرابة إذا قلنا: إن «رتيبة» الأم هي الوطن سورية في معاناته ونضاله.

إن صورة الأم تهيم على الرواية بصورة صارخة كظاهرة فلسفية حيوية تدفع القارئ إلى التعامل والتفكير في (ماهية) هذه المخلوقة التي تتفجر عطاء وتنشظى وطنية. لا تهاب الصعاب، ولا تبالي برصاص جنود الاحتلال. لقد نشأت رتيبة في قرية (داريا) فكانت مثالا حسنا لفتيات الريف العربي نظر لتربيتها التي أعدها لمجابهة الأحداث ومواجهة ظروف الدهر، فقد عملت في الحقل منذ نعومة أظفارها، وهي إلى جانب ذلك قد غزلت صوفها، وحاكت ملابسها، بأناملها، وباعت ما فاض منه في السوق.

ويترافق مولدها مع مطلع القرن، فتتواكب محطات عمرها مع الأحداث التي يتعرض لها الوطن، حتى إذا كانت نهاية الحرب العالمية الأولى وابتدأ الوطن يتسم رياح الحرية تزف إلى زوجها، وتنقل إلى كنفه في قرية (حرسنا) فتبدو في الرواية شخصية تتمتع بكامل صفات المواطن الغيور، تساعد زوجها (العريس) على الانخراط في صفوف المجاهدين ليشترك في معركة (ميسلون) مع إخوانه الشرفاء، فيشهد بعينيهِ بطولات البطل (يوسف العظمة) واستشهاده، وما إن يدخل الجيش الفرنسي دمشق، ويتوزع في المدن السورية حتى يأخذ (رتيبة) المخاض، الأمر الذي يدفع زوجها للبحث عن (قابله)، وينسى أن الفرنسيين قد منعوا التجول، فيسقط صريعا برصاص المحتل دون أن تكتحل عيناه بمرأى إطلالة ابنه الأول والأخير.

إن استشهاد الزوج، وولادة الابن كانا دافعا للأم كي تثار لجميع شهداء الوطن، فتجعل منها الرواية أُمًّا مثالية، ترملت في سن مبكرة، ورفضت العودة



والمدارس والقصور، كان على (أم عبادة) أن تصعد من نضالها فتعمل على جمع صوحيباتها وجاراتها، وتنقل إلى (جوبر) وما جاورها تستنفض الهمم هناك، وتستثير العزائم، وتعمل معهن على إيصال الذخيرة إلى المجاهدين وذلك بطريقة ذكية، حين جمعت جرار الفخار من المنازل وملأتها بالذخيرة وسدتها بإحكام، وألقت بها في ماء النهر الذي يجري باتجاه الثوار المحاصرين في (الزور) وأعدت (رتيبة) وصوحيباتها الكرة، وتكاثرت الجرار حتى وجد فيها الثوار المحاصرون الخلاص والفرج.

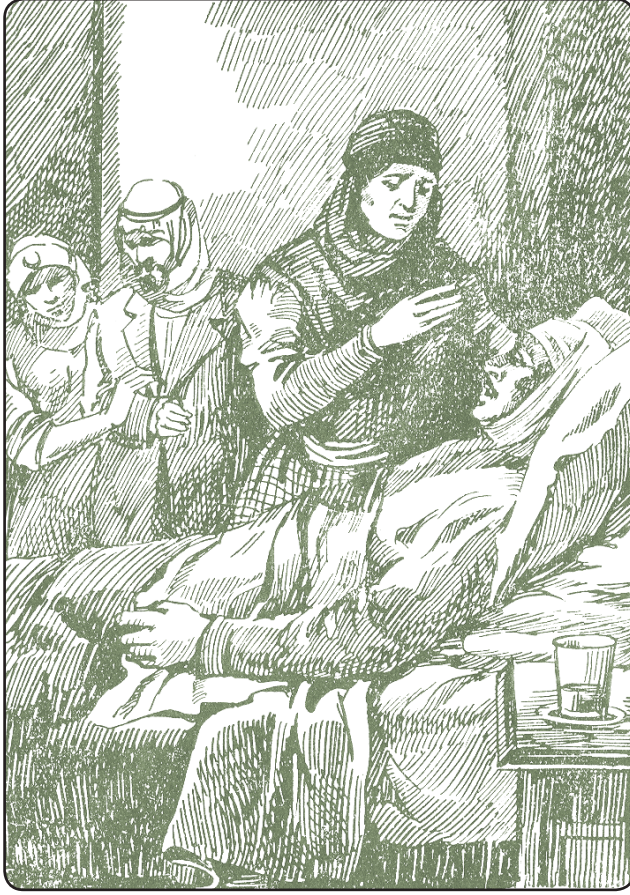
لكن الإنسان المكافح لا يمكن أن تظل الرياح المؤاتية تسير حسب رؤيته بصورة دائمة، فتقع (رتيبة) في أيدي جنود الاحتلال في (جوبر) وتساق إلى سجن القلعة، في الوقت الذي كان ابنها الصغير (عبادة) يعود من كتّابه فلا يجد في الدار أحدا، ويفتقد الملاذ الآمن بعد أن فقد الأب قبيل إطلالته

على الحياة، وينحصر تفكير الأم في السجن بولدها، وتتمنى لو تعلم أين هو الآن؟! «أكان لا يزال في الأزقة تهرُّه الكلاب فيلتجئ من باب موصد إلى باب موصد، وقد مزق الخوف قلبه الصغير؟ أم أن يدا رحيمة امتدت إليه فأمنت خوفه، وهدأت روعه، وأطعمته لقمة مما فاض عن أنبائها، وأوته في طرف فراش تحت أقدام صفارها؟...» وهذا الذي توهمته قد حدث؛ إذ احتضنت إحدى الجارات الطفل الصغير، وأولته الرعاية والحنان.

لقد تعلمت (أم عبادة) من نضالها، ومن سجنها

القصور الأمد الصبر والعناد، وتعلمت أن تقارع الأيام، كما تقارع المستعمر المحتل، لذلك فهي لا تشكو ولا تتذمر. وإنما كانت تختزن أحزانها في صدرها، تداريها بالكتمان والصلاة والعزلة، فتبدو عليها كآبة حادة، هي صورة مثالية أخرى للحالة النفسية التي سيطرت عليها في فترات الشدة..

ويلاحظ الباحث أن شخصية المرأة الشابة هذه قد غابت عنها الجوانب الأنثوية حتى بدت شخصية ذات نسيج خاص، وكأن جسدها لم يخلق إلا للنضال والكبح، وأن فكرها وعقلها لا يتوجهان إلا باتجاه (ولدها) اليتيم، و(وطنها) المستباح. وقد تجد فيهما، تعويضا للأب



الشهيد، فكانت أما تسمو فوق عالم النساء، وتغدو رمزا للطهارة والبراءة والكمال، كما هي رمز للأمومة الحق، تتفجر عاطفة وحنانا تجاه ولدها، وتجعل من نفسها واحة ظليلة له، تحميه من هجير الحياة، وفحيح سراياتها، وملجأ له لا في حضورها فحسب، وإنما في غيابها أيضا. فهي عندما كانت في السجن لم يغب لحظة عن مخيلتها حتى إنها كانت ترى الوطن كله متقمصا في طفلها الحبيب.

إن تقديم (أم عبادة) إلى المحكمة الفرنسية مقيدة اليدين، صابرة مذعنة، مشبعة بنظرات السجينات وسيرها في ممرات القلعة المتعرجة كل ذلك يجعل منها (أنموذجا) حيا خالدا، وهي تشيع الجند المدججين بالسلاح بنظرات تقيض منها نظرات الاستهجان لفرنسا بأسرها، وهي المرأة الأنثى الضعيفة التي استنفرت كل هؤلاء الجنود وهذه الأسلحة.

لقد نقلت (رتيبة) بسيارة مصفحة وسط مظاهر حراسة مشددة، ويسير الموكب نحو الباب، صابرة محتسبة. رابطة الجأش.

فلم تشأ أن تسأل أحدا من هؤلاء الجند عن وجهتهم. لأنها كانت تربأ بنفسها عن أن تهان. وتضن بكرامتها أن تبتذل. ثم يدخلونها مبنى كبيرا محاطا بالأسلاك الشائكة، ومحميا بالدبابات والجنود، فتقتاد إلى حجرة صغيرة، تفضي إلى حجرة كبيرة، عرفت أنها المحكمة «كان يجلس في صدر القاعة ثلاثة ضباط فرنسيين. دلت الشرط التي تثبت على أكمام ستراتهم والأوسمة الكبيرة التي استقرت على صدورهم، والقلائس الموشاة التي رفعت على رؤوسهم على أنهم من ذوي الرتب العالية.... وكان على يمينهم ضابط صغير وضع أمامه دفترًا كبيرا وقلمًا ودواة، وعلى شمالهم رجل يلبس الثياب المدنية،

ويضع فوق رأسه قبعة مما يلبس اليهود....».

أما هي فقد أدخلت في قفص حديدي كبير، ووقف عن يمينها وعن شمالها ومن ورائها كثير من الجند، عرفت منهم اثنين كانا ممن ألقوا عليها القبض في القناة إثر معركة (الزور) ولا تخرج من المحكمة إلا بعد أن يحكم عليها بالإعدام شنقا.

في مثل هذه المظاهر الاحتفالية المخيفة تتألق «رتيبة» فلم تكن خائفة من الموت، وإنما اعترأها قلق ربما تموت من دون أن ترى ابنها (عبادة)، لذلك نراها بتبسم وتثناءل حين تتذكر أن القانون يبيح لها تلبية بعض رغباتها قبل تنفيذ الإعدام، ولتختصر كل هذه الرغبات في «رؤية ابنها»....

وشهداء، فلم يقتل الرصاص «عبادة» وإنما تحامل على جراحه المشخنة، ونهض من بين الحصى والتراب الهش، فزحف إلى الطريق العالم حيث يأخذه بعض السيارة إلى مشفى وطني، وهناك يجتمع الشمل ببعض رموز الثورة، وتفرح «أم عبادة» بحياة ولدها، وتتمنى لو أن «أبا عبادة» كان حيا ليعلم أن الرصاصة الأولى التي أطلقت في ميسلون لم تذهب سدى، وأن الصخرة التي تفتت اليوم بجلاء فرنسا عن الوطن، تشكو ضربة المعول الأول.

رسم الباشا صورة الأم في الراوية بحذق ومهارة، فكانت صورة مشرفة للمرأة العربية التي لم ترض أن تشارك في الثورة بتقديم عبااتها التي نسجتها بيديها، أو التبرع بحليتها، لشراء السلاح والذخيرة فحسب، وإنما كانت مناضلة حقيقة شاركت بالقول والعمل، فقدمت زوجها فداء للوطن، ونذرت ابنها ليأخذ دور أبيه الشهيد، ثم كانت هي الفدائية التي حكم عليها بالإعدام.

لكن الوطن أنقذها حين دافع عنها برجاله مثلما دافعت هي عنه.... وقد أنقذها الله كما أعاد إليها ابنها من القبر، وعاشت معه فرحة الحياة، وفرحة النصر بجلاء آخر جندي عن أرض سورية.

لقد تجمعت حول «رتيبة» جميع أحداث الرواية، فكانت محورها وعمودها الفقري، الذي مزج بين النسيج النضالي والعاطفي، وفي ذلك التفاتة بارعة من المؤلف الذي ينتصر من خلال شخصية المرأة الوطنية، فيكشف عن موقفها المبدئي المعادي للمستعمر، ويجعلها حاملة للبطولة الروائية، ويعلق بها الحدث، فما إن تغب في فصل، حتى تعود للظهور من جديد، فتغدو بمنزلة الرابطة الحيوية بين الأحداث، تصل الماضي التاريخي بالحاضر الكفاحي، والمستقبل الاستقلالي، كما تصل ثورة الشمال بقيادة الزعيم إبراهيم هنانو، بثورة دمشق والغوطة وتتخرط فيها بنفسها.

لكن مكانة «رتيبة» في الثورة، وسيرتها التي تناقلتها الألسنة في الشمال والجنوب، قد حركت في نفس «زكريا أفندي» مشاعر الوطنية التي لا تقاوم وهو الرجل الوطني الذي يعمل في سجن القلعة. فقرر أن يتحرك بسرعة، ويرسم لها طريقة لهربها وإنقاذ حياتها وإعادتها إلى صفوف الثوار، وينجح في ذلك، فتعود رتيبة إلى ابنها، ويرغم الفرنسيون إلى إصدار عفوعنها وعن بعض رفاقها الثوار، لتعود وتربي ابنها التريبة اللائقة التي تجعله بطلا مقداما، ورمزا وطنيا من رموز الثورة السورية الكبرى، فهو بعد أن يشارك في المظاهرات، ينتقل إلى مرحلة النضال الميداني، وينادي بأن فرنسا التي احتلت البلاد بقوة السلاح لن تخرج إلا بقوة السلاح...

وكانت أمه التي تراه في أثناء زيارته لها في حرستا موفور الشباب، يأخذها الزهو بأنها استطاعت أن تتجب هذا الشاب، وحين تسمعه يتحدث عن أمته وبلاده في حرارة وتدفق، تطرب لأنها استطاعت أن تهب الوطن هذه الطاقة الخيرة جميعها، «ويرى أهل القرية تواضع عبادة ومروءته ورجولته فيقولون: ابن البطلين، وسليل المجاهدين».

إن عبادة ينتقل إلى مرحلة الكفاح المسلح، فيحمل السلاح، ويندفع مع رفاقه البواسل للدفاع عن مجلس النواب (البرلمان)، ويقف إلى جانب حاميته ليصد بصدرة رصاص الفرنسيين. في معركة ضارية استمرت ست ساعات، انتهت بمصرع المدافعين عن المجلس النيابي جميعا. «وذوى في ساعات قليلة خمسة وثمانون غصنا من أنضر غصون الوطن، وأغمد خمسة وثمانون سيفاً من أشد سيوفها مضاءً. وجاءت السيارات الفرنسية على عجل وأخذت الجثث والأشلاء، وانطلقت منها إلى (المزة)، وهناك ألقاها الجنود في حفرة عميقة، وأهالوا عليها التراب والحصى والحجارة».

لكن القدر يمنح المجاهدين الصابرين أوسمته أحياء



وتبدو مزاجية الروائي عبدالرحمن رأفت الباشا بين «رتيبة» و«سورية» على درجة من الوعي الفني، فكلتاها عانتا من الصعاب نفسها. ولهذا عمد المؤلف إلى النهاية السعيدة المفتوحة، فالابن ينهض من الموت وتستقبله دمشق بالحفاوة اللائقة، وهو الذي أطلق عليه لقب الشهيد الحي - وهذه حقيقة وليست خيالا - والمستعمر ينخذل وينسحب من أرض الوطن، وتحيا سورية كما عاشت «رتيبة» هائلة البال في ظل الحرية والاستقلال.

إن سيرة رتيبة هي سيرة كل امرأة عربية مؤمنة، عاشت حياتها في معاناة وفقر وحرمان، حرمان من الزوج الشهيد، وحرمان من الحرية في السجن، وحرمان من العيش الكريم بسبب قسوة المستعمر وبطشه... ومع ذلك غدت في عهد الاستقلال مواكبة لتحولات المجتمع السوري في النهضة والبناء.

والقارئ غير العادي، يمكن أن يقف على الترميز الذي قصد إليه المؤلف، حين جعل من «رتيبة» رمزا للوطن السوري، لأن تمازجها بالوطن جعلها مطمعا للآخرين، وقد تكاثرت على بابها الرجال - بعد استشهاد زوجها - ولاحقها المستعمر فألقى بها في غيابة السجن، ثم حكم عليها بالإعدام، إلا أنها حافظت على نفسها، وبناء شخصيتها بعيدا عن

المغريات العاطفية، والتهديدات القاهرة، واختارت أن ترتبط بالوطن، رمز الحب والحرية والعزة، وفي الوقت نفسه، رمز الصبر والثبات واليقين، فكانت امرأة متميزة بوعيها العفوي، وأنموذجا مثاليا للمرأة المؤمنة المجاهدة في الرواية العربية ■

«لقد أحسست بنجاح تربية والدي حين ذهبت إلى بريطانيا وتعاملت مع الناس والمجتمع هناك. لقد علمنا الوالد ديننا القويم فكان خير نبراس يضيء لنا الحياة».

يمان عبدالرحمن الباشا

شهادتنا

الدكتور الباشا شخصيته وشخصية الجوانب (*)

د. محمد فاتح زغل - الإمارات

منزله بمدينة الرياض عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، وتم بعد ذلك تكوين هيئة تأسيسية لهذه الرابطة برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي في لكون في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، حيث دعي إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامي المهتمين بالأدب، واختير الدكتور الباشا نائباً لرئيس الرابطة، ورئيساً لمكتب البلاد العربية. وقد تعرفت إلى الدكتور الباشا عن قرب منذ عام ١٩٩٩ م، عندما كنت أدرس مادة الأدب الإسلامي في جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا بالعين، ومن خلال عودتي إلى المصادر والمراجع وقفت على كتبه وأبحاثه ونظرياته، فقد سعى لإيجاد عمل موسوعي يخدم الأدب الإسلامي، ويكون خلفية تاريخية لهذا الأدب، وقاعدة صلبة ينهض عليها بناؤه ويساعد الدارسين في معرفته ودراسة خصائصه ورصد موضوعاته. ثم ظهرت عنده بعد ذلك فكرة موسوعة أدب الدعوة الإسلامية التي قامت بإصدارها كلية اللغة العربية بالرياض. وما قرأته للدكتور الباشا أثار إعجابي حقاً واعتمدتُ بعض بحوثه في مادة الأدب العربي الإسلامي ضمن المقرر الجامعي للطلبة، فقد وفر علي الكثير من الجهد والوقت لأنه - رحمه الله - خلص إلى رسم منهج لمذهب إسلامي في الأدب والنقد، ييسر للباحثين وضع المعايير والمقاييس؛ لمعرفة الغث من السمين، والأصيل من الزائف.

رابعها: أن الإمام بهذه الشخصية المتعددة الجوانب لا يكفي فيه مجرد التعبير العابر والسرد الموجز؛ فلا بد أن ينبسط البيان فيه حتى نتبين وجوه تكوينها، وهيئات أن يتسنى ذلك في خطاب الدقائق! ولعل في هذا ما يقيم عذري، ويذكرني بقول الباحث القديم:

إن تجد عيباً فسد الخلاجل **جل من لا عيب فيه وعلا** ■

(*) من بحوث ندوة د. الباشا، وقد اقتصرنا على مقدمة بحث: (من قضايا اللغة العربية والدفاع عنها) للدكتور محمد فاتح زغل في ندوة د. الباشا، لأن الحديث في دفاع الباشا عن اللغة العربية ورد في بحث آخر من هذا العدد.

سعدت، أيما سعادة، حين تلقيت دعوة وزارة الثقافة للمشاركة في ندوة علمية عن الدكتور عبد الرحمن الباشا، ويحق لمثلي أن يسعد بها؛ لأن معرفتنا بالدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا وإن طبقت شهرته الآفاق، وكان لاسمه تقدير واحترام في تاريخ الأدب العربي؛ ذلك أن هذه الندوة ستمكن الباحثين من تحديد القيمة العلمية للدكتور الباشا بعد أن اقتصرنا أحاديثهم عنه على نتف من سيرته وآرائه استمدوها من دراسات هنا وهناك. وقد سعيت إلى كتابة هذا البحث الذي أقدمه بين يدي السادة العلماء الأجلاء عن هذا العالم الجليل، وإنني لأرجو أن يكون بمثابة بعض وفاء لهذا الأديب والكاظم والمفكر الذي لم ينل حقه من الاهتمام والبحث والدراسة، كما يحق لي أن أسعد لأسباب أخرى: أولها: أن المحتفى به هو ابن هذه المحافظة المنسية، بل هو من أعلام محافظتنا الخضراء محافظة إدلب، التي لا تعرف قدر أبنائها ولا تمنحهم - كما تمنح أي قادم إليها - حقهم من الاهتمام والاحترام والتقدير، ولهذا فإن مبادرة وزارة الثقافة ممثلة بوزيرها ابن هذه المحافظة البار الدكتور رياض نسان آغا، والفضل ليس ببعيد عن أهله.. قد كفت ووفت عندما أقامت هذه الندوة العلمية التكريمية للدكتور الباشا، وهي مآثرة كريمة تضاف إلى مآثرها العديدة في تكريم المبدعين والباحثين في حقل الثقافة، وقد درجت عليها كنهج عام في سوريا كلها.

ثانيها: أن الدكتور الباشا باحث له شأنه في مجال الدراسات الأدبية والفكرية والنقدية، وهو من رواد مدرسة الأساليب الأدبية التي ينتمي إليها بديع حقي، وشكيب الجابري، وفاضل السباعي، وغيرهم، وهذا التنوع الإبداعي يحتاج إلى دراسات، وأبحاث أوسع وأكثر عمقا.

ثالثها: أن الدكتور الباشا أسهم في مشروع تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد كانت بعض اللقاءات التمهيدية لإنشائها في



يهود عبد الرحمن الباشا في تمكين اللغة العربية (*)

د. محمد حسن عبد المحسن - سورية

والتحديات التي تواجه اللغة العربية
خطرة وكبيرة، والمعاناة قديمة، فقد
بدأت المشكلة اللغوية العربية مع
الشعوبيين، واستطاعت بما تمتاز به
من خصائص وسمات أن تصمد في
وجههم.

وقال الأستاذ علي الطنطاوي في
مقالته (دفاع عن العربية) قبل نصف

ولا تقتصر أهمية اللغة على كونها
أداة تواصل وتخابط، وإنما هي وسيلة
تفكير وإبداع، وآلية بقاء وخلود، وأداة
تقدم. ومما قاله د. عبد العزيز التويجري
الأمين العام للمنظمة الإسلامية للتربية
والعلوم والثقافة: (اللغة العربية قضية
أمن قومي، لأن حياة الأمم في لغتها
وقوتها وازدهارها).

إن أكثر ما يجمعنا هو
اللغة العربية، فهي كنزنا
الزخرفي قرون طويلة
مضت، وكثير من الشعوب
من غير العرب كانت
تتسابق لتعلمها، وكثير من
غير العرب خدموها إدراكاً
منهم لحضارتها ولكونها
قادرة على أن تحتضن
مختلف العلوم والآداب،
ومما يميزها من غيرها
من اللغات أنها: «ترقى
إلى سبعة عشر قرناً على
الأقل ولا توجد في العالم
لغة أخرى عريقة مثل
هذه اللغة... ولا أعرف لغة
بين اللغات الحية يتقيد
فيها مستعملوها بالصيغ
والدلالات وطرق التعبير
التي كانت مستعملة منذ
اثني عشر قرناً...

(*) من بحوث ندوة الدكتور عبد الرحمن الباشا في دار الثقافة بإدلب، وزارة الثقافة السورية (بتصرف).

الأجنبية، أو بتيسيرها وإصلاحها... إلى غير ذلك من الدعوات المشبوهة التي تنال من الثقافة العربية الإسلامية عموماً، وأنا أحذف واو العطف لأنني أعني ذلك.

وسأمثل بموقف علم من أعلام القطر العربي السوري الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا(*) الذي عالج هذه القضية بوعي تام.

«جهود د. الباشا في تمكين اللغة العربية»

لم يفرق الدكتور الباشا بين ما هو عربي وما هو إسلامي إلى درجة أنه جعل العدوان على اللغة العربية عدواناً على الدين الإسلامي في كتاب وسمه بذلك، وأهداه: «إلى الذين قد عقدوا العزم على أن يعيدوا لأمتهم ثقافتها بنفسها، وبتراثها، وبيديها، وبلغتها بعد أن خامرها الشك في كل ذلك»^(١).

وعرض فيه ادعاءات المشككين بلغتنا التي حفظت علينا شخصيتنا عبر التاريخ، وبسط المزاعم والمآخذ التي ساقها أعداء العربية في قوله: «من آن لآخر تطلق حول العربية شبهات، وتتعالى دعوات، عدتها الافتراء وعتادها التشكك، تحت ستار الإصلاح والتجديد»^(٢).

ورأها حافظة كيان العرب، وجامعة شملهم، فهي: «الحصن الذي لا ذ به العرب طوال خمسة عشر قرناً؛ فسان كيانهم من أن يتمزق، وحفظ شملهم من أن يتفرق... ووحد كلمتهم عن دفع العدوان.... وهي مستودع حضارتنا الزاهرة، وخزانة تراثنا الروحي والعقلي..... وهي كما

قرن: (قرأت في «رسائل سائر» للعالم المصري محمد سليمان رحمه الله، أنه ضلّ في شوارع أثينة، فكان يسأل من يعرف أنه يعلم العربية فيفهم عنه بها، ولكنه يردّ باليونانية، اعتزازاً بها وعصبية لها؟....

أو ليس من أعجب العجب، أن لغة العرب، وهي معجزة البشر، في سعة مفرداتها، وضبط قواعدها، وحسن اشتقاقها وغزارة أدبها، وأنها ولدت مع الدهر، فلم يدرك طفولتها التاريخ ولم يعرفها الناس إلا كاملة، قد هجرها أبناءؤها في بلادها، وصاروا جاهلين بها، وأن لغة الإنكليز، وهي لمامة من اللغات، ليس لها أصل العربية، ولا شرف نسبها، ولا طهارة دماها، وإنها لغة لا قواعد

لها ولا ضوابط، ففيها حروف تكتب ولا تقرأ، وحروف تقرأ ولا تكتب، والحرف يقرأ في الكلمة على غير ما يُقرؤه في الأخرى- صارت بفضل عناية أبناءها بها وخدمتهم لها، أشهر لغة في العالم؟.

ونستذكر بألم قول أحد الغربيين راغبين في ألا نصدّقه في استنتاجاته: (لا توجد على وجه الأرض لغة لها من الروعة والعظمة ما للغة العربية، ولكن لا توجد على الأرض أمة تسعى بوعي أو من دون وعي لتدمير لغتها كالأمة العربية).

ويؤكد هذه المقولة د. قسطنطين زريق في أن: (المشكلة ليست في تخلف اللغة، بل في أصحابها).

ما هو الحل للمشكلة اللغوية إذاً؟ هل يكمن في التخلي عن اللغة العربية أو إبدال العامية بها أو



الشيخ علي الطنطاوي



د. عبدالعزيز التويجري



١- إحياء العامية محل الفصحى:

دعا أولئك الغربيون والمستغربون تحت ستار التجديد والإصلاح إلى نبذ الفصحى، وإحياء العامية ولهجاتها المحكية محلها. بحجج واهية تدور حول الأمور الآتية:

أولاً: ذلك التباين الكبير بين لغة الكتاب ولغة الخطاب، مما يجعل العلم وقفاً على طائفة محدودة من الناس.

ثانياً: قصور الفصحى عن الوفاء بحاجات الحضارة المتجددة النامية يوماً بعد يوم.

ثالثاً: صعوبة الفصحى، وتعذر إتقانها على الرغم من الجهود السخية التي تبذل في هذا السبيل.

رابعاً: جمود الفصحى، وعدم استعدادها للتطور.

فلنناقش هذه الحجج واحدة واحدة: للكشف عن زيفها، ودحض ما ادّعاء المدّعون من قدرة العامية على حل مشكلاتنا اللغوية.

ولنبداً بما ذهبوا إليه من أنّ جعل العامية لغةً للكتابة يصير العلم مشاعاً بين المواطنين العرب، ويقضي على طبقة المعرفة....

ولنسائلهم عن العامية التي يريدوننا أن نأخذ بها، أفنأخذ عامية (العراق) التي لا يفهمها إلا (العراقيون) وحدهم.... أم نستعمل عامية (الجزائر) التي تستغل على أبناء العروبة في كل مكان... أم نؤثر عامية (اليمن)، أم (مصر)، أم (الشام) أم (السودان)؟

تجمع الشعوب العربية حولها، تجمع حول الشعوب العربية قلوب المسلمين من غير العرب، وتجعل منهم سنداً قوياً لها في كل مكان، وظهيراً يدعم قضاياها في كل مجال...^(٢) والادعاء بأنها لغة عقيم لا تلد، وعجوز لا تقوى، وبليدة لا تتطور، وصعبة لا ترقى إليها الأفهام؛ إدعاء باطل، وسعيّ إلى إضعافها ومحوها بكل سلاح.

ورأى د.الباشا أن الغرب قد جند طائفة كبيرة من دهاقينهم من أمثال: وَيْلَمُور^(٤) ووليم وِلْكُوكْس^(٥)، وأقرّ بأن نضراً من أبناء أمتنا قد اندفع وراء هؤلاء الأعداء من أمثال:

سلامة موسى وعبد العزيز فهمي وسعيد عقل (عن علم أو عن غير علم؛ يؤيدونهم في دعوتهم، ويظاهرونهم في حربهم، ويدعون للأخذ بخططهم ومشروعاتهم).^(٦)

وشاهد ذلك سياسة الفرّسة في المغرب العربي التي اتّبعتها الفرنسيون هناك، ولولا الثورات التي أقضت مضاجعهم في سورية لكان لهم مع اللغة العربية فيها موقف غير الذي كان.

ومثلهم فعل الإنكليز إذ فرضوا لغتهم لغةً للتعليم من الابتدائي إلى الجامعة في مصر والسودان. ولم يكتفِ الغربيون بذلك، وإنما شجعوا

تعليم لغات الأقليات من مثل اللغة الكردية في العراق، كما أحيوا اللغة البربرية في الجزائر.

وكان ديدن الدكتور الباشا تمكين اللغة العربية والحفاظ عليها من مثل ما هو واضح في موقفه من القضايا اللغوية التالية:



سلامة موسى



عبد العزيز فهمي

وهبَّ أننا أخذنا عامية (مصر) مثلاً، أفنختار عامية (القاهرة) أم (الصعيد)؟... وبينهما من الفرق ما هو أشد بعداً من الفرق بين الفصحى والعامية. وإذا كان الغرض من الأخذ بالعامية هو تنشيط العلم وتيسيره للناس.... فهل يتفق ذلك مع ما تؤدي إليه الدعوة من وأد آلاف آلاف الكتب التي دونت بالفصحى خلال تاريخنا الحضاري التليد، وقتلها من غير ذنب جنت.... وقطع صلة الأبناء بالآباء، وحرمان الأواخر من البناء على أساس الأوائل... وكيف تُكتب العامية، وما الحروف المناسبة لها.

إنها مؤامرة لاغتيال الفصحى والأمة العربية وقطعها عن تراثها وماضيها وتأكيد تقسيمها، بل وتقسيم المقسم منا إلى مناطق صغيرة ضعيفة تابعة لأعداء هذه الأمة.

والدنيا كلها تؤمن أن العلم تراث الإنسانية الخالد؛ يُنمُّ فيه اللاحق ما بدأه السابق. ثم من أين لهؤلاء هذه الدعوة بقصور اللغة العربية عن الوفاء بمطالب الحياة، وعجزها عن

النهوض بأعباء الحضارة، وتفوق العامية عليها في ذلك؟! ويرى د. الباشا أن اللغة العربية استطاعت أن تنشر ظلها الوارف على كثير من شعوب الأرض، وتمكنت من أن تفتنهم عن لغات آبائهم وأجدادهم..... فلم يمض قرن من الزمان؛ حتى أصبحت اللغة العربية لغة سكان الرقعة الفسيحة الممتدة بين المحيط والخليج؛ وذلك بالإضافة إلى بلاد (الأندلس)... حتى هبَّ أبناء هذه الأقوام المسلمة من غير العرب؛ يؤلفون الكتب ويضعون القواعد لحماية اللغة العربية من

لغاتهم، ولصيانة فصاحتها من عجمة ألسنتهم. وما إن أطلَّ العصر الذهبي لبني (العباس) على الكون، وعمد الخلفاء العظام من بني (العباس) إلى ترجمة العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية؛ حتى استجابت لهم لغة القرآن أعظم الاستجابة.... فامتدت لفلسفة (اليونان) وحكمة (الهنود)، وأدب (الفرس)... ووعت أعظم ما حفل به التراث الإنساني من طب، وكيمياء، وما إليهما من العلوم والفنون والمعارف. حتى أتى على أوروبا حين من الدهر، أصبحت فيه (طليطلة) العربية مهوى لأفئدة طلاب المعرفة من شباب أوروبا، ومنهلاً

يرتوون من كثره... كما هو الشأن اليوم بالنسبة لجامعات (باريس) و(لندن) و(موسكو). ولا تزال آلاف الكلمات الحضارية في اللغات الأوروبية تشير إلى أصلها العربي^(٧).

٢- إحياء الحرف اللاتيني محل الحرف العربي؛

وحجة أولئك الغربيين وأتباعهم من المستغربين (أن رسم الكلمات بالحرف العربي لا تيسر معه قراءة النصوص قراءة مسترسلة مضبوطة، وأن الشكل التي استعاضت به العربية عن حروف الحركات، قد أثبت الاستعمال عدم غنائها؛ لأن الشكلة المنفصلة عن الحرف كثيراً ما تقع على حرف قبله أو حرف بعده؛ لعدم ضبط يد الكاتب، أو الناسخ، أو الطابع... وأن الكاتب العربي إذا استغنى عن الشكل؛ عرض القارئ لقراءة الكلمة على جميع الحركات التي تحتلها الحروف.... ومن هنا وجب في نظرهم -على أهل العربية أن يأخذوا بطريقة تيسر لهم كتابة لغتهم على وجه لا تحتل فيه الكلمة؛ إلا صورة واحدة من صور الأداء.... ووجدوا أنه لا يتم





وصاغ أحكم قوافيه في أرض الكنانة (مصر)، وأعطى أصدق تأملاته في بلاد (فارس).. أهو عراقي، أم شامي، أم مصري، أم فارسي؟!.... وفي أدب أي إقليم يمكن أن يوضع أدبه؟!!..

وليس أبو الطيّب بدعاً في ذلك، وإنما يجاريه في ذلك عدد كبير من أدبائنا الأفاضل من أمثال: أبي تمام، والبحري، وأبي العلاء، ومئات غيرهم من الكتاب والشعراء.^(١٠)

إلى غير ذلك من دعوات إلى العناية بالأدب الشعبي لإحياء العامية بطريقة غير مباشرة، وإلى اصطناع الشعر المنثور، وتيسير النحو العربي، والإبقاء على الفصحى مع إلغاء الإعراب من أواخر الكلم. ويقرّر د.الباشا أن لغتنا العربية ليست ملكاً لشعب بعينه... (وإنما هي تراث العرب والمسلمين جميعاً على اختلاف ديارهم وأقطارهم... ينهلون من موارده، ويتزودون من معارفه، ويترنمون بشعره ونثره، ويتمثلون بحكمه وأمثاله، ويهتدون بعبره وعظاته، ويغذّون عواطفهم بما وعاه من آيات الفنّ والجمال... وأنهم أسهموا جميعاً عبر تاريخهم الطويل في إقامة أركانه، وإحكام بنيانه... وإن تراثاً هذا شأنه؛ لا تستطيع أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل. أي تغيير في أسسه هو من حقّ شعوب الأمة العربية والإسلامية كلها يوم يجتمعون.

وهم يوم يجتمعون ويتوحدون؛ سيكونون أشد حرصاً على لغتهم من أي يوم سلف... لأنهم سيعلمون آنذاك أن اللغة هي التي يسرت لهم نعمة الوحدة؛ فيغدون أشد استمساكاً بها، وأعظم حرصاً عليها. وأكثر برّاً بها).^(١١)

ويؤكد د.الباشا تفرد اللغة العربية وتميزها في قوله: (إن اللغة العربية أعجوبة الأعاجيب في وضعها المحكم وبنائها الدقيق المنظم، وليس على من أراد الوقوف على غناها والاستيثاق من مبلغ قدرتها على

لهم ذلك؛ إلا إذا استبدلوا بحروفهم العربية حروفهم اللاتينية)^(٨).

وقد تبين د. الباشا فساد هذا في قوله: (ففي العربية تسعة أصوات مهملة في تسعة حروف؛ لا نظير لها في الحروف اللاتينية وهي: الهاء، والحاء، والخاء، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين... وقد وقف أصحاب هذه الدعوة حيارى أمام هذه الظاهرة، وافتقرت كلمتهم في إيجاد الحلول لها. فرأى عبد العزيز فهمي أنه لا مفر له من أخذ هذه الحروف الزائدة بأشكالها العربية، وضمها إلى الأبجدية اللاتينية المقترحة؛ بحيث يجتمع فيها خليط عجيب من الحروف المتنافرة في الطبيعة والشكل. أما سعيد عقل، فركب لتحقيق دعوته مركباً أخشن؛ حيث كوّن الأبجدية التي استعملها في كتابه (يارا) من الأحرف اللاتينية الستة والعشرين، ثم أضاف إليها سبعة حروف جديدة اخترعها من عند نفسه، ثم ضمّ إليها أحد عشر حرفاً لاتينياً، بعد أن زاد عليها طائفة من الإشارات الخاصة لتؤدي بعض الأصوات.. وبذلك أصبح عدد حروف الأبجدية المخترعة أربعة وأربعين حرفاً، ومع هذا فأنا أشهد أنني عجزت عن قراءة سطر واحد من (يارا) بسبب استعمال العامية من جهة، وبسبب الحروف المبتدعة المخترعة من جهة أخرى)^(٩).

٣-الدعوة إلى دراسة الأدب العربي على أساس إقليمي؛

(حيث يصبح بين أيدينا أدب (شامي)، وآخر (عراقي)، وثالث (مصري)، ورابع (حجازي)، وخامس (نجدي)، وسادس (جزائري)، وهكذا....

وكم أخرجنا هؤلاء الدعاة حين كنا نسألهم عن أبي الطيّب الذي ولد في (الكوفة) من أرض (العراق)، وغنى أعذب ألحانه في (حلب) من بلاد (الشام)،



التعبير عن شؤون الحياة المختلفة، إلا أن يقف على واحد من عشرات معجمات المعاني التي حفلت بها المكتبة العربية، وأن يتصفح فهارس هذه المعجمات... فإنه سيجد فيها من غنى المفردات، ووفرة الدلالات، ودقة التعبير، وبراعة التصوير، ما يُذهب لبّه^(١٢).

أضف إلى ذلك تمتعها بخاصة الاشتقاق التي حرمت منها جلّ اللغات الحية....(وهي خاصة جعلت من لغة الضاد لغة منطقية، مما أدى إلى ضبط نظامها، وأطراد أحكامها، وإغناء مادتها، وجعلها لغة ولوداً على مر العصور.

فالاشتقاق هو الذي جعل ألفاظ اللغة العربية تتجمع في أسر... وجعل لكل أسرة حروفاً مشتركة تتوافر في جميع أفرادها.... ومعنى عاماً مشتركاً يشع من سائر مفرداتها.

ثم تنفرد كل كلمة من كلمات الأسرة بصيغة خاصة تميزها عما عداها، وبمعنى جزئي تختص به من دون أخواتها.... بينما غلبت الفردية على اللغات الأجنبية^(١٣).

فلقد أمض أعداء هذه اللغة أن تكون اللغة الوحيدة بين لغات الأرض؛ التي اتصل تليد تراثها بطريقه خلال خمسة عشر قرناً؛ بسلسلة متماسكة الحلقات.

وأن ينتفع أبناء هذه الأمة مما في تراثهم من موعظة وحكمة، وأن يتذوقوا ما حفلت به من فن وجمال... وأن يعيشوا التجارب التي مرت بأسلافهم العظام، وأن يحيا معهم بعواطفهم ومشاعرهم وعقولهم... وأن يجعلوا من ذلك كله مراكز التقاء يجتمعون عندها،

ويتعارفون على صعيدها... بينما لا يستطيع سواد الشبان المثقفين من (الإنكليز) مثلاً قراءة ما كتبه شكسبير منذ ثلاثة قرون، إلا بمشقة وعسر. أما ما كُتب قبل (شكسبير) فقد استحال عليهم فهمه، وحال دونهم ودونه ذلك التطور الذي يدعوننا إليه، ويحسوننا على الأخذ به^(١٤).

وقد أقر د.الباشا بحق أبنائنا علينا؛ (إن من حق أبنائنا علينا؛ أن نيسر لهم تعلم هذه اللغة لا أن نمليهم بتفسير اللغة نفسها، وأن نعنى بهذه اللغة عناية كافية في مدارسنا، وأن يتعاون معلمونا ومدرسوننا جميعاً على تعليمها مهما اختلفت موادهم، وألا يكلوها إلى درس اللغة العربية ومعلمها وحدهما....

فإنهم إن فعلوا ذلك؛ مضت قرون عدة قبل أن تصير الفصحى لغة الكتاب والخطاب... وأن يضعوا نصب أعينهم أن اللغة لا تعلم إلا بالممارسة والمحاكاة، وأن تلميذهم يأخذ لغتهم عنهم جميعاً، وأنه كائن يحس الجمال في التعبير كما يحسه في الأشياء الأخرى، وأن باستطاعة أيّ منهم أن يكون



أوفر نصيباً في تعليم اللغة لتلاميذه من معلم اللغة نفسها، إذا هو عزم العقد على ذلك، وسعى له سعيه.

إن من حقّ أبنائنا على رجال الدولة: أن يوقتوا أننا إذا عولنا على المدرسة وحدها في تعليم اللغة، فقد تمضي مئة عام قبل أن تضيق الشقة بين الفصحى والعامية... وأن يعلموا أن في وسائل الإعلام من القدرة على تعليم الفصحى ما لا تملكه المدارس....

ومن هنا وجب عليهم أن يحرموا عليها استعمال (اللهجات) العامية تحريماً قاطعاً، وأن يحملوها على استعمال الفصحى في جميع ما يذاع من تمثيلاتنا، وما يبت من برامجنا، وما تقدمه المسارح ودور (السينما) لروادها

من روايات ومسرحيات.... حتى لا يسمع الناشئة منها ما يفسد عليهم لغتهم، ويشوه لهم نطقهم، ويمكن للعامية من ألسنتهم.

إن من حق أبنائنا على الحكومات العربية: أن تسن قوانين تلزم المؤلفين والمترجمين باستعمال الفصحى في كل ما يقدمونه للناس، وألا تسمح بنشر كتاب مهما كانت صبغته؛ إلا إذا خضع لقواعد اللغة، وجرى على أساليبها... وأن تحول دون صدور الكتب التي تدعو إلى التحلل من الفصحى، وتحض

على الترخص في أساليبها، وتروج للعامية وتعمل على نشرها، وأن تنظر إلى هذا الموضوع كما تنظر إلى أي عمل تخريبي؛ يمس كيان الدولة وسلامة الأمة.

وإن من حق أبنائنا علينا: أن يؤمن أديبونا وحملة الأقلام منا بأن لهم اليوم رسالة لغوية إلى جانب رسالتهم الفكرية، وأن هذه الرسالة تحتم عليهم أن يؤثروا الفصحى من القول ولو كان مجفواً على الفاسد ولو كان مألوفاً حتى يألف الأبناء أساليب لغتهم الصافية).^(١٥) ■

الهوامش:

- | | | |
|--|---|----------------------|
| (١) العدوان على العربية، ص٧، الباشا د. عبدالرحمن، ط٢، ٢٠٠٥م. دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة. | العشرين، وصاب كتاب (لغة القاهرة) أصدره سنة ١٩٠٢م. | (٨) السابق، ص٣٨-٣٩. |
| (٢) السابق، ص٥. | (٥) وليم ولكوكس، مهندس ريّ إنكليزي، في مصر، ترجم نصوص من الإنجيل، وفصولاً من مسرحيات شكسبير إلى اللغة التي دعا إليها. | (٩) السابق، ص٣٩-٤١. |
| (٣) السابق، ص١٢ و١٧. | (٦) العدوان على العربية، ص١٩. | (١٠) السابق، ص٤٣-٤٤. |
| (٤) ديلمور: قاض إنكليزي في المحاكم المختلطة في مصر في مطلع القرن | (٧) السابق، ص٣٤-٣٥. | (١١) السابق، ص٤٩-٥١. |
| | | (١٢) السابق، ص٥٣-٥٤. |
| | | (١٣) السابق، ص٦٠-٦١. |
| | | (١٤) السابق، ص٦٢-٦٤. |
| | | (١٥) السابق، ص٦٨-٧١. |

أول عهدي بالدكتور الباشا (*)

— نور عالم خليل الأميني - الهند —

«اللهم إني أحببت صحابة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أصدق الحب وأعمقه؛ فهبني يوم الفزع الأكبر لأي منهم؛ فإنك تعلم أنني ما أحببتهم إلا فيك، يا أرحم الراحمين».

وعندما زرت المملكة العربية السعودية الحبيبة - حرسها الله وقدر لها مزيداً من التقدم والرخاء والازدهار - لأول مرة عام ١٤٠٣هـ، وأتيح لي أن أحضر الرياض، وأمكث فيها وقتاً لا بأس به، رأيت من الواجب أن أزور هذا الأديب الكبير المرباط الصامد بقلمه ولسانه على ثغر من ثغور الإسلام الحساسة... وعهدت إلى أخي العزيز الأستاذ محمد سعيد مرتضى - الذي كان آنذاك طالباً بالدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن يأخذ منه موعد الزيارة.

على كل.. تشرفت بزيارته يوم الخميس ٨ رجب ١٤٠٣هـ مساءً في منزله على شارع الوزير على مقربة من البطحاء بالرياض، وسعدت بالحديث إليه، والاستماع إلى حديثه اللذيذ نحو ساعتين، وتمتعت بعذوبة اللغة العربية الفصحى التي كان يستأثر بها الرجل في كتابته وحديثه معاً، وغمرني بالقرى والكرم العربي في هذا الوقت القصير...

وأبدت إعجابي الكبير بكتابه صور من حياة الصحابة، ولغته الرشيقة الجارية في قناة العربية المضربة الفخمة، فقال في تواضع العظيم وانكسار الكاتب الهادف الذي يحتضن من وراء فنه وعلمه وعمله وفكره وإنتاجه دعوة ورسالة:

«والله ما صنعت شيئاً فيه، سوى أن الذين تحدثت عنهم هم الذين كانوا كباراً يشمخون على أرض العظمة شموخ الجبل على الأرض، وكانوا مقبولين لدى الرب الشكور، فأصبح الكتاب الذي يتحدث عنهم مقبولا» ■

كان أول عهدي بمعرفة (الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا) جزءاً من أجزاء كتابه الرائع صور من حياة الصحابة أهداه إلي نائب الأمين العام لندوة العلماء بلقهنو- الهند، فضيلة الشيخ الصالح معين الندوي حين كنت أستاذاً للأدب العربي في دار العلوم التابعة لندوة العلماء هذه، منذ نحو تسع سنوات، وقال لي في لطف جم: هل قرأت هذا الكتاب أو اطلعت عليه؟ قلت: لا، قال: أقرأه لكي تعرف أن هناك أديباً شامخاً ذا أسلوب أصيل قوي بين الأدباء المشبوهين ذوي الأسلوب الهزيل المهزوز...

وانتهزت أول فرصة فقرأت هذا الجزء وصرت مأخوذاً بسحر أسلوبه وروعته، والقوة الأدبية المتدفقة فيه، وسنا النور والإيمان والإخلاص والحب الجم لصحابة الرسول ﷺ، وقرأته مرات لا أحفظها الآن، ولكني من كثرة القراءة حفظته عن ظهر القلب، وكنت كلما وجدت فرصة في الخلوة أو في النزهة أو في السفر في القطار والباص تغنيت بما حفظته منه في نشوة ولذة وسرور وتذوق لا أكاد أصفه الآن... ثم طلبت من الشيخ الأجزاء الباقية بعد التوزيع على بعض أساتذة الدار... وكنت كلما قرأت الكتاب وجدت لذة جديدة، وكان يسحرني جمال أدبه العالي المشرق الوهاج الحي النابض الدافق في جانب، والحب للصحابة الذي يلمع إخلاصه بين الحروف والكلمات والسطور في جانب آخر.

وصرت كلما رأيت طالباً يميل إلى الأدب العربي سألته: هل قرأ الكتاب أم لا؟ فكنت أشير عليه بأن يقرأه أولاً بإمعان، ويحفظه كلا أو جزءاً، ثم يأتيني بعد ذلك فأشير عليه بكتاب آخر غيره، وكم مرة رقق قلبي ما كتبه في الصفحة الأولى في كل جزء من أجزاء الكتاب من كلمات الإهداء للصحابة رضي الله عنهم، بأسلوب رقيق مرقق:

(*) جريدة الداعي، الهند، ١٩/١/١٤٠٧هـ. ونور عالم الأميني رئيس تحرير (الداعي) التي صارت مجلة فيما بعد.



إن بنية الرواية تنهض وتقوم على مستويين لغويين رئيسيين هما: السرد والحوار، لكن السرد يمثل الشكل المركزي في الرواية، فهو الذي يقدم الشخصيات، وينقل الأحداث، ويصور الأماكن والأشياء، ويجسد الزمن، ويحمل صوت الشخصيات الداخلي، ويقدم للحوار ويختمه، بل إنه في كثير من الأحيان يتغلغل في داخله توجيهها ووصفاً وتعليقاً. وهذا ما يجعل لغة السرد تمثل الشكل المركزي في الرواية^(١).

ويتفق النقاد العرب على أن اللغة يجب أن تكون فصحة على الرغم من تفاوت الكتاب في مستوياتهم الكتابية، فمنهم من يكتب بلغة عالية رفيعة تشبه لغة العرب في البداية قديماً، ومنهم من يكتب بلغة فصحة لا تقعر فيها ولا غريب، ومنهم من يمزج بين هذا وذاك.



مستويات اللغة في الراية الثالثة

لعبد الرحمن رأفت الباشا^(*)

مزنة عبد الله البهلال - السعودية

وكاتبنا د. عبد الرحمن الباشا من الصنف الثالث الذي يمزج بين اللغة العالية الرفيعة، لغة أهل البادية الأقحاح، واللغة الفصحى الخالية من التقعر والغريب، فقد وجدنا في قاموسه الروائي عدداً من الكلمات المهجورة التي نُسيَت من قاموس المتكلمين فقام بإحيائها عندما استخدمها في عمله الروائي. ووجدنا في رواية الباشا الراية الثالثة اللغة العربية الواضحة التي لا غموض فيها ولا تقعر، وهي

(*) لخصت هذه الدراسة من رسالة الماجستير للباحثة مزنة عبد الله البهلال: (د. عبد الرحمن رأفت الباشا ناثراً). (التحرير)

لغة الحوار عنده، لغة واضحة يفهمها المتعلم وغير المتعلم.

ولغة السرد عنده تحوي وتضم مستويات لغوية متنوعة ومتعددة، لعل من أهمها:

«اللغة التقريرية»

وهي لغة تتسم بالوضوح وإعطاء المعنى بصورة مباشرة؛ وتخبر عن حدث أو مجموعة من الأحداث إخباراً يخلو من التصوير، وقد تأتي هذه اللغة للإخبار عن شخصية من الشخصيات. وكأن السارد من خلال هذه اللغة يقدم لنا تقريراً عنها^(٢).

وقد استخدم السارد هذه اللغة للإخبار عن بعض الأحداث الروائية في روايته الثانية «الراية الثالثة»، إذ يقول: «وفي لحظات اخترقت عشرات الرصاصات صدر أحمد، وعُنقه، ورأسه وانبتق الدَّم الغزير من الشَّباب النَّديِّ، وأغمض الموتُ العينين اللَّتين طالما سهرتا في جوف الليل تحرسان في سبيل الله، وأمال الهامة المرفوعة، على الكتف التي حملت غُبار المعارك خلال عامين طويلين»^(٣).

لقد أخبر هذا المقطع بصورة سريعة وواضحة عن حدث مقتل البطل أحمد، والنهاية المأساوية التي انتهت إليها على يد الطغاة الأثمين المعتدين. وكأن السارد يريد أن يقدم لنا من خلال هذا المقطع تقريراً تلخيصياً لنهاية «أحمد»، ليقف بعد ذلك عند الحدث المهم وهو الثَّار لأحمد واستئناف الجهاد مرة أخرى، ومقتل القائد الفرنسي الذي نقض العهد، وغدر «بأحمد» ورفيقه.

وبالنظر السريع للمقطع السابق نجد سيطرة الأفعال الماضية المسبوقة بحرف الواو العاطفة مما يدل على التتابع الزمني السريع الذي لا يتيح الفرصة للتصوير أو التجسيد، وقد احتوى هذا المقطع أفعالاً ماضية تدل على الإخبار والتأكيد ك: «اخترقت، وانبتق» واستخدم هذه اللغة في عملية التلخيص وتسريع الحدث، عندما طوى لنا فترات زمنية طويلة في عدد قليل من الأسطر، فأخبرنا عن بعض الأحداث وأعطانا تقريراً عنها بصورة سريعة دون الوقوف أو التفصيل^(٤).

كما استخدم السارد هذه اللغة بصورة واضحة في عرضه وتقديمه لشخصياته الروائية تقديماً سريعاً مباشراً^(٥)، وقدم لنا معلومات عن بعض شخصياته فقال: «وقد عهد الشيخ إلى (أحمد) بمرافقته وأمانة سرِّه؛ لعظم ثقته به، وشدة تقديره مزاياه.

فقد كان أحمد يشهد مجالس الشيخ التي لا يشهدها إلا شيخ وقور، أو شاب وجد في متع الفضيلة الباقية ما يغنيه من لذاذات

الشباب الفانية»^(٦).

لقد أراد السارد أن يؤكد لنا بعض الصفات التي اتصف بها «أحمد» عن طريق عدة وسائل منها: (قد) التي ورد ذكرها مرتين مسبقة بحرف عطف، ومقرونة بفعل ماضٍ يدل على التأكيد والتقرير. والاستثناء (بإلا) التي تفيد الإثبات والتأكيد لما بعدها.

إلى جانب هذه اللغة الواضحة التي كانت جزءاً من لغة السارد داخل النص الروائي، وكانت وسيلة





فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ (الاعراف).

فمن النماذج التي توظف اللغة التصويرية هذا المقطع من روايته «الراية الثالثة»: «مدّ (أحمد) يده إلى جعبته التي لم تكن تختلف كثيراً عن جعاب رفاقه، فقد كان فيها مطرقة واحدة، وأكثر من إزميل، وفيها حبال غليظة كثيرة العقد، وفيها أشياء أخرى، وأخرج من الجعبة المطرقة وإزميلاً واحداً، وارتقى على كتفي رجلين من رفاقه، وجعل يتلمس بأنامله خُرمًا في الجدار الصخريّ الأملس، أو شقًا صغيراً يُثَبَّتُ فيه رأس الإزميل، حتى إذا وقع على مبتغاه، دقّه في الصخر دقاً محكماً ضاعت أصواته في عجيج الريح، ثم أمسك رأس الإزميل بإحدى يديه ومدّ يده الأخرى إلى الأعلى يبحث عن نتوء يتشبّه به، وأجال أصابع إحدى قدميه العاريتين في الصّخر علّه يجد فيه خُرمًا صغيراً يرتكز بأظافره عليه، وما زال يناضل الطّحلب المندى، ويجاهد الصّخر الأملس، حتى استطاع أن يجذب جسده إلى الأعلى جذبةً وضعت قدمه على رأس الإزميل، ثم ألصق جسمه بالجدار، واستأنف نضاله من جديد في سبيل وثبة جديدة يدفعُ ثمنها كثيراً من الجهد والعرق، والإرهاق.

وارتقى أحمد على الجدار الأملس ذراعاً بعد ذراع، وشبراً إثر شبر، فقد كان في محاولته هذه أشبه بمن يحضر البئر بإبرة»^(١١).

لقد قدم السارد صورةً حركية مجسدة مستعيناً بإمكانات اللغة التصويرية في تصويرها وتجسيدها للأحداث، فرسم لنا صورةً مرئية محسوسة، من خلال وصفه الدقيق للحدث ومكان وقوعه، ولنتأمل وصفه الدقيق في تصوير عملية الصعود والارتقاء والتي قدم لها بوصف عام لجو تلك المنطقة

للإخبار والكشف عن بعض الأحداث، أو التقديم والعرض لبعض الشخصيات، نجد اللغة التصويرية التي تُعنى بالتجسيد والتشخيص.

«اللغة التصويرية»

ونقصد باللغة التصويرية «أن ينقل الأديب إلى قارئه المشهد الذي يقع عليه بصره، فيصوره تصويراً واقعياً ويبرزه في تشخيص معبر»^(٧) من خلال مجموعة من الصيغ اللغوية التي تستعمل من أجل تمثيل الأشياء ووصفها^(٨).

وقد نجح السارد في توظيف اللغة التصويرية، التي قدمت صورة متحركة من خلال تصويرها للحدث ولحركة الشخصيات، وأخرى ساكنة من خلال وصفها للشخصيات والأماكن والأشياء^(٩).

«الصورة المتحركة»

«وهي التي يظهر من خلالها الحدث، وكأنه يحدث أمامنا، وهذا التمثيل للحدث هو أهم ما يميز السرد القصصي عن السرد التاريخي، فالسرد القصصي يستخدم العنصر النفسي الذي يصور به هذه الأفعال، فيبث فيها الحرية والحركة، ويكسبها صفة التفرد والتمثيل، فتبدو كأنها تجري أمام عيني القارئ لحظة حدوثها الأمر الذي يشعره بالمشاركة فيها، ويجذبه للمتابعة»^(١٠).

وقد تأثر كاتبنا في ذلك بالقرآن الكريم أيّما تأثر، فتصوير الحدث وتجسيد الحركة في القرآن باب لا ينفد، ومعين لا ينضب، ينهل منه الشعراء، والناثرون كثيراً، خذ من ذلك قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (إبراهيم).

وقوله تعالى عن كفر وأعرض: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾



الشيخ صالح العلي

قدرة على التمثيل والتجسيد، وتُعرف فنياً باسم الوصف، فمن خلالها يقدم السارد أو الكاتب البعد الجسدي لشخصياته، فيحدد ملامحها، فتتجسد صورتها أمام القارئ، وهي وسيلة لتصوير الأماكن كالمدين والأحياء، والشوارع والمنازل، ومن خلالها تتحقق الوظيفة الإيهامية؛ إذ إن الوصف من خلال إغراقه في التفاصيل، وتصويره الدقيق للشخصيات والأماكن والأشياء، يشعر القارئ بأنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال^(١٢).

ونماذج هذه الصور الساكنة كثيرة منها: ما ذكره

وتضاريسها الطبيعية: «وكان البرد القارس يُرعد الأجساد، ويهزُّ الأفئدة، والطبيعة الغضبي تصبُّ في الأودية السحيقة سيولاً من ريحها الجفول، والسماء العابسة تقذف الأرض برذاذ ناعم كأنه رؤوس الإبر»^(١٣).

لقد كان السارد متمكناً في استخدام الكلمات التي تصور الحدث تصويراً متناهِياً في الدقة بدءاً بما قدمه من مقدمات لتلك الأحداث، وانتهاءً بتلك الأحداث التي شعرنا معها بالإعياء والتعب. فنحن نعيش داخل المكان ونرى ما بداخله؛ نجاهد ذلك الجدار الصخري الأملس، ونحاول الوقوف على الطحلب الندي، ونشعر بذلك البرد القارس، وتلك الريح الشديدة، ولم نكن نعيش تلك المعاناة، لولا تلك الإمكانات الهائلة للغة التصويرية التي سخرها السارد.

ناهيك عن عنصر التشويق الذي غرس جذوره في تلك الصورة والتي جعلنا نُعدُّ الأنفاس، ودقات القلب تتصاعد مع كل جزئية من جزئيات الحدث، فأحمد يكاد يسقط من شدة الإعياء، والجدار أملس، يبحث فيه عن تنوء يضع عليها قدميه، والريح عاتية، والبرد قارس، والمحاولة مستمرة ... كل هذا يجعل الأنفاس تنحبس، والنفوس تتوجس، والأعصاب تتوتر مع كل حركة من حركات هذه الصورة، وفي هذا ما فيه من التشويق.

ولنقف عند تلك الصورة الدقيقة، والتشبيه البليغ الذي صور تلك المعاناة في جملة واحدة تحمل معاني الشقاء والبؤس والتعب «كان في محاولته هذه أشبه بمن يحضر البئر بإبرة».

«الصورة الساكنة»

وهي الصورة التي من خلالها توصف الشخصيات والأماكن، وتعتمد لغتها على الجملة الاسمية، ولها



وقد جاء هذا التناول بلغة تصويرية، جزلة قوية، وأسلوب متماسك، وأفكار مرتبة متسلسلة، وهذا النهج يكشف بجلاء، مقدرة الباشا التصويرية، وينم عن موهبته الأصلية، وما يتمتع به من تمكن لغوي.

ونماذج الصورة الساكنة التي نرى من خلالها المكان كثيرة جداً؛ وهذه الصور كلها حركية كانت أم ساكنة، أسهمت في تمثيل الواقع، وتصوير الأحداث تصويراً دقيقاً مُجسداً، ورسمت لنا معالم الشخصية وأبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية، وحقت تلك الصور الوظيفة الزمنية للوصف، وإيقاف الزمن السردى لتحقيق التوازن الروائي من خلال المراوحة بين الوصف والعناصر الزمنية الأخرى.

«اللغة المرجعية المضمّنة»:

«وهي اللغة التي يمكن إرجاعها إلى مصدر معروف أخذت منه»^(١٥)؛ كقصد بعض الروائيين إلى بعض النصوص القرآنية، أو الأحاديث النبوية، أو الأبيات الشعرية، وإدخالها داخل النص الروائي وهذا ما تعارف عليه القدماء باسم «الاقتباس»: «وهو أن يضمن الكلام -نثراً أو شعراً- شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف»^(١٦) وهو ما يعرف في النقد الحديث باسم «التناص». «وإذا كان الاقتباس من الشعر سمي ذلك «تضميناً»^(١٧).

واللغة المرجعية لغة اكتسب بها النص الروائي عند الباشا وخصوصاً الاقتباس من القرآن الكريم، وهذا شيء بارز وواضح في أدبه.

- الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

تغلغت المفردة القرآنية داخل النص الروائي، عند الباشا، وأصبح ورود النص القرآني بشكله

السارد عن «الشيخ صالح العلي»: «كان الشيخ الذي لم يجاوز الأربعين من عُمره - عظيم الهامة، مديد القامة، مكتمل الرجولة، يروعُ المجتلي بوجهه الأبيض المشرق، وجبينه العريض المتألق، وعينه السوداوين اللتين تفيضان عذوبة، وتشعان فطنة وذكاءً، ويأسر الناظر بشاربيه الصغيرين اللذين يزيدان طلعتة مهابةً، وبأنفه الأفتى الذي تلمح في ارتفاع أرنبته شمم العرب وإباءهم، وكانت ملابسه الأنيقة تتم على ذوق سليم، وتكشف عن حياة حالية بالرغد؛ فقد كان يعتمر بعقالٍ شديد السواد، تُبَّت على شملة ناصعة البياض، ويلبس سروالاً كحلي اللون يعلوه صدارٌ أبيض جميل الوشي ويشدّ على وسطه «شالاً» ثميناً من نسج فارس، ويُلقى على منكبيه عباءة رقيقة من صنع بغداد.

وقد اجتمعت للشيخ سلائق العرب كلها، ففيه جودهم وشجاعتهم، وفيه نبلهم ومروءتهم، وفيه إلى ذلك شدة في الدين ميّزته من أقرانه، ورجاحة في العقل جعلته يُصدر في أموره كلها عن الرويّة، ويطلع تصرفاته جميعها بطابع الأناة»^(١٤).

فالباشا من خلال المقطع السابق، استطاع أن يرسم شخصية الشيخ «صالح العلي» الشخصية الرئيسة في الرواية بشمولية، ودقة متناهية تجعل ذهن القارئ يتخيل صورة الشيخ بكل تفاصيلها، وأبعادها. فلم يكن وصف الشكل الخارجي، أو البعد الجسماني الاتجاه الأوحده الذي تناوله قلم السارد؛ بل كتب واصفاً القيمة المعنوية لمكانة الشيخ الاجتماعية، كونه شيخاً. إذ يشعر القارئ مع تلك الأوصاف بشعور الهيبة والوقار، ثم نجده يسبر أغوار ذاته فيصف بلغة راقية عقيدته، وسلوكه، وأخلاقه، وطباعه متناولاً بذلك أبعاد الشخصية النفسية الداخلية.

دخول الليل وظلامه، واقتباساً من قوله تعالى:
﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ﴾ (التكوير).
وقوله أيضاً: «قاب قوسين منهم أو أدنى»^(٢٠) كناية
عن القرب واقتباساً من قوله تعالى:
﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم).
وأمثلة الاقتباس القرآني في الرواية كثيرة، لا
يتسع المجال لذكرها كلها.

الرئيسين علامة بارزة في أدبه، فهو إما أن يذكر
الآية ويوردها بين علامتي تنصيص، مستدلاً بها
على حدث أو واقعة أو موقف ما، وإما أن يأخذ بعض
ألفاظ القرآن الكريم أو معانيه لأغراض معينة لعل
من أهمها: تحسين الأسلوب، وتجميل العبارة وتقوية
المعنى.

ولنشر إشارة سريعة إلى بعض الآيات القرآنية
التي أوردها السارد في مواضع مختلفة، وأغراض
متعددة، وتلك الاستشهادات القرآنية قليلة إذا
قيست بالاقتباس من القرآن، ومن ذلك في
روايته «الراية الثالثة» استشهاده بقوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ
وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد ٧) في موضع
النصر والفوز.

وفي الصفحات الأخيرة من الرواية يستشهد
رداً من الشيخ على سؤال الجنرال، وإثباتاً
لعزيمة المؤمن التي لا يصيبها الوهن أو المرض
مهما كثرت الابتلاءات ومهما تنوعت وتعددت

المغريات، بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ
النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ
(هود)﴾ (١١٣).

أما الشكل الثاني: وهو الاقتباس من ألفاظ القرآن
الكريم أو معانيه، فتقابلنا به في صفحات روايته
«الراية الثالثة» قوله: «وتخرجه من أرضها مذموماً
مدحوراً»^(١٨) كناية عن الذل والاحتقار واقتباساً من
قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا
(الإسراء)﴾ (١٨).

وقوله أيضاً «ولما عسّس الليل»^(١٩) كناية عن

ومثال اقتباسه من الحديث قوله: «حتى لو
سلكوا جحر ضب لسلكوه»^(٢١) مأخوذ من قوله ﷺ:
«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القعدة بالقعدة
شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
لدخلتموه؛ قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى
؟ قال فمن؟»^(٢٢).

وقوله: «وليس للمؤمن أن يلدغ من جحر مرتين»^(٢٣)
اقتباساً من قوله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين»^(٢٤).

وقد أدى الاقتباس القرآني والنبوي دوره في
النص الروائي من حيث دلالته على الحال التي أراد



والمستجير بعمره عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار^(٢٠)

فقال السارد: «المستجير من الرمضاء بالنار» في موضع تصوير الحال التي صار إليها الفرنسيون عندما فزعوا إلى السلاح الأبيض؛ أنهم انتقلوا من حال سيئة إلى حالٍ أشدَّ سوءاً، فهم أشبه بشخص أراد الاستجارة من حرِّ الرمضاء فتحول عنها إلى النار، والنار أشدَّ حرّاً من الرمضاء، فما الحال الثانية بأفضل من الأولى، وهو كناية عن سوء الحال التي صاروا إليها.

فاستخدام الباشا لتلك النصوص المضمنة كان لأغراض لعل أهمها: الدلالة على الحال وتصويرها تصويراً دقيقاً، وتقوية الأسلوب الروائي بألفاظ الشعر العربي القديم. وهذا الأسلوب مؤثر ثقافة الباشا، واطلاعه الواسع على أشعار العرب القدماء، وما تميزت به تلك الأشعار من جودة السبك وقوة المعنى، ومتانة اللفظ، وإحياء للألفاظ والكلمات المهجورة، وتلك المميزات امتاز بها الشعر القديم.

«ثانياً: لغة الحوار»

يؤدي الحوار دوراً كبيراً في العمل القصصي، ويعد جزءاً مهماً في البناء اللغوي، إذ من خلاله يمكن الوقوف على الشخصية بأبعادها الاجتماعية، والنفسية، والذهنية، وكذلك من خلاله تتطور الأحداث، ويكشف عن الصراع بين الشخصيات المتحاوره بكل ما تحمله من أفكار.

والحوار الروائي المتألق يجب أن يكون مقتضباً، ومكتفياً حتى لا تغدو الرواية مسرحية، وأن يكون ذلك الحوار موافقاً لمستوى الشخصية ودالاً عليها، وأن يكون ملتجماً بالسرد^(٢١).

ورغم اتفاق كثير من النقاد على وجوب استعمال

السارد، ومن حيث تصوير الأحداث تصويراً دقيقاً يتسم بالقوة المستمدة من ألفاظ القرآن الكريم، ومعانيه، دون أن نشعر بتفاوت أو اختلاف في سياق النص؛ بل إنه يدرج العبارة المقتبسة ضمن السياق بأسلوب متقن بديع.

«التضمين من الشعر»

والتضمين كما أشرنا له من قبل: هو تضمين الكلام شيئاً من الشعر، وقد شكلت النصوص المضمنة شعراً ظاهرة واضحة في النص الروائي، لكنها لم تصل للحجم الذي وصلت إليه النصوص المقتبسة من القرآن الكريم.

وقد بدا لنا تأثره بالشعر العربي القديم واضحاً في أكثر من موضع في روايته «الراية الثالثة»، فقد كان حظها وافراً من التضمين الشعري، ففي قوله: «وما كان يدري أحبُّ الديار هو الذي شغف قلبه، وملك لُبُّه، أم حبُّ من سكَّن الدِّيار؟»^(٢٥).

تضمين من قول مجنون ليلي:

وما حب الديار شغفن قلبي

ولكن حب من سكن الدِّيار^(٢٦)

وهو تضمين يصور الحال التي أصبح عليها البطل «أحمد» بعد عودته إلى «قرية الشيخ بدر»، ويعكس لنا حالته النفسية التي صار إليها، ويكشف لنا عن شدة الحب الذي يكنه لمحبوته فجملته «شغف قلبه» كناية عن شدة الحب وتعمقه في قلبه.

وفي قوله «فعند رندة الخبر اليقين»^(٢٧) تضمين من قول الأخنس بن كعب:

تسائل عن حزام كل ركب

وعند جهينة الخبر اليقين^(٢٨)

كناية عن الصدق الذي سيجده عندها.

وفي قوله «كالمستجير من الرمضاء بالنار»^(٢٩)

تضمين من قول كليب وائل:

الرفيعة، فاستخدم لغة عربية
فصحى لا تشوبها العامية، ولا
يدخلها اللفظ الغريب.

ولنأخذ جزءاً من الحوار
الذي دار بين سكان القرية
و«عمر» صديق أحمد:

«أين أحمد، أين أحمد؟

ما خطبك؟

أين أحمد؟

فسحَّ من عينيه دمع سخين
لسماع اسم أحمد، وجعل يشهق
شهيقاً أثار الهلع في نفوس

القوم.

وبلغت قلوب الناس الحناجر من شدة الرُّوع،
وتعلقت عيونهم بشفتي عمر تنتظر ما تنفرجان
عنه، ولما تمالك نفسه تطلع إلى الناس بعينين
خُطف منهما النور، وقال ذاهلاً:
قتل أحمد...

غدر الفرنسيون بأحمد... صلبوه إلى جذع
شجرة...

أطلقوا عليه الرُّصاص... كثيراً من الرصاص»^(٢٤).
في هذا الحوار العفوي الفصيح الذي أماط
اللاثام عن حدث جديد لم يرد في السرد من قبل،
وهو مقتل «أحمد»، وكشف عن طبيعة الشخصية،
وطبيعة الموقف، بعيداً عن التكلف والغموض
اللغوي.

أما طريقة تقديمه، فقد اشتمل الحوار السابق
على وقفات عديدة، فتحن نجد النقط (...) التي
تعني توقف المتحدث لبرهة من أجل أن يستجمع
«عمر» قواه لكي يواصل الحديث، وقد اختفت أدوات
العطف في المقطع السابق، ولعل ذلك يدلنا على توقفه



الفصحى لغة للسرد؛ لكنهم اختلفوا حول لغة
الحوار الروائي أتكون بالفصحى أم بالعامية؟». وممن قال بضرورة التمسك بالفصحى أداة
وحيدة في الحوار، الدكتور طه حسين، والأستاذ
العقاد الذي وقف بحسم إلى جانب الفصحى؛ لأن
إنطاق العامي بالفصحى البليغة خير من إنطاق
جميع الناس بلغة العامة..^(٢٢).

وأياً كان الشأن فإن لغة الحوار في رأينا يجب
أن تكون بمستوى لغة السرد؛ حتى لا يكون هناك
تناوت واختلاف ونشاز في لغة الرواية بوجه عام،
ولأن الكاتب حين يكتب باللهجة العامية؛ يكتب
بلهجته الخاصة به، واللهجة العامية تختلف
من بلد عربي إلى بلد عربي آخر، بل تختلف من
بقعة إلى بقعة في البلد الواحد والعمل الروائي
يكتبه صاحبه، وهو يحلم أنه سيخلد، فكيف
يختار له لغة تتغير بين زمن وزمن، ومن بقعة إلى
بقعة؟^(٢٣).

وهذا ما رأيناه في لغة الحوار عند الباشا،
فقد استخدم لغة السرد؛ إلا أنه تجنب في لغته
الحوارية، تلك الألفاظ المهجورة، واللغة العالية



لغته، مولع بصور بيئته الطبيعية التي اتخذ من جمالها وطيورها وأشجارها جواً نفسياً يحيط بأسلوبه الرقيق.

ولاشك أن ميله إلى الأسلوب البياني، والتأثر بأعلام الأسلوب واللغة الرفيعة أمثال الرافعي، ود. طه حسين، وعلي الطنطاوي، في الأدب العربي أكسبها قدرة على التصوير الجميل، وصبّ الأفكار والأحداث في قوالب رائعة جميلة،



الرافعي

بين كل جملة وأخرى، مما يسهم في واقعية الحوار؛ لأن الحوار بين الشخصيات وخصوصاً في مثل هذا الموقف يتطلب أن لا يجيء الحوار دفعة واحدة.

وقد رسم لنا الحوار السابق صورة كاملة للشخصيات المتحاور، ودموعها المتناثرة، وقلوبها التي بلغت الحناجر، وسمعنا شهيقي «عمر» الذي أثار الهلع في النفوس.

ونستطيع أن نقول: إن الباشا روائي مبدع في تجذب القارئ وتشد انتباهه ■

الهوامش:

- (١) انظر في نظرية الرواية ص ١٣٢ - ١٣٤، والبناء الفني في الرواية السعودية، ص ٤٩٥.
- (٢) انظر: البناء الفني في الرواية السعودية، ص ٤٩٨.
- (٣) الرواية الثالثة، ص ٢١٠.
- (٤) انظر: صفحات البحث (رسالة الماجستير) ٣٩٠ - ٣٩٢.
- (٥) المرجع السابق، ص ٣٩١.
- (٦) الرواية الثالثة، ص ٦٩.
- (٧) البناء الفني في الرواية السعودية، ص ٥٠٤.
- (٨) انظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.
- (٩) انظر: البناء الفني في الرواية السعودية، ص ٥٠٥.
- (١٠) المرجع السابق، ص ٥٠٥.
- (١١) الرواية الثالثة، ص ١١٠ - ١١١.
- (١٢) المصدر السابق، ص ١٠٩.
- (١٣) انظر: البناء الفني في الرواية السعودية، ص ٥١١ - ٥١٢.
- (١٤) الرواية الثالثة ص ١٧ - ١٨.
- (١٥) البناء الفني في الرواية السعودية، ص ٥٣٧.
- (١٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٥٦.
- (١٧) المعجم الفصل في الأدب، ص ١٢٠.
- (١٨) الرواية الثالثة، ص ٢٤.
- (١٩) الرواية الثالثة، ص ٣٧.
- (٢٠) الرواية الثالثة، ص ٤٤.
- (٢١) الرواية الثالثة، ص ٤٣.
- (٢٢) صحيح البخاري، دار السلام بالرياض، ط الثانية، ذي الحجة، كتاب أحاديث الأنبياء، ص ٥٨٢، حديث رقم ٢٤٥٦، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- (٢٣) الرواية الثالثة، ص ١٨٤.
- (٢٤) سنن أبي داود، دار السلام بالرياض، ط الأولى، محرم ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، أبريل ص ٦٨٦، حديث رقم ٤٨٦٢.
- (٢٥) الرواية الثالثة، ص ٤٤.
- (٢٦) ديوان مجنون ليلى، شرح د. صلاح الدين الهواري، دار البحار، بيروت، ط ١، ص ١٥٧.
- (٢٧) الرواية الثالثة، ص ٤٥.
- (٢٨) لم أعر على ديوان الشعر؛ لكن هذا البيت موجود في كتاب مجمع الأمثال للميداني ٥/٢ رقم ٢٣٨٣، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، ١٤١٩هـ.
- (٢٩) الرواية الثالثة، ص ٩٠.
- (٣٠) لم أعر على ديوان الشعر؛ لكن هذا البيت موجود في كتاب فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري، ص ٣٧٧، منسوباً للتكلام الضبيعي، واللسان «دعص».
- (٣١) انظر: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص ١٣٤، وانظر البناء في الرواية السعودية، ص ٥٧٢، وفي قصة لمحمد نجم، ص ٩٧ - ٩٨.
- (٣٢) بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية، ص ٢٤٣.
- (٣٣) انظر: فن القصة لمحمد عبد الحليم عبد الله، ص ١٩٤.
- (٣٤) الرواية الثالثة، ص ١٨٢.

الطريق إلى الأندلس.. لمحات وقطوف

للدكتور عبدالرحمن الباشا ..

فرج مجاهد عبدالوهاب - مصر

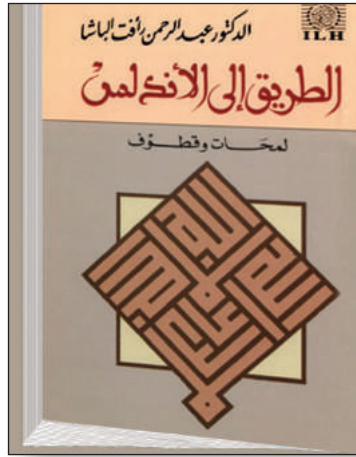
الذكاء، عظمة الدهاء، مقاتلة من الطراز الأول، ظهرت في جبال الأوراس بالجزائر، وبسطت نفوذها على قبائل البربر هناك، فهابها الرومان وأطاعها البربر، واستطاعت أن تهزم المسلمين بقيادة حسان بن نعمان، وتأسر ثمانين رجلا، ولكن يأتي النصر على يد القائد موسى بن نصير.

● وتحت عنوان «بيت الحكمة»

يحدثنا الجزء الرابع عن بناء مقدس عند القوط، نسج حوله العديد من الأساطير والأخبار، أقفل منذ بنائه، ولا يعرف أحد ما الذي يخبئه، وكان ملوك الأسبان يضعون عليه الأقفال قفلا بعد قفل حتى جاء الملك (لذريق) وفتحه ليعرف ما به، فيجد نبوءة بزوال ملكه على يد المسلمين، ويحدث هذا بالفعل بعدها بفترة قصيرة.

● وفي الختام يتحدث الكاتب

عن مضيق جبل طارق، وكيف عبره طارق بن زياد، وانتصر على القائد (لذريق) في ثمانية أيام، وكان ذلك في شهر رمضان من عام اثنين وتسعين للهجرة ■



ببليون، ومحاولة المقوقس مساومة عمرو بن العاص الذي يأبى إلا فتح مصر، ويتم له ذلك بعد حرب ضروس.

● «بناء القيروان» عنوان الجزء الثاني وفيه تصوير لبطولة عقبة ابن نافع بطل الإسلام الفذ، وكيف بنى مدينة القيروان لتكون حصنا للإسلام، وهي التي انطلقت منها الحملات لفتح الجزائر، والمغرب وبجاية، وتلمسان وغيرها.

● وتبدأ أحداث الجزء الثالث «الملكة الكاهنة» سنة خمس وثمانين للهجرة، كان المسلمون قد أخضعوا بعض قبائل البربر، وظهرت الملكة الكاهنة وهي امرأة شديدة

برع الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - في كتابة التراجم وقصص التاريخ الإسلامي، وكتب فيها أكثر من كتاب، نذكر منها: «علي بن الجهم... حياته وشعره»، و«صور من حياة الصحابة»، و«صور من حياة الصحابييات»، و«صور من حياة التابعين». وفي هذا الكتاب «الطريق إلى الأندلس... لمحات وقطوف» يعرض بأسلوبه القصصي الشيق رحلة فتح الأندلس من بداية حصار حصن ببليون في مصر، ثم بناء القيروان، وصولا إلى مضيق جبل طارق وعبوره إلى الأندلس.

يقول الناشر: «لقد كان الطريق إلى الأندلس طريقا إلى الله، ولله.. وفاء السابقون الأولون حقه، وتركوا للأجيال من بعدهم الأسوة والقدوة لعلهم يقتدون».

● في الجزء الأول تحت عنوان «حصن ببليون» يتحدث عن فتح عمرو بن العاص لمصر بعد أن أذن له الخليفة عمر بن الخطاب، وكيف تحصن الروم في حصن



نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد

للدكتور عبدالرحمن الباشا ..

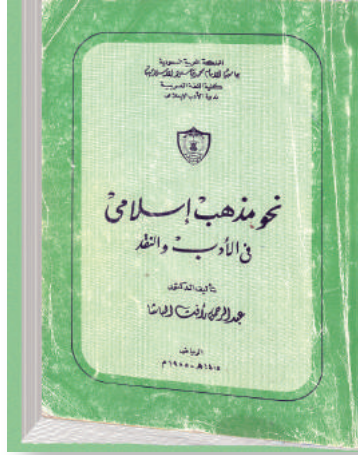
د. خليل أبو ذياب - فلسطين

حريصا على تسجيل موقف الإسلام منها.

وقد عني بتحليل تلك المذاهب ورصد أبعادها الفكرية والفنية والدوافع التي كانت وراءها؛ وهو معنيّ بعمق بعرض تلك المذاهب على المنهج الإسلامي؛ ليحدد مدى مشروعيتها ومصادقيتها.. ولتطبق عليها مقاييس الأدب الإسلامي المحددة، وما يدعو

إليه من التزام فني وخلق، حتى إذا فرغ منها مقررا فسادها ومصادمتها للمنهج الإسلامي عمد إلى توصيف المذهب المناسب الذي ينبغي أن يلتزم، ما دامت تلك المذاهب غير صالحة، مؤكدا حاجتنا إلى مذهب أدبي خاص متميز يفي بحاجتنا الإبداعية والفكرية على السواء، وذلك هو المذهب الإسلامي في الأدب، أو «الأدب الإسلامي» القادر على التعبير عن قضايا الأمة الإسلامية وآلامها وهمومها وطموحاتها.

ويستعرض د. الباشا طائفة من العلماء والباحثين الذين دعوا إلى



الإسلام لا يحارب الشعر لذاته وإنما يحارب الفاسد من مناهج الشعراء.. ذلك لأن الشعر باب من أبواب الكلام وضرب من ضروبه، فصالحه كصالح غيره من الكلام، وفاسده كفاسده وهو مرفوض. وما يقال عن الشعر يقال عن فنون الأدب الأخرى كالخطابة والقصة والأقصوصة وغيرها.

وفي القسم الثاني درس أهم المذاهب الأدبية الغربية وهي "الكلاسيكية" والرومانتيكية والواقعية والطبيعية والفنية (الفن للفن) والرمزية والوجودية" وكان

هذا الكتاب إحدى الثمرات الفكرية الرائدة التي تفتتت عنها عبقرية الأستاذ الكبير الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا - رحمه الله رحمة واسعة - مجسدة لجهوده الخيرة في مضمار الدراسات الإسلامية والأدبية. وقد جاء هذا الكتاب محاولة جادة لتقرير ماهية الأدب الإسلامي، وتحديد خصائصه، وتوصيف مظاهره الإبداعية والفكرية.

وقد وقع الكتاب في زهاء خمسين ومئتي صفحة، تناول فيها طائفة من القضايا والموضوعات التي دأب الباحثون والمنظرون للأدب الإسلامي على مناقشتها وبحثها في دراساتهم.

وكانت القضية الأولى العتيدة «موقف الإسلام من الأدب عامة والشعر خاصة» أولى قضاياها وفصوله، مستعرضا فيها أغلب الإشارات والنقول الدينية التي ارتبطت بها تأييدا ومدحا، أو رفضا وقدحا، منتهيا إلى «أن

(*) نشر سابقا في مجلة (الأدب الإسلامي) عدد (١٤) بتاريخ (١٤١٧هـ)، وأعدنا نشره لمناسبة العدد الخاص عن الدكتور الباشا.

هذا المذهب من أمثال أبي الحسن الندوي، وسيد قطب، ومحمد قطب، وعماد الدين خليل وغيرهم حتى تجاوزت جامعة الإمام هذه الطموحات والطروحات عندما أدخلته في مناهجها تحت «منهج الأدب الإسلامي»، وما أفرز من بحوث الماجستير والدكتوراه.

وقدم الباحث تعريفا للأدب الإسلامي، محددًا معالمة الأساسية تحديدًا لا يكاد يخرج عن تعريفاته العديدة عند الدارسين وهو: «التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرًا ينبع عن التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته».

وأفرد قسمًا من كتابه لتحليل ظاهرة التصور الإسلامي وأبعاده الفكرية للخالق سبحانه وللكون والإنسان، ليعرضها على إبداعات الأدباء لتحديد ما هو إسلامي منها وما هو غير إسلامي، من خلال الشواهد الكثيرة التي سردها.. وهو مرة أخرى يحاول أن ينبّه على تجاوزات الآداب الغربية القديمة والحديثة في تلك القضايا والجوانب.

وأفرد قسمًا من كتابه لدراسة الخصائص العامة للأدب الإسلامي في إطار الموازنة من

جديد بينه وبين الآداب الأخرى، وجاءت أبرز تلك الخصائص متمثلة في «الغائية الهادفة»، و«الالتزام»، و«الأصالة»، و«التكامل»، و«الاستقلالية»، و«الفاعلية المؤثرة». وقد أولى بعض تلك الخصائص طرفًا من عنايته ليعالجها بصفة خاصة كقضية «الالتزام»، خصوصًا أن هذه القضية ارتبطت بمذهبين اجتماعيين كبيرين معاصرين هما الماركسية الشيوعية، والوجودية، مركزًا على موقف الإسلام والأدب الإسلامي من قضية الالتزام، مؤكدًا أن الأدب الإسلامي مارس الالتزام منذ نشأته الأولى في ظل الدعوة الإسلامية من خلال ممارسات الشعراء الإبداعية.

وتثير قضية الالتزام إشكالية التوافق أو الاشتراك فيها بين الأدب الإسلامي والآداب الشيوعية والوجودية تدفع الباحث لتحديد الفروق الجوهرية للالتزام بين الأدب الإسلامي ودينك الأديبين، ومنها «الفرق بين الإلزام والالتزام»، و«مصدر السلطة الإلزامية أو الالتزامية»، و«الفكر الذي يقوم عليه ذلك الالتزام»، و«موقف الأديب من التعبير عن الذات والجماعة».

وعالج قضية «الحرية» في

الأدب ومدى التعبير عنها. وبعض القضايا الدينية الاعتقادية في ضوء المنهج الإسلامي للأدب، ومنها قضية «القضاء والقدر»، و«الشر والردية»، و«العلاقة بين الجنسين».

وأفرد فصلاً لدراسة القصة وحاجة الأدب الإسلامي إليها للتعبير عن قضاياها الفكرية والاجتماعية، خاصة أن إرهاصات هذا الفن شاعت في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف في محاولة لمواكبة الأدب الإسلامي للتطور الذي أصاب الأدب العالمي. وقد حرص على تحديد أهداف القصة الإسلامية.

وللغاية ذاتها أفرد قسمًا آخر للمسرحية بصفتها نوعًا أدبيًا متميزًا في هذا العصر، وضرورة توظيفها لحمل المفاهيم الإسلامية، محاولًا تحديد الفروق بينها وبين المسرحية الغربية، ومبرزًا عناصرها الإسلامية التي يجب توافرها فيها.

وختم كتابه بنموذج (خلاصة موجزة) لمسرحية إسلامية تدور حول قصة يوسف عليه السلام، من دون أن يشفعها بدراسة تحليلية تكشف عن أبعادها الفنية ومظاهرها الإبداعية وغاياتها

الفكرية ■



الطبقات الأولى من كتابات الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

خالية في نفس فتى ناشئ غريب، حتى كان موعده من بعد في سني الشباب الأولى مع تلك الصور مجموعة في كتاب (صور من حياة الصحابة) إلى جانب (صور من حياة التابعين)، و(صور من حياة الصحابيَّات) ..



كانت الكتب الثلاثة وحدها

بمثابة مشروع أدبي تاريخي فريد اضطلع به المؤلف، وناء بحمله

وحده دون ما ألفه من كتب آخر. هل كان يرمي إلى تحقيق ما كان يصبو إليه بعض النقاد والمؤرخين من إطلاق دعوات شجاعة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي بأقلام نزيهة وفق المنظور الإسلامي الأصيل؟

بلى! قد كتب الكثير من الأدباء وتناولوا بأقلامهم حياة الصحابة ومواقفهم الإنسانية والبطولية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته، ولكن الذي كتبه د. عبد الرحمن رأفت الباشا -رحمه الله- يتميز من بينها بنكهة أدبية خاصة، وطعم تربوي مختلف، وأسلوب أدبي جزل امتاز به عن غيره من أدباء جيله الأعلام، وهو ما حدا بوزارة (المعارف) في المملكة إلى اتخاذ قرار تدريسه وطبعه على نفقتها، وتوزيعه على فتيان المرحلة المتوسطة من طلابها.

وبالمناسبة فقد كان لهذه الوزارة المذكورة مشروع رائد جبار في تشجيع منسوبيها من طلاب

أول ما عرفته كان عن طريق الصور النموجية الفريدة التي كان يرسمها للفتية الناشئة من حياة الصحابة بدقة وحرفية عالية! كنت في مبتدأ عهدي بالقراءة الثقافية الحرة في المرحلة المتوسطة من دراستي، وكنت غصاً طرياً من سني حياتي، وكانت وزارة التربية والتعليم في المملكة

- المعارف يومئذ - قد أحسنت صنعاً بإقرار هذه الصور النموجية الطاهرة على طلاب هذه المرحلة من سني الفتوة ويطاعة الشباب.

لم تكن توزع عليهم دفعة واحدة مجموعة مضمومة في مجلد واحد؛ وإنما قُسمت لهم إلى ست مجموعات صغيرة، كل مجموعة منها يحتويها كتيب صغير ملحق بمادة القراءة باسم نشاط إضافي في حر يمارسه الطلاب دون اعتباره في مجموع الدرجات النهائي.

قرأتها مع قلة من زملائي كانوا يعتنون بها، وكانت فرصة للدخول إلى عالم الصحابة، والنفاد بقوة وعن كتب إلى دقائق حياتهم وأسرار نفوسهم وشخصياتهم عبر الأسلوب الأدبي الجزل الذي اصطنعه كاتبها الأديب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا -رحمه الله..

كانت قراءة أدبية تاريخية مبكرة تركت أبلغ تأثيراتها العميقة والمتنوعة على مساحة بيضاء نقية

المدارس ومعلميها على القراءة والاطلاع؛ وذلك بانتقاء مختارات أدبية ممتازة وطباعتها على نفقتها، وتوزيعها على المكتبات المدرسية في المملكة كما سنرى مع كتاب آخر للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله، ولكننا نشهد ضموراً كبيراً في هذا المشروع خلال السنوات الأخيرة، فلماذا؟ أين وقف بها هذا المشروع الحضاري الطموح؟

أما الكتاب الذي قرأته أيام الثانوية، ثم أعدت قراءته مرتين أو ثلاثاً، ولازلت أطمح إلى العودة إليه وأفقد مثيلاً له فيما أقرؤه في فن الرواية العربية المعاصرة، فهي روايته الجميلة الأثيرة لديّ: (أرض البطولات) التي لم أشبع منها بعد! ولم أقض منها حاجتي إلى الآن!

هي بالنسبة إليّ رواية عربية نموذجية في كل شيء شكلاً ومضموناً، نموذجية في عروبتها وإسلاميتها، وأسلوب كتابتها، وانتقاء موضوعها، وتصوير أحداثها، وقيم أبطالها ومبادئ شخصياتها، وترتيب صورها، واختيار مكانها وزمانها؛ أحسنت وزارة المعارف في المملكة باختيارها ضمن مشروعها

القرائي الرائد الذي سبق ذكره.

استعرتها أول مرة من مكتبة المدرسة أيام الثانوية، فما كدت أمضي في بعض فصولها حتى التهمتها التهاماً، (وأجهزت عليها)! وعدت من جديد أستعيها وأقرؤها في العام الذي يليه.

والطريف أنني كنت أتساءل في نفسي بحيرة: من أين للدكتور عبد الرحمن بكل هذه المعلومات والتفاصيل الدقيقة عن هذه الحقبة الزمنية المجيدة من أيام الثورة السورية ضد الاستعمار الفرنسي البغيض؟ لأنني كنت أحسبه مصرياً يومئذ ولا أدري لماذا؟! حتى سمعته يوماً يلعل بصوته الشجي في برنامج له بإذاعة القرآن الكريم في المملكة، يتلوعلى مستمعيه صورة من حياة الصحابة، فأيقنت يومئذ من خلال لهجته أنه سوري صميم، وأحسست يومئذ بلذة الاكتشاف التي تطلق ابتسامة الفرح من بين الشفاه، واستحضرت في ذهني مباشرة ابن وطنه الأديب الشيخ علي الطنطاوي وقرنت بينهما، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته، وعوضنا عنهما بخير منهما ■

شجاعة

« هذه هي المرة الثانية التي أدخل فيها التجربة مع وزارة الثقافة، وفي المرتين وقعت على كنز من كنوز أمتنا العربية. وعندما طلب مني أن أكتب عن الدكتور عبد الرحمن

الباشا - رحمه الله -، وبعد تصفحي صفحات الإنترنت، ثم ذهابي إلى المكتبة لإحضارها وجدت من كتب فيها من تأليفه، أحسست أنني وقعت على كنز ثمين متعدد الجواهر، فمن دراسات، إلى نقد، إلى مناهج، إلى قصص. إذا أراد الإنسان أن يقدم وطنه للعالم، فإنه يقدم المبدعين الذين أثروا الإنسانية في عطاءهم، والدكتور عبد الرحمن الباشا واحد من هؤلاء الذين قدموا الكثير للوطن والإنسانية. د. عالية صالح - الأردن



الآثار الأدبية والنقدية والعلمية

للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا (*)

——— مزنة عبدالله البهلال - السعودية ———

الجامعة منذ أن عمل بالجامعة، وعُهد إليه بلجنة البحث والنشر في الجامعة ذاتها^(١). إضافة إلى ذلك، انشغاله برسم منهج إسلامي جديد للأدب والنقد، ومشاركته في كثير من الأنشطة والندوات الأدبية، وإشرافه على بعض بحوث طلاب الدراسات العليا. ومع ذلك فله العديد من المؤلفات هي:

يعد الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا من المقلين في ميدان التأليف والكتابة، ولعل ذلك راجع: لانشغاله بالأعمال الوظيفية، والإدارية، فقد عمل مدرساً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم رئيساً لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، وكان عضواً في المجلس العلمي في

(*) لخص هذا العرض من رسالة الماجستير للباحثة مزنة عبدالله البهلال: (الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ناثراً). (التحرير).

أولاً: المجال الروائي؛

■ أرض البطولات :

وهي قصة تاريخية، تروي قصة الكفاح المستمر الذي بذله الشعب السوري، ضد الاحتلال الفرنسي. وقد طبعت هذه الرواية عدة طبعات^(٢)، وفازت في مسابقة وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة^(٣).

بلغت صفحات الرواية مئتين وثلاثين صفحة من القطع المتوسط، شملت ثلاثين فصلاً، بُدئت هذه الفصول بمقدمة من الناشر - وهما ولدا المؤلف - «يمان، ورضوان». جاء بعدها تعريف بالرواية، وموضوعها، ثم نبذة مختصرة عن المؤلف. وفي هذا العدد أكثر من دراسة مفصلة عن الرواية.

■ الرواية الثالثة :

وهي ثاني مؤلفات الباشا، وهي رواية تاريخية فازت في مسابقة وزارة التربية والتعليم، وقرر تدريسها في الصف الثاني الثانوي^(٤). وقد طبعت مرتين فقط^(٥).

وبلغ عدد صفحاتها مئتين وستاً وعشرين صفحة من القطع المتوسط، احتوت على ثمانية وعشرين فصلاً. اختلف كل فصل

من فصولها عن الآخر، وذلك للحاجة الفنية التي يقتضيها الموضوع. فبعض الفصول لم تتجاوز صفحات قليلة! بينما طالت في بعضها حتى زادت عن خمس عشرة صفحة.

بدأ الكاتب روايته بمقدمة قصيرة تحدث فيها عن الثورة السورية وعن قائدها الشيخ «صالح العلي». وتبدأ رحلة الجهاد



الإسلامي في الفصل الثالث عندما خاض الجيش السوري أول معركة ضد الاحتلال الفرنسي أسفرت عن النجاح والنصر والغنيمة. وانضمام الفتى الأبى «أحمد» أحد شبان القرية الأقوياء إلى الجيش السوري ومعاheadته لفاتة أحلامه أن لا يضع السلاح حتى يفوز بالشهادة، أو يخرج آخر جندي أجنبي عن أرض

وطنه. وعاهدها على أن ينتزع لها ثلاث رايات فرنسية طلبتها هي منه لتضعها في جهاز عرسها.

ورسم لنا الفصل العشرون علامات الفرح والزهو التي ارتسمت على محيا «رندة» وقريناتها، والحوار الذي دار بينها وبين أحمد. لتسير الأحداث بعد ذلك حتى الفصل الخامس والعشرين وما بعده تسجل نتائج غدر الفرنسيين بقتل أحمد، وعودة معارك المقاومة بعد الهدنة، حتى لم يبق من المجاهدين والذخيرة إلا أعداد قليلة كان من ضمنهم المجاهدة «رندة» التي شوهدت تندفع نحو مقر القيادة كما تندفع اللبوة ذوداً عن أشبالها لتخرج منه وقد لطح الدم ثيابها لتهوي كالطود الشامخ شهيدة بعد أن فازت فيما كانت ترغب فيه من قتل القائد الفرنسي، ووجدت الراية الثالثة داخل صدارها، لتنتهي الرواية نهاية مأساوية في الفصل

الثامن والعشرين عندما سلم الشيخ «صالح العلي» نفسه للقيادة الفرنسية، ولكن الأيام تمضي بسرعة ويتردد هتاف الحرية في الفياض والروابي.

وقد تميزت الرواية بجمال الأسلوب وقوة العبارة، وظهرت روح الحماسة والولاء للوطن في أنشائها.



ثانياً: الدراسات الأدبية والنقدية:

■ علي بن الجهم «حياته وشعره»:

بدأ الباشا حياته مع علي بن الجهم في رسالته الماجستير التي بلغ عدد صفحاتها مئتين وإحدى وثلاثين صفحة من القطع المتوسط. وقد طبع هذا الكتاب مرة واحدة فقط في دار المعارف بمصر عام ١٢٨٦هـ - ١٩٦٦م.

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة قصيرة أوضح فيها أهم الأسباب التي دفعته لاختيار الموضوع والكتابة فيه. والمصادر والمراجع التي اعتمد عليها.

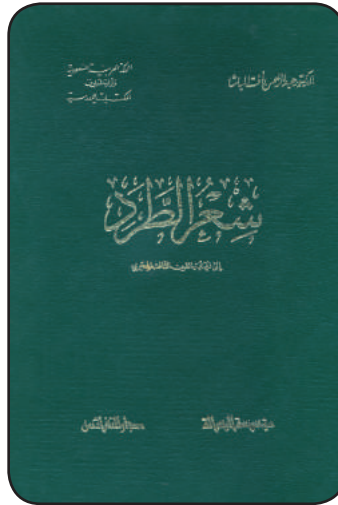
وقد احتوى الكتاب على أربعة فصول وخاتمة.

تناول في الفصل الأول: حياة الشاعر كاملة فتحدث عن نسبه، وأسرته، ونشأته، وثقافته ورحلاته، وعلاقته بمعاصريه.

وتحدث في الفصل الثاني عن أغراض شعره العامة، وهو يقصد أبواب الشعر المعروفة، والشائعة التي طرقها جمهور الشعراء: كالمديح، والفخر، والرثاء، والهجاء، والغزل، والوصف، والحكمة.

ثم انتقل في الفصل الثالث إلى الحديث عن أغراض شعره الخاصة، وهو يقصد بها: ما تناولها نثر محدود من الشعراء لعوامل

وأسباب خاصة: كالرغبة أو المعاناة النفسية، ومن أبرز تلك الأغراض، شعره المذهبي الملتزم وأرجوزته في التاريخ، وشعره في السجن.



وفي الفصل الأخير تحدث عن خصائص شعره العامة، وهي الخصائص المعنوية والأسلوبية، والموسيقية. لينتهي الكتاب بخاتمة

هي بمثابة التلخيص لما سبق أن تحدث عنه^(٦).

■ شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري:

وهو بحث أعد للحصول على درجة الدكتوراه، بلغ عدد صفحاته أربع مئة وأربعين صفحة من القطع المتوسط، طبع مرة واحدة في دار النفائس في بيروت عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

وقد بدأ الكاتب بمقدمة قصيرة، أوضح فيها أهم الدوافع للكتابة في هذا الموضوع، ثم عرضا سريعا لمحتويات الكتاب. وقد قسم كتابه إلى سبعة فصول، حملت في طياتها المنعة والتشويق.

ففي الفصل الأول تحدث عن الصيد، وفوائده، وحاجة الصائد، إلى المعرفة بالحيوان وطبائعه، وطرق الصيد، وأدواته، ثم جوارح الصيد وضواريه.

وفي الفصل الثاني نقضي رحلة ممتعة معه في الفيافي والقفار.

وتحدث في الفصل الثالث عن شعر الصيد قبل ظهور الطرديات.

وفي الفصل الرابع ينقلنا إلى عصر بني أمية ليتحدث عن نشأة شعر الطرد، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

وتناول في الفصل الخامس:

ازدهار شعر الطرد في القرن الثاني الهجري وعوامله.

وفي الفصل السادس حديث طويل عن شعر الطرد في القرن الثالث الهجري، وعن العوامل التي ساعدت في اتساعه.

وتحدث عن خصائص شعر الطرد لدى الشعراء الذين استشهد بهم، وأطال في الحديث عن بعضهم. وختم الكتاب بالحديث عن الخصائص العامة لشعر الطرد.

■ الصيد عند العرب، أدواته وطرقه - حيوانه الصائد والمصيد:

وقد طبع هذا الكتاب مرة واحدة في دار النفائس في بيروت عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

وبلغ عدد صفحات الكتاب مئتين واثنين وسبعين صفحة من القطع المتوسط. بدأ المؤلف الكتاب بمقدمة قصيرة علل فيها أسباب الكتابة في هذا الموضوع، وأن رسالة الدكتوراه كانت هي السبب الرئيس الذي قاده للكتابة في هذا الموضوع، إلى جانب إعجابه واستمتاعه بالكتابة فيه.

وقد احتوى كتابه على ثلاثة عشر فصلاً، تنقل فيها أدينا بين الصحاري والقفار، فكانت رحلة ممتعة جميلة. بدأها المؤلف بحديث

عن الصيد عند الأمم التي اتصلت بالعرب من فرس وروم، ثم انتقل إلى الحديث عن الصيد عند العرب في الجاهلية والإسلام.

واشتمل الكتاب أحاديث مفصلة في فصولها التالية عن: معرفة العرب بالحيوان والبيزرة. وأنواع الصيد بغير الحيوان. والجوارح، وسياستها، والصيد بها. والضواري، والصيد بها.



وأعراض الجوارح، والضواري، وعلاجها. والمصيدات من الوحوش. والمصيدات من الطير. وآداب الصيد عند العرب قبل الإسلام. والصيد في العصر الحديث، وطرق صيد الوحوش، وعتاد الصائد، وبعض التوجيهات للصائدين، وبعض أدوات الصيد في العصر الحديث، وآداب الصيد

عند الصائد الحديث، فذكرها مجملة في تسع نقاط. وجعل المؤلف الفصل الأخير، للتعريف بأهم كتب الصيد والبيزرة، فذكر خمسة من أشهر كتب العرب وأبرزها^(٧).

وقد تميز هذا الكتاب بالدقة في جمع المعلومات وتقصيها، واحتوائه على رسومات وصور توضيحية، تشد القارئ وتقرب المعنى.

■ «نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد»:

وهو من أهم الكتب في مجال دراسات الأدب الإسلامي، ويمثل المنهج المقترح للأدب الإسلامي - كما يراه المؤلف - وقد طبع عدة طبعات، وبلغ عدد صفحاته مئتين وستا وثمانين صفحة، من القطع المتوسط. وكتب الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله - مقدمته بناء على طلب أبناء المؤلف. (وفي العدد عرض مفصل للكتاب في باب مكتبة الأدب الإسلامي للدكتور خليل أبو ذياب).

ثالثاً: الدراسات الإسلامية:

■ صور من حياة الصحابة:

وهو كتاب اشتمل على ملخص لصور من حياة خمسة وستين صحابياً كُتب على غلافه: للفتيان والفتيات. وقد بلغت طبعات هذا



الكتاب ثلاثاً وعشرين طبعة، وقد ترجم إلى عدة لغات منها الإنكليزية، والبنغالية، والأردية، والتركية، والبوسنية، والبرتغالية، والصينية^(٨).

■ صور من حياة التابعين:

وقد كان مقررًا لتدريس هذا الكتاب الذي كان في طبعاته الأولى عبارة عن سبعة كتيبات صغيرة لثمانية وخمسين صحابياً؛ كان مقررًا في المعاهد العلمية، في المملكة العربية السعودية، وصدرت طبعة جديدة منقحة بلغ عدد صفحاتها خمس مئة وثمان وخمسين صفحة من القطع المتوسط.

وقد بُدئ الكتاب بمقدمة الناشر وهما ابنا المؤلف، وبعدها صفحة كتب فيها الباشا - رحمه الله - مقدمة بخط يده قال فيها: «اللهم إني أحببت صحابة نبيك محمد ﷺ أصدق الحب وأعمقه، فهبني يوم الفرع الأكبر لأي منهم! فإنك تعلم أي ما أحببتهم إلا فيك، يا أرحم الراحمين»^(٩). (انظر ما كتبه في هذا العدد الدكتور أحمد زياد محبك، بعنوان: (فن السرد في صور من حياة الصحابة).

هذا هو كتابه الذي انفرد به وتميز عن غيره، فلم يسلك مسلك المترجمين في تناولهم للشخصيات وترجمتها، تناولاً جافاً يخلو من جمال العبارة، وروعة الأسلوب، ودقة التعبير، والصور والأخيلة الرائعة التي أضفت على كتاباته بهاء ورونقاً، وسنا النور والإيمان والإخلاص والحب لجم لصحابة رسول الله ﷺ،

إضافة إلى ذلك ذكره بعض المراجع في نهاية حديثه لمن أراد الاستزادة من أخبار الصحابي.

وهو كتاب اشتمل على ملخص لصور من حياة سبعة وثلاثين تابعياً، كتب على غلافه: للفتيان والفتيات. وقد بلغ عدد طبعات هذا الكتاب خمس عشرة طبعة، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات أيضاً^(١٠).

وقد بلغ عدد صفحات هذا الكتاب خمس مئة وخمس صفحات من القطع المتوسط.

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة بخط يده قال فيها: «اللهم إني أحببت الصفة المختارة من ثقات التابعين حُباً لا يفوقه إلا حبي لصحابة الرسول الكريم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، اللهم فهبني يوم الفرع الأكبر لأي من هؤلاء أو هؤلاء، فإنك تعلم أي ما أحببتهم إلا فيك، يا أكرم الأكرمين».

يلي هذه العبارة مقدمة الناشر، ثم بدأ الكتاب بنفس الطريقة والمنهاج الذي سار عليه في «صور من حياة الصحابة»، فقد وضع تحت اسم كل تابعي عبارة قالها فيه صحابي سبقه، أو تابعي عاصره، أو مقولة قالها

المؤرخون عنه. وأحياناً أخرى يستنتج المؤلف أبرز سمة ويلخصها في سطر أو أقل. من ذلك قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن الأحنف بن قيس: «إن هذا الغلام والله هو السيد، وإنه سيد أهل البصرة»^(١١).



أو كقول عمر بن عبد العزيز عن القاسم بن محمد ابن أبي بكر: «لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم بن محمد الخلافة»^(١٢).

وكقول المؤرخين عن سعيد بن المسيب: «كان سعيد ابن المسيب يفتي والصحابة أحياء»^(١٣).

وكان يبدأ حديثه بإشارة موجزة سريعة لأهم الخصائص والصفات التي تميزت بها تلك الشخصية، سواء كانت تلك الصفات جسمية أو خلقية، وفي بعض الأحيان يشير إلى البيئة التي عاش فيها، والقبيلة التي ينتمي إليها، ثم يبدأ بسرِدَ للقصة أو الصورة التي اختارها.

هذا هو كتابه الذي سار فيه على نفس الخطا والنهج الذي سار عليه في «صور من حياة الصحابة»؛ فنشهد فيه العبارة المنمقة الجميلة، والصور الرائعة التي تتم عن خيال خصب بعيد، والوقائع التي كان يهدف من وراء عرضها، شحذ الهمم وتتبع الأثر. وإبرازه إضافة إلى ذلك ذكر في نهاية حديثه عن كل شخصية هامشاً فيه أهم كتب التراجم لمن أراد الاستزادة من أخبار ذلك التابعي.

وقد انتهى الكتاب بفهرسين: الأول: ألفبائي، والثاني: عرض فيه محتوى الكتاب.

■ صور من حياة الصحابيَّات:

وهو كتاب من القطع الصغير، وطبع بعد وفاة المؤلف مرتين فقط، وبلغت صفحات هذا الكتاب مئة وثلاثاً وعشرين صفحة. تحدث فيها عن بعض أبرز الشخصيات النسائية التي عايشت بعثة النبي ﷺ وما بعدها. وابتدأها المؤلف بأَمِ المصطفى ومرضعته «حليمة السعدية»، ثم تحدث بعدها عن ست صحابيَّات من

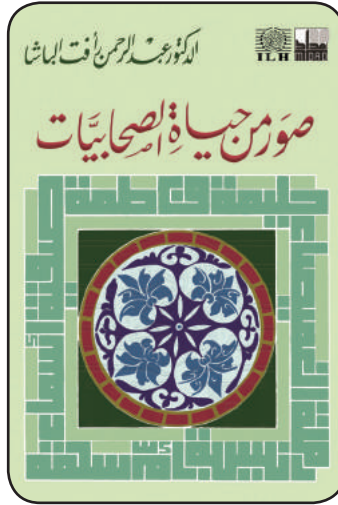
خيرة النساء، وهن:

- صفية بنت عبد المطلب، عمة الرسول ﷺ.
- فاطمة الزهراء، بنت الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.
- أسماء بنت أبي بكر الصديق.
- نسيبة المازنية «أم عمار».
- رملة بنت أبي سفيان «أم حبيبة» (أم المؤمنين).
- الغميصاء بنت ملحان «أم سُلَيْم».
- أم سلمة (أم المؤمنين) رضي الله عنهن جمعا

وكان عرضه لصورهن المشرقة المضيئة كعرضه لصور من حياة الصحابة، فذكر تحت اسم كل صحابية مقولة قالها الرسول الكريم، أو أحد صحابته، أو المؤرخون في تلك الشخصية، وأحيانا يستنتج هو بنفسه ذلك. ثم يبدأ حديثه بذكر النسب والمكانة، ثم يبدأ بسرِدَ جميل لبعض الأحداث والصور الرائعة لحياة تلك الصحابيَّات.

وكان يهدف من وراء ذلك ضرب أروع الأمثلة من واقع حياتهن، وكيف كان إخلاصهن وتقانيهن في خدمة الإسلام والمسلمين، وكيف ضربن أروع الأمثلة في التضحية والفداء، والصبر وتحمل المشاق في سبيل الدعوة الإسلامية^(١٤).

وقد زُوِدَ الكتاب بهوامش قيمة تكشف لنا عن معاني بعض الكلمات الصعبة، وترشد من أراد الاستزادة من أخبار الصحابيَّات إلى بعض كتب التاريخ والسيرة. وقد اشتمل كتابه على العبارات الجزلة الرصينة، والأساليب القوية المتينة. إلا أنه يلاحظ عليه تكرار بعض الكلمات مثل كلمة «رزان» في حديثه عن حليمة السعدية، وصفية بنت عبد المطلب^(١٥)، وفاطمة الزهراء^(١٦).





رابعاً: الكتب العامة:

■ البطولة :

وهو مؤلف صغير، كتب المؤلف على غلافه عبارة تحمل المتعة والتشويق، وتكشف عن أسرار البطولة ومعانيها السامية.

وقد طبع طبعين فقط، وبلغ عدد صفحاته اثنتين وتسعين صفحة من القطع الصغير، وتحدث فيه عن البطولة عند المسلمين، تعريفها ومعالمها، وبواعثها وضروبها، وضرب أمثلة عليها. واختتم الكتاب بخاتمة موجزة بليغة، وقصة قصيرة شملت مجموعة كبيرة من البواعث، وليس باعثاً واحداً. ولكنه أكد أن أهمها هو باعث الإيمان بالله^(١٧).

■ حدث في رمضان :

وهو من الكتب الصغيرة، التي طبعت بعد وفاة الباشا مرتين، وبلغ عدد صفحاته مئة وسبعاً وستين صفحة من القطع الصغير.

واحتوى كتابه على مجموعة كبيرة من الأحداث والوقائع التاريخية التي حدثت في شهر رمضان المبارك، مثل بدء الوحي، ومعركة بدر الحاسمة، ومصرع أبي جهل، وهدم الأصنام، وإسلام

بني قنيف، ووقعة عمورية، وسقوط المسجد الأقصى بأيدي الصليبيين. وهدم مدينة عسقلان، ومعركة عين جالوت، تحرير أنطاكية. وغيرها من الأحداث التي شهدها شهر رمضان المبارك، وهي على اختلافها

وتفاوتها تتشابه في أنها أحداث عظمى في حياة البشرية^(١٨).

■ الدين القيم :

وهو من الكتب الصغيرة الحجم، التي طبعت بعد وفاة المؤلف طبعين، وقد بلغ عدد صفحاته مئة وإحدى عشرة صفحة. وعرض فيه الباشا لأهم القضايا وأخطرها في حياة البشرية، وهي قضية المنهاج المنظم لهذه الحياة، والدستور الشامل لكل أمة في أي زمان ومكان، إنه الدين القيم.

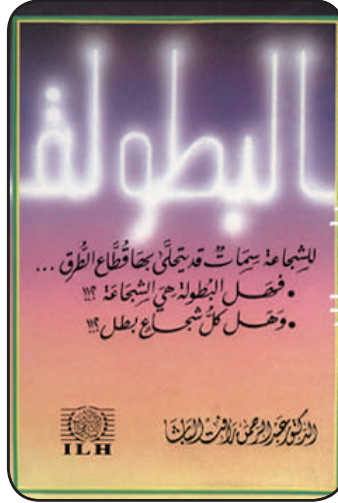
فتحدث عن مبدأ المساواة، والحرية الشخصية، ونظرة الإسلام إلى علاقة الفرد بالمجتمع، وعلاقة المجتمع بالفرد، ورعاية حق الجوار، وبر الأمهات، والترف في البر، واختتم الكتاب بحديث عن الذوق الاجتماعي.

وكان في حديثه يسرد مجموعة من القصص التي تعالج جوانب مختلفة من الحياة منها، الاجتماعية، والنفسية، والأخلاقية، التي تؤكد أن هذا الدين قيّم لا اعوجاج فيه، يحقق مبدأ العدالة والحق^(١٩).

■ الطريق إلى الأندلس :

وهو آخر مؤلف طبع بعد وفاة

الباشا، وقد طبع مرتين، وبلغ عدد صفحاته اثنتين وتسعين صفحة من القطع الصغير^(٢٠). (انظر ما كتبه فرج مجاهد عبد الوهاب عن الكتاب في هذا العدد).



خامساً: كتابه في الدفاع عن اللغة الفصحى؛

■ العدوان على العربية عدوان على الإسلام؛

وهو كتاب في الدفاع عن اللغة الفصحى، ورغم أن هذا الكتاب صغير الحجم لم يزد عدد صفحاته

على إحدى وستين صفحة، إلا أنه يحمل أسراراً وكنوزاً عظيمة، ونصائح وإرشادات مفيدة، تحدث فيه الباشا عن العدوان على لغة القرآن من خلال:

- إحلال العامية محل الفصحى.
- إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي.

- الضربات الخفية، وذلك بدعوة أعداء اللغة إلى العامية عن طريق تشجيعهم وعنايتهم بالأدب العامي، وتيسير النحو العربي.

وبين أن لغتنا هي تراث العرب والمسلمين جميعاً على اختلاف أجناسهم وأقطارهم، وممكن تمييزها عن غيرها هو كثرة اشتقاقاتها، ومترادفاتها، وغنى مفرداتها، ووفرة دلالاتها^(٢١).

سادساً: مؤلفاته في مجال التربية؛

■ فن الامتحانات بين الطالب والمعلم؛

وهو من الكتب ذات القطع الصغير طبع مرة واحدة فقط، وبلغ عدد صفحاته ثلاثاً وتسعين صفحة. وقد أطلعنا في بداية كتابه على قصة واقعية، وتجربة خاصة به. ثم تحدث عن الامتحانات عند

الأمم القديمة: كالصين، والدول الأوربية. وأنواع الامتحانات، وفوائدها ومزاياها.. والامتحانات عند المسلمين، وعن طلابنا والامتحانات، وقاعة الامتحان، وأن فهم الأسئلة هو طريق النجاح. وختم الكتاب بحديث قصير عن ورقة الإجابة، وما يجب أن تكون عليه^(٢٢).

■ فن الدراسة؛

من الكتب المفيدة في مجال التربية، بلغ عدد صفحاته تسعا وثمانين صفحة من القطع الصغير، طبع هذا الكتاب مرة واحدة فقط. وتحدث فيه عن الأمور الآتية:

- الغاية من الدراسة، والخطا والبرنامج الذي يسير عليه من أراد التعلم والدراسة.

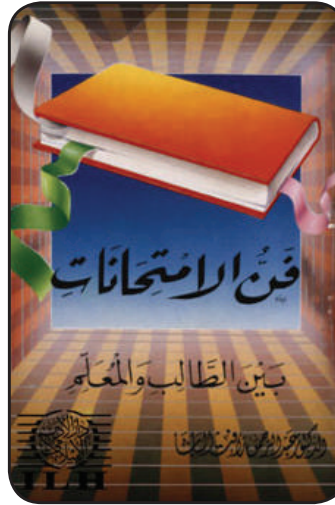
- مراحل الدراسة الثلاث، وهي: مرحلة الإعداد، مرحلة الإصفاء، مرحلة المذاكرة.

- عملية المذاكرة وخطواتها الخمس: التصفح، الأسئلة، القراءة، الاستظهار، المراجعة.

- حوافز المذاكرة وبواعثها^(٢٣).

هذا ما يتعلق بأثار الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - التي طبعت في

حياته، وبعد مماته، وتوجد بعض الكتب التي لا تزال تحت الطبع وهي: شعر الدعوة في العصر النبوي، وذاكرة الأمة، والدوحة المباركة، وأصداء الحج في الأدب، وفن القراءة^(٢٤).





سابعاً: الكتب المدرسية التي ألفها منفرداً وبلاشتراك:

ألف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا منفرداً، ومع مجموعة من المؤلفين بعض الكتب المدرسية

للمدارس السورية: فقد ألف منفرداً كتاب القواعد للصف الثالث الإعدادي. وألف مع مجموعة المؤلفين: قواعد اللغة العربية للصف الأول الإعدادي. وقواعد اللغة العربية والإملاء للصف الأول الإعدادي^(٢٥). والقراءة والنصوص الأدبية للصف الثالث الإعدادي^(٢٦) ■

الهوامش:

- (١) قائمة منشورات دار الأدب الإسلامي، الشهر السادس عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (٢) الطبعة الأولى نشرتها دار المعارف بمصر عام ١٣٨١هـ - ١٩٦١م. الطبعة الثانية نشرتها دار الشروق بمصر. الطبعة الثالثة نشرتها دار الأدب الإسلامي في قبرص عام ١٩٩٤م.
- (٣) معلومة من يمان الباشا ابنه الأكبر وذلك عن طريق البريد الإلكتروني.
- (٤) معلومة من يمان عن طريق البريد الإلكتروني.
- (٥) الطبعة الأولى عام ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، والطبعة الثانية عام: ١٣٨٤، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٤م - ١٩٦٥م. وفي العدد دراسة عن مستويات اللغة في رواية (الراية الثالثة).
- (٦) علي بن الجهم حياته وشعره، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار المعارف، القاهرة، ط ١، (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).
- (٧) الصيد عند العرب، أدواته وطرقه - حيوانه الصائد والمصيد، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار النفائس، بيروت، ط ١ (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- (٨) معلومة من يمان الباشا عن طريق البريد الإلكتروني.
- (٩) صور من حياة الصحابية «٦٥» شخصية د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٧.
- (١٠) معلومة من يمان الباشا عن طريق البريد الإلكتروني.
- (١١) صور من حياة التابعين د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط ٥، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٤٦٨.
- (١٢) المصدر السابق ص ٣٠٠.
- (١٣) المصدر السابق ص ١٩٧.
- (١٤) صور من حياة الصحابيات، عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، قبرص، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٧.
- (١٥) صور من حياة الصحابيات ص ٢١.
- (١٦) المصدر السابق ص ٣٥.
- (١٧) البطولة، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، قبرص، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (١٨) حدث في رمضان، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (١٩) الدين القيم، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (٢٠) الطريق إلى الأندلس لمحات وقطوف، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- (٢١) العدوان على العربية عدوان على الإسلام، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (٢٢) فن الامتحانات بين الطالب والمعلم، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، ن. دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (٢٣) فن الدراسة، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، ن. دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٢٤) كتاب تحت الطبع، معلومة حصلت عليها من يمان الباشا.
- (٢٥) نشر وزارة التربية والتعليم السورية، ١٩٦٣ - ١٩٦٤م.
- (٢٦) نشر وزارة التربية والتعليم السورية، ١٩٦٤ - ١٩٦٥م.

«تقد كان أبارئعاً. وكان مثلاً في الصدق والأمانة، والدقة في المواعيد، وكان يحب تلاميذه ويمدحهم لدرجة أنه يشعرنا بأننا لا نستطيع مجاراتهم».

«كان الوقت عنده ثميناً جداً، لا يفرط بلحظة منه.. وكان لا يقيم وزناً للمال، ولا يعتبره إلا وسيلة للعيش الكريم».

بيان بنت عبد الرحمن الباشا

شجاعة

د. الباشا. أدق رسالته العلمية (*)

فاطمة محمد السلوم (**) - السعودية

قرأت قصيدة «يا رب عونك» التي نشرتها الجزيرة للشاعر عبد الرحمن صالح العثماوي، والتي كتبها في رثاء أستاذه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا غفر الله له ورحمه.

وقد شعرت بالدموع تترقرق في عيني أثناء قراءتي

هذا، وأحب أن أقول: إنه مما يجعلنا نشعر بالأسى والحزن أن نرى الصفحات الأدبية والثقافية قد أهملت خبر وفاة الدكتور عبد الرحمن الباشا وكأنه لم يحدث شيء، ما عدا جريدتنا العزيزة الجزيرة التي نشرت دراسة كاملة عن شخصية الباشا وحياته، ونشرت لنا قصيدة العثماوي عنه، ونشرت لنا تعليقاً لأحد القراء على قصيدة العثماوي في عزيزتي الجزيرة.



للقصيدة، لما فيها من حرارة العاطفة وقوة التعبير، مما يدل على وفاء شاعرنا لأستاذه.

والدكتور عبد الرحمن الباشا من الأدباء المؤثرين، أعرفه كما يعرفه غيري من الشعراء والمستمعين للإذاعة السعودية من خلال برنامجه الإذاعي الناجح صور من حياة الصحابة وصور من حياة التابعين، وهو برنامج تحول إلى سلسلة

من الكتب المفيدة، التي أحسنت رئاسة البنات ووزارة المعارف فقررتها على الطلاب والطالبات في المراحل المتوسطة والثانوية.

وإني مازلت أتذكر صورة الباشا - رحمه الله - وجمال حديثه، وسلامة أسلوبه حينما استضافه العثماوي في برنامجه التلفزيوني «آفاق ثقافية» وقد استضافه مرتين. تحدث في مرة عن الأدب الإسلامي، وفي مرة عن أدب الأطفال، فكان حديثه مفيداً جداً ونافعاً لمن شاهده واستمع إليه.

أما الصحف الأخرى التي شغلنا زماً طويلاً بأخبار أمل دنقل عندما مات، ولا تزال تملأ فراغها بأخبار فلان وعلان من أدباء وشعراء دورهم ضعيف في الحركة الأدبية الجادة، فقد تناست الدكتور الباشا وأغفلته، ويحق لي كقارئة ومتابعة للأدب أن أساءل هذا التساؤل الأليم!

وأقول في الأخير: إنني أعزي شاعرنا العثماوي في فقيدنا جميعاً الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا. رحمه الله - باسمي واسم عدد كبير من الزميلات... وأعزي أهل الباشا وذويه ■

(*) جريدة الجزيرة، الخميس ٢٢ ذي الحجة ١٤٠٦ هـ - ٢٨ أغسطس ١٩٨٦ م.

(**) الرياض - كلية الآداب، جامعة الملك سعود.



عبد الرحمن رأفت الباشا ناثراً

إعداد الباحثة:

مزنة بنت عبد الله بن عبد العزيز البهلال

للعام الجامعي ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

وذكرت من دوافعها لاختيار هذا الموضوع ما يأتي:
١- مكانة الباشا العلمية، وعبقريته الأدبية، التي تولد عنها مجموعة من الأعمال المهمة، منها: أرض البطولات، والراية الثالثة، وهي أعمال روائية، ومنها: علي بن الجهم، وأدب الرحلة المتمثلة في شعر الطرد، وهي من الأعمال الأدبية النقدية.

٢- رصده الرائع لتاريخ الإسلام العظيم، وأحداثه الجسام من خلال تتبعه لصور البطولة عند الصحابة والصحابيات، والتابعين في أسلوب أدبي بليغ لم يعدم عناصر الرواية.
٣- المنهج التربوي الذي اتبعه في كل مؤلفاته، كان يهدف من ورائه إلى إضاءة شعاع من نور أمام الشباب والمتطلعين لصحوة الأمة ونهضتها.

٤- الاتجاه الإسلامي الذي حرص عليه الباشا في أدبه، ونجح من خلال التمسك به في الإسهام بإنشاء رابطة للأدب الإسلامي، التي صار الباشا نائباً لرئيسها، وكان من نتائجها إنشاء مقرر جديد يدرس في الجامعات، وهو «الأدب الإسلامي».

٥- ما حبا الله به الباشا من تنوع في مصادر ثقافته، وتعدد في منابع تعليمه، فما بين التلمذ على عابرة المدرسة الخسروية بحلب، إلى التزود من الثقافة الإسلامية في الأزهر الشريف على يد علمائه الأفذاذ، إلى تلقي العلم في جامعة القاهرة على يد كوكبة من العلماء، إلى تميم الفائدة، وخاتمة المطاف في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مما شكل تلك الصورة المشرقة، وذلك الكيان الكبير.

رسالة ماجستير في الأدب العربي



شمس الدين درمش

بدأت الباحثة مزنة البهلال رسالتها ببيان مكانة الدكتور عبد الرحمن الباشا الأدبية والنقدية والعلمية، وأنه أحد أعلام الأدب، ورموز الفكر، الذين حملوا هموم الأمة، وحاولوا بعث نهضتها، وأن شخصية بهذه المكانة جديرة بأن تدرس مؤلفاته، وتحلل بنات أفكاره؛ لإبراز ما فيها من خصائص فنية وفكرية سامية، وثروة علمية كبيرة. ومن ثم كان اختيار موضوع بحثها «عبد الرحمن رأفت الباشا ناثراً»، لرسالة الماجستير.

٦- ما حواه أدب الباشا من مواطن غنية تستحق البحث والدراسة، وتستوجب التحليل والتنقيب، وتكشف - من خلال منهج علمي سديد - عن أهم سمات هذا الأدب وخصائصه، كما تبرز عن عوامل التأثير والتأثر فيه... وغيرها:

فكانت هذه الدراسة، محاولة لإنصاف هذا الكاتب، واعتراضاً بفضل وحقه في مجال الأدب، إذ لم يحظ موضوع «عبد الرحمن رأفت الباشا ناثراً» بدراسات سابقة - في حدود اطلاع الباحثة - باستثناء بعض المقالات التي كتبت عنه في بعض المجلات والصحف.

وقد اختصت هذه المقالات بتناول أجزاء بسيطة من حياة الباشا، وإشارات سريعة إلى ما تحدث عنها الباشا في «صور من حياة الصحابة، وصور من حياة الصحابييات، وصور من حياة التابعين، دون المساس بالجانب الروائي عند الكاتب، أو الناحية الفنية في كتاباته، وهو ما انفرد به هذا البحث الذي جاء مركزاً ومختصاً بالجانب النثري ودراسته دراسة فنية، مما يؤكد أن أدب الباشا ظل بعيداً عن ملامسة أيدي الباحثين، والدارسين.

وانتهجت الباحثة في دراستها المنهج المتكامل، معتمدة على المنهج الفني في الفصل الثاني عند دراسة «البناء الفني للسيرة»، والفصل الثالث عند دراسة «البناء الفني للرواية»، مع الاستعانة بالمناهج الأخرى كالمناهج التاريخية والاجتماعية عند دراسة حياة الأديب وآثاره، والمنهج النقدي عند دراسة اتجاهات أدبه.

وقد حرصت على استقصاء المعلومات الصحيحة المتعلقة بحياة الباشا ونشأته من خلال الاتصالات المتكررة بابن الباشا الأكبر «يمان» بالإضافة إلى زيارة والدها

«سوريا» ومنطقة «أريحا» ومقابلته بعض أقارب الباشا، والإفادة منهم في بعض المعلومات المتعلقة بسيرته الذاتية، وغير ذلك.

وقد سار البحث على خطة اشتملت على ثلاثة فصول يسبقها مقدمة وتمهيد، ويعقبها خاتمة.

فتناولت في التمهيد: حياته وآثاره.

وفي الفصل الأول: كان الحديث عن (اتجاهات أدبه)، ويشتمل على: الاتجاه الديني، والاتجاه الإنساني، واتجاه البطولات الإسلامية، واتجاه القيم التربوية.

أما الفصل الثاني: فكان (البناء الفني للسيرة)، وجاء في أربعة مباحث، وهي: الحدث، والشخصيات، والزمان والمكان، والأسلوب.

وفي الفصل الثالث: كان (البناء الفني للرواية)، وجاء في ستة مباحث، وهي: الحدث، والشخصيات، والحوار، والزمان والمكان، والسارد، ومستويات اللغة.

وخلصت من ذلك إلى (الخاتمة)، التي احتوت أهم ما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج وتوصيات.

النتائج والتوصيات

تقول الباحثة في الخاتمة:

فقد كانت الرحلة طويلة ومجهد، ولكنها ممتعة مع الباشا ونتاجه الفني الأدبي، وأشهد أنها رحلة أفادتني كثيراً... وساعدت بشكل مباشر على تكويني العلمي، والأدبي والفكري، وذلك لما حواه هذا النتاج من قيمة أدبية رفيعة، وما حمله لنا ولقراءه من مبادئ إسلامية عالية، وما دعا إليه من مثل وإشارات أخلاقية وسلوكية ترجمتها الشخصيات العظيمة التي عرض صوراً مشرقة من حياتها.





وتختصان بتسريع السرد، والمشهد والوقف،
وتختصان بإبطاء السرد.

٧- كشفت الدراسة عن موقف الكاتب من الأحداث
والشخصيات في السيرة، فلم يكن الباشا - رحمه
الله - مؤرخاً ينقل المواقف والأحداث كما هي؛
لكنه كاتب قصة يحاول بعث الحياة في المواقف
والأحداث المختلفة، عندما وقف على ما وراء
تلك الأحداث من دروس وعبر، وعلى أثر تلك
الشخصيات في ذلك الزمان والمكان، وعندما صور
تلك الأحداث، وتلك المواقف تصويراً حياً مؤثراً
يعيد إليها الحياة.

٨- حدد الباشا من خلال المكان
والزمان أبعاد الحياة الروحية،
والاجتماعية، والسياسية، في ذلك
العصر. واتضح لنا من خلال الدراسة
أن الكاتب وثيق الصلة بالعناصر
البنائية في الرواية، فقد ولد في ذلك
المكان، وعاصر زمن الاحتلال، وتأثر
بالأحداث التي وقعت، كما كان قريباً
من شخصياته، فتحن نلمح شخصية
الباشا وكثيراً من صفاته العاصمية



د. حسين علي محمد

في شخصية «عبادة».
٩- كشفت الدراسة عن الأسلوب المتميز الذي انفرد
به الباشا عن غيره من كتاب السيرة والرواية، وهو
ميله إلى الأسلوب البياني، الحافل بالصور البيانية
والمحسنات البديعية.
١٠- أبانت الدراسة عن اللغة العالية الرفيعة التي
استخدمها الباشا، وانتقى مفرداتها بعناية، وتعامل
معه بحرفية شديدة، هدف من ورائها إلى إحياء
ألفاظ اللغة وبعث الحياة فيها، رغم استخدامه
بعض الألفاظ الغريبة في مؤلفاته.

وخلصت الباحثة في النهاية إلى مجموعة من
النتائج والتوصيات أهمها:

١- تأثير البيئة الدينية والثقافية، والاجتماعية في
الكاتب. وقد ظهر بشكل واضح أثر التربية الدينية
في مؤلفات الباشا من خلال انتقائه لموضوعات
مؤلفاته، وتناوله للأحداث، واقتباساته القرآنية
والنبوية، من خلال عرض فني رائع وأسلوب أدبي
رفيع.

٢- إثبات نتاج الباشا الأدبي، ونضج تجربته في ميدان
القصة والرواية، وتوافر المقومات الفنية والموضوعية
في أدبه.

٣- دراسة نتاج السيرة عند الباشا
دراسة فنية شاملة كشفت عن
عناية الكاتب بالسيرة وصياغتها
صياغة أدبية فنية نادرة، تجمع
المتعة والفائدة إلى جانب الصياغة
والربط الفني الرائع.

٤- أبانت الدراسة عن تأثر الكاتب
بالأحداث السياسية في سوريا زمن
الاحتلال، وهذا ما كشفت عنه
روايته «أرض البطولات» و«الراية

الثالثة» من معاشية للأحداث، وتعبير عن الواقع.
٥- أثبتت الدراسة أن الباشا له منهج يعتمد على الأبعاد
المختلفة في رسم الشخصيات، ففي بعض السير
يركز على البعد الجسمي، وفي بعضها الآخر يركز
على البعد النفسي، وفي بعضها الآخر يركز على
البعد الاجتماعي؛ ولعل ذلك التعدد والاختلاف
راجع إلى تلك الشخصية وما يميزها عن غيرها.
٦- أبانت الدراسة أن الباشا استخدم الزمن بصورة
مباشرة واضحة مقترنة بالحدث، وقد سار الزمن
عنده وفق تقنيات أربع هي: الخلاصة والحذف

الباشا وأدب الدعوة الإسلامية(*)

— عبد الله الجعيثي - السعودية —

«اللهم إني أحببت صحابة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
أصدق الحب وأعظمه؛ فهبني يوم الفرع الأكبر لأي منهم؛ فإنك
تعلم أني ما أحببتهم إلا فيك، يا أرحم الراحمين».

تتصدر هذه الكلمة الجميلة كل طبعة من السلسلة الرائعة
صور من حياة الصحابة لأستاذنا المرحوم الدكتور عبد الرحمن
رأفت الباشا، والذي قدم بهذه السلسلة قدوة مثلى لناشئة هذه
الأمّة، مصورة من حياة الرعيل الأول، بأسلوب أدبي متوهج،
وعاطفة حارة صادقة...

والدكتور الباشا له إسهام متواصل في الدعوة إلى الله،
مذ كان مشرفاً على موسوعة أدب الدعوة الإسلامية شعراً
ونثراً، والتي أعدها طلبة السنة الرابعة بكلية اللغة العربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد صدر منها
أسفار ضخام، لقيت صدى جميلاً في العالم الإسلامي، وكان
رحمه الله متحمساً لها، يبذل لها وقته وجهده، ويقف مع أبنائه
الباحثين فيها موقف الأب الرؤوم...

كما كان أثناء التدريس - وأنا أحد طلبته - يبيت الثقافة
الإسلامية في حصصه، وخاصة حين يخرج عن الموضوع، وما
أجمل خروجه عن الموضوع! ذلك ما كنا ننتظره، فقد كان يزودنا
بتجارب ومعالم تساق بأسلوب فني، وتعرض بشكل طريف...

كان - رحمه الله - يدرسنا مادة النقد الأدبي بكلية اللغة
العربية، ولعل له الفضل في إدخال هذه المادة إلى الكلية، بعد أن
كانت جزءاً من البلاغة فقط، وكان أسلوبه عربياً فصيحاً يمتاز
بالروعة التي تجعل الأذان تصغي، والعيون تلمح، والوجدان
يستقبل، والعقل يستمع ■

(*) مجلة الدعوة، الاثنين ٢٧ ذي الحجة ١٤٠٦هـ، الموافق أول سبتمبر
١٩٨٦م.

١١- وأخيراً كشفت الدراسة عن نجاح
الباشا في تحقيق الهدف المنشود من
وراء تلك المؤلفات وأهمها ما يأتي:

- وضع التصور الكامل لمؤهلات
البطولة وبواعثها من خلال عرض
رائع لنماذجها في العصور الزاهية.
- إبراز الجوانب المضيئة في تاريخ
الأمّة وانتقائها في مختلف العصور
لضرب المثل، وبعث الأمل، وترك
البأس.

- أن البناء الحضاري للأمّة ممكن
بشرط أن تأخذ من ماضيها
لحاضرها، ومن تراثها لمعاصرتها،
وأن تسترشد بقيم ومبادئ أسلافها
وعظمتائها.

وإن كان ثمة توصيات، فهو التوجه
صوب القيم التربوية في مؤلفات الباشا،
وإبرازها من خلال دراسة مضامين بعض
الأحداث والمواقف، والوقوف على تلك
القيم التي اكتظت بها مؤلفاته.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الاتجاه
نحو الدراسات الإسلامية، وما يستفاد
منها من مبادئ، وقيم ومثل، والتي اعتنى
بها الباشا اعتناء خاصاً يجب أن يهتم به
الباحثون من خلال تتبع الدراسات المماثلة
عند كتاب إسلاميين آخرين.

وقدّمت الرسالة ونوقشت في قسم
الأدب من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
وأشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور:

حسين علي محمد - رحمه الله ■



غربة ودمعة



د. عدنان علي رضا النحوي - السعودية

أَيْنَ الْهَزَارُ وَأَيْنَ اللَّحْنُ وَالْوَتْرُ
كَانَتْ تَمْوُجُ فَطَوَّاهَا الرَّدَى فَنَاتُ
أَبَا يَمَانٍ..! وَكَمْ خَلَفَتْ رَابِيَةً
هُنَا الرِّيَاضُ الَّتِي سَامَرْتَهَا زَمَانًا
وَكَمْ رَحَلْتَ إِلَى أَفْيَاءِ حَانِيَةٍ
وَكَمْ رَحَلْتَ عَلَى شَوْكِ تَكَابِيْدِهِ
عَزَمَ عَلَى مَرَضٍ، صَبَرَ عَلَى مِحَنِ
تَكَادَ تَقْتَحِمُ الْأَحْدَاثُ فِي لُجَجِ
حَتَّى بَلَغَتْ مِنَ الْأَيَّامِ غَايَتَهَا
غَرَسْتَ فِي كُلِّ نَادٍ غَرْسَةً نَبَتَتْ

(كان الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا . رحمه الله .
فيضا من العطاء والعزيمة، رغم مكابדתه للمرض، أثناء
مؤتمر الندوة العالمية للأدب الإسلامي المنعقد في لکنهو .
الهند . عام ١٤٠١هـ، الموافق ١٩٨٠م برئاسة الأستاذ الشيخ أبي
الحسن الندوي. (*)

وكان الدكتور الباشا حينئذ نائبا لرئيس الندوة، وقد
أصبح كذلك نائبا لسماحة الأستاذ الندوي رئيس رابطة
الأدب الإسلامي في مؤتمرها المنعقد في لکنهو . الهند . عام
١٤٠٦هـ، الموافق ١٩٨٦م.

ولقد كان آخر لقاءنا معه بعد تلك الجولات في إستانبول
- تركيا - في صيف هذا العام ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م التي كانت تعج
بنشاط الأدب الإسلامي حيث وافاه الأجل. وما إن سمعت
بنيأ وفاته عندما عدت إلى الرياض حتى سكبت عليه هذه
الدمعة، الأحد ١٦/١٢/١٤٠٦هـ، ٢١/٨/١٩٨٦م).

أَيْنَ الشَّدَا وَالنَّدَى ..! وَالْأَيْكُ وَالشَّجَرُ
وَعَادَ مِنْهَا لَنَا الْأَصْدَاءُ وَالصُّورُ
تَلَفَّتَ الشُّوقُ فِيهَا وَالْهَوَى خَضِرُ
حَنِّ النَّدَى بِهَا وَالشَّدُو وَالسَّمَرُ
زَكَ الْجَهَادُ بِهَا وَالصَّبْرُ وَالذِّكْرُ
فَرَقَ مِنْكَ عَلَى أَشْوَاكِهِ السَّفَرُ
بَلَوَى عَلَى وَطَنٍ، يَمْضِي بِكَ الْقَدَرُ
مَا صَدَّه حَذَرٌ أَوْ رَاعَهُ خَطَرُ
كَمَا تَبَلَّغَ مِنْ أَيَّامِهِ الْحَذَرُ
طَبِيبًا فَضُوحَ مِنْهَا الْعُودُ وَالزَّهْرُ

(*) صحيفة الجزيرة، السبت ٢٢ محرم ١٤٠٧هـ، ٢٧ سبتمبر ١٩٨٦م.

سَكَبَتْ مِنْ عُودِكَ الْفَوَاحِ دَفَقَ هَوًى
وَقُمْتَ تَجْمَعُ مِنْ رَوْضِ الْهُدَى أَدْباً
وَأَنْ أَطِيبَ مَا يَلْقَاهُ مُرْتَحِلٌ

* * *

يَا يَوْمَ «لَكُنُو» عَلَى سَاحَاتِهِ انْتَلَقَتْ
أَنْوَارُ فِتْيَانِهَا نُورَ الشُّيُوخِ بِهِمْ
عَلَى رِعَايَتِهِمْ يُجْلَى الْبَيَانُ هُدًى
تَأَلَّقَ الْحَشْدُ حَتَّى كُنْتَ بَيْنَهُمْ
جَادَ الْبَيَانُ عَلَى مَا صُغْتَ مِنْ دَرَرٍ

* * *

عَلَى ضِفَافِكَ يَا «بُسْفُورُ» رَابِيةٌ
كَمْ مَجْلِسٍ ضَمَّنَا مِنْ قَبْلِ فُرْقَتِنَا
هُنَاكَ بَيْنَ ظِلَالِ الثُّبُوتِ رَفْرَفَةٌ
رَفَّ الْهُدَى وَجَرَتْ آيَاتُهُ وَدَنَتْ
نُطْلُ مِنْهَا عَلَى «الْبُسْفُورِ» نَنْفَحُهُ
حَتَّى مَضَيْتَ وَخَلَفْتَ الدِّيَارَ بِهَا
هَلَّا رَجَعْتَ لَهَا؟ أَمْ هَلْ دَعَاكَ هَوًى
أَبَا يَمَانٍ!.. كَأَنَّ الدَّارَ مَا بَرِحَتْ
هَلَّا تَلَفْتَ لِلشُّهْبَاءِ تُودِعُهَا
أَمْ أَنْتَ كَفَكَفْتَ مِنْ عَيْنِكَ أَدْمَعُهَا

فَطَابَ مِنْهُ وَمِنْ طِيبِ الْهَوَى الْعُمُرُ
يُفْتَحُ الْوَرْدُ أَوْ تَزْهُو بِهِ الْغُرُرُ
أَهْلٌ إِذَا غَابَ عَنْ مِيدَانِهِمْ ذَكُرُوا

دُنْيَا وَمَاجَتْ عَلَى مِيدَانِهَا الْبَشَرُ^(١)
وَبَيْنَ سَاحَاتِهَا الْأَزْمَانُ تُخْتَصِرُ
وَنَفْحَةٌ مِنْ يَقِينِ الْحَقِّ تَنْتَشِرُ
صَفْوُ الْوُدَادِ أَخَا مَا مَسَّهُ كَدْرُ
وَمِنْ سَجَايَاكَ شَعَتْ بَيْنَهَا الدُّرُرُ

حَنَّتْ وَأَوْفَتْ وَأَوْفَى عِنْدَهَا الْقَدْرُ^(٢)
دَنَا عَلَيْنَا لِيَهْنَأَ بَيْنَنَا الْقَمَرُ
مِنْ الْبَيَانِ زَكَاً مِنْ طَيْبِهَا الثَّمَرُ
أَطْيَافُهُ وَحَلَّتْ فِي ذِكْرِهِ السَّيَرُ
شَوْقًا فَيَنْفَحُنَا مِنْ شَوْقِهِ النَّهْرُ
حَيْرَى مِنَ الْوَجْدِ يَطْوِيهَا وَيَعْتَصِرُ
أَعْلَى وَلَجَتْ بِكَ الْأَشْوَاقُ وَالْعَبْرُ
هُنَاكَ مِنْ وَلَهٍ تَهْفُو وَتَنْتَظِرُ
لَمَحًا مِنَ الشُّوقِ أَمْ لَمْ يُمَهِّلِ الْقَدْرُ؟^(٣)
تَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَا لَمْ يَبْلُغِ النَّظَرُ



خَلَفَتْ فِي الشَّامِ أَهْلًا أَمْ تُرَى أَمَلًا
يَا رَبَّوَةَ الشَّامِ أَيْنَ الْوَرْدُ نَقَطُفُهُ

* * *

مَضَيْتِ فِي الدَّرْبِ لَكُمْ ضَاقَتْ بِهِ سُبُلُ
تَلَقَى هُنَاكَ مِنَ الرَّحْمَنِ جَنَّتَهُ
تَمْتَدُّ حَتَّى كَأَنَّ الْكَوْنَ سَاحَتَهَا
مِنْ كُلِّ يَأْقُوتَةٍ تَزْهُو بِسَاكِنَتِهَا

* * *

هِيَ الْحَيَاةُ مَمَرٌ لَا انْكَفَاءَ لَهُ
وَشَهْوَةٌ طَحْنَتْ أَنْيَابُهَا جُثَثًا
كُلُّ ابْنِ آدَمَ مَشْغُولٌ بِشَهْوَتِهِ
لَا يَطْمَئِنُّ بِهَا إِلَّا فَتَى صَدَقَتْ
فَكَمْ سُؤَالٍ عَلَى الْجَفْنَيْنِ مُحْتَبَى
يُفْتَحُ الْمَوْتُ مِنْهَا كُلَّ مُنْغَلِقٍ
زَخَارِفُ الْعُمُرِ أَشْبَاحُ ، إِذَا نَشَبَتْ
هِيَ الْحَيَاةُ ابْتِلَاءٌ لَا نُجَاوُزُهُ
وَتَخْلُصُ النَّفْسُ فِي مِيزَانٍ بَارِئَتِهَا

* * *

وَدَمْعَةٌ لَمْ تَزَلْ تَهْمِي وَتَسْتَعِرُ
أَمْ جَفَّ عِنْدَكَ مِنْهُ الْعُودُ وَالزَّهْرُ

فَوَسَّعَ الْمَوْتُ مَا قَدْ ضَيَّقَ الْبَشَرُ
وَتَلْتَقِي عِنْدَهَا الْأَجْيَالُ وَالْعُصُرُ
فَلَا تَضِيقُ عَلَى سُكَّانِهَا الْحَجَرُ
وَكُلُّ حَانِيَةٍ يَزْهُو بِهَا الْبَصَرُ

وَرَحْمَةٌ مَاجَ فِيهَا الشُّوقُ وَالضُّجُرُ
أَوْ مَلَجًا رَقَّ فِيهِ الْآيُ وَالسُّورُ
فَمِنْ صَرِيحِ هَوَى أَوْ فِتْيَةٍ ظَفِرُوا
لِللَّهِ هِمَّتُهُ وَالسَّعْيُ وَالْأَثَرُ
وَكَمْ مِنَ الظَّنِّ يُطَوَّى ثُمَّ يُبْتَدَرُ
نُورًا تَدْفِقُ يُجْلَى عِنْدَهُ الْخَبَرُ
مَنْيَّةٌ وَلَّتِ الْأَشْبَاحُ وَالصُّورُ
حَتَّى تُمَحِّصَنَا الْأَيَّامُ وَالْغَيْرُ
لِكُلِّ مَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ تُدْخِرُ

الهوامش:

- (١) إشارة إلى لقاء اتنا في الندوة العالمية للأدب الإسلامي في لكةنو سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) .
- (٢) إشارة إلى لقاء اتنا في إستانبول سنة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) حيث ضممتنا ظلال شجر التوت، وزقزقة الطيور، وعطر الزهور، والندى، والشجر الملتف هنا وهناك..!
- (٣) الشهباء: هي مدينة حلب.

حتى هوى.. فذوت كما تذوي زهور الأقحوان
وتساءلت في سرها: أين المضي.. ولا أمان؟
واسترجعت: إن الإله هو المعين.. أبا يمان!..

* * *

هذا عميد القوم.. ملء العين والأسماع كأن
الفارس المغوار إما كانت الحرب العوان
رجل المنابر والمحافل.. قد وهى منه الجنان
الجسم كل عن العزيمة والضريبة والطعان
حتى هوى الطود الأثم.. وأغمد السيف اليمان
وترجل المصلوب عن آلامه.. أزف الأوان
نبكيك.. يذهلنا المصاب.. وهلت حور الجنان

* * *

يا فارسا خانتته ساح الحرب.. فارتد العنان
ما كان يثني العزم منك عن العلا إنس وجان
كيف انثنت.. وفي يديك مهند غضب السنان
ولمن ستخلي الساح.. لا سيف يسل ولا لسان؟
ولمن تركت لواءك المعقود يوم المهرجان؟
ربأت بك النفس الأبيّة أن تهون وأن تُهان
فرحلت عن دنيا الصغائر والمذلة والهوان
ومضيت لا تأسى على دنيا بدت كالأفعوان

* * *

يا راحلين إلى الرياض.. ألا انقلوا الخبر العيان
حتى يُبَكِّيَهُ الرفاق الأوفياء.. مدى الزمان
والموت آجال تحد.. فلا هروب ولا توان
إنا احتسبنا الخطب في ذات الإله المستعان
والموت موعظة القلوب.. كأنه فيها أذان

دمعة من القلب



د . عبد القدوس أبو صالح

كنت مع الفقيد في إستانبول عندما وافته المنية،
وقد صلينا عليه في مسجد الفاتح، وتم دفنه في
المقبرة المحاذية لحصن المدينة القديم.

لهفي عليك أبا اليمان.. ناضلت فانتصر الزمان
ناحت عليك الورق كالثكل.. ولج الناعيان
الهاتفات مع الضحى تبكيك أم تبكي البيان؟

* * *

ولقد شهدت الرزء.. ما أدهى بسمع أو عيان؟
رضوان أذهلت المصيبة لبه.. وبكت جمآن
وبكت وراء الستر سيدة مرزأة حَصَان
ظلت تذود البأس عنه.. ولم يفض نبع الحنان



لهضي على زين الشباب وشيخهم

محمد عبد الرحمن الباشا (*) - سورية

ذكرى الأخوة والصبا الريان
يا من سكنت جوانحي وجناني
دمعي همى وتقرحت أجفاني

أفبالمصاب طلاقة للسان
فلقد صعقت وقوضت أركان
فلقد تحطم ساعدي وسناني
والموت آخر رحلة الإنسان
وأقام مجدا شامخ البنيان
أعظم بعبد عابد الرحمن

وبحسن نطق واكتمال بيان
فكأن فيه رياضة الأذهان
بقدم أقوى فارس الميدان
ببليغ قول أو بديع معان

لأبي اليمان وصفوة الخلان
قد سار قلبي حيث سرت مودعا
صنو الطفولة إن تمثل طيفه

قالوا تأخر في الرثاء حبيبه
فنظار ترقأ عبرتي يا منصف
ونظار ترجع صحتي وتجلدي
ركن العشيرة مال عن عليائه
قد شاد صرح مكانة وكرامة
وعلى جبين الدهر سجل فخرنا

ملك الفؤاد بلطفه وبطيبيه
فإذا تحدث لا يمل حديثه
وإذا تكلم فالمنابر تحتفي
والسامعون تعلقت أسماعهم

(*) عم الفقيه في الرياض.

فهو الذي ما انفك يرفع راية الإِ

وهو الذي أفنى الحياة مجاهدا

* * *

إن الذي عزى الفضّاد شهادة

فاقت بصدق مقالها وجمالها

فهم الذين توجهوا بقصائد

يرثون هذا النجم يهوي مسرعا

إني لأضرع للمهيمن داعيا

* * *

لهفي على زين الشباب وشيخهم

لهفي عليك إذا تأزم أمرنا

نفديك لو تفضى بكل نفيسة

لكن آجال ابن آدم كلهم

فاهناً برد وديعة أسلمتها

جاهدت في الإسلام حق جهاده

قدمت للإسلام خير هدية

صورت بالقلم البديع صحابة

وكذا حياة التابعين كأنها

فمع الصحابة والنبي محمد

* * *

سلام تخفق فوق كل مكان

بالذود عن دين الهدى بتفان

بك من ذوي الأخلاق والإيمان

درر العقود على صدور حسان

غرر كعطر الورد والريحان

ويغيب بين دقائق وثوان

لهم بحسن الأجر والغفران

لهف الثكالى يا فتى الفتيان

لهفي عليك على مدى الأزمان

جمعت وبالأرواح والأبدان

دين يرد لخالق الأكوان

لله خالية من الأدران

فانعم بأجر الواحد الديان

كتبا تروي غلة الظمآن

صورا بدت في غاية الإتقان

نور تاللاً من سنا القرآن

والتابعين مخلداً بجنان



يا رب عونك!.. (*)

في رثاء الأستاذ الجليل الدكتور عبد الرحمن رافت
الباشا . رحمه الله . صاحب فكرة موسوعة أدب
الدعوة الإسلامية ومنفذها .

د. عبد الرحمن العشماوي - السعودية

يحتز رأس الرضا، يودي بآمالي
أن الحياة لها إحساس رحال
أن العواصف لا تصفي لأقوالي
حرارة الجمر تشوي راحة البال

يا رب عونك! هذا سيف أهوالي
وهذه بغفات الموت تخبرنا
وهذه نزوات الموج شاهدة
وهذه ذكريات الراحلين، لها

* * *

ركض المودع عن أهل وعن آل
في فقد غال، وفي تغيير أحوال
وفي تكاثرهم بعد إقلال
منا ونحن نريها ظهر مختال
فكيف أصبحت في جذب وإمجال؟
فأجفل المجد منا أي إجفال
أحس من ألم في النفس قتال؟

يا رب عونك! هذا العمر يركض بي
في كل يوم يرينا الموت صورته
وفي تفرق شمل بعد مجتمع
نلهو ونضحك والأيام ساخرة
يا أرض أحلامنا قد كنت مخصبة
نامت على عتبات اللهو همتنا
من أين أبدأ قلبي؟ كيف أنفت ما

* * *

إليك... نظرة إكبار وإجلال

أبا اليمان... عيون الشعر ناظرة

(*) جريدة الجزيرة - الخميس ٢ ذي الحجة ١٤٠٦ هـ، ٧ أغسطس ١٩٨٦ م.

ملكـت عزـة نفسـ، لا يـخالطها
مددت جسرا لجـيل الـيوم متـصلا
رسمت من أدب الإسلام خارطة
بريئة من دعاوى الملـحدين، وقد
خلّصتها من سموم القول فانـبثقت
قوم وعوا، فراوها خير منتجـع
وأخرون مضوا في حقدهم وأبوا

* * *

أبا اليمان... بقلبي ألف عاصفة
إني أسائل، والآهات عاصفة
لم أرض بالذل في عيشي، فهل عزمت
سبقتنا، وطريق الموت عامرة
ومن مخفّ على درب الهدى ضحكت
أرثيك؟... لون حروفي لا أميزه
أنباء موتك هزنتني فجاءتها
أحس أن الرياض استوحشت وبكت
وأن بوابة الأفراح مقفلة
يبكي فؤادي فراق الأبعدين فهل
أمنت بالله، يمضي في خليقته

* * *

ذل، ولا تنزوي في قلب محتال
بخيرة الناس من صـحب ومن آل
فيها معالم إمتاع وإفضال
تسريل الفن منها خير سربال
منها روائع حسان وإقبال
للناس في عصر إفساد وإضلال
أن يستجيبوا وقالوا قول ختال

من الأسى وبعيني دفع شلال
والصبر يمنح قلبي كل إهمال:
هذي الجراح على تحقيق إذلال؟
بـالـسالكين، فمن ماض ومن تالي
له الطريق، ومن حمال أثقال
والحزن يزرع في كفي أغلال
وزلزل القلب منها أي زلزال
مثلي، وأن فؤادي ليس بالسالي
ولم تكن تشتكي من جور أفعال
تراه يسـلو فراق الصاحب الغالي!
قضاؤه، بعد إفـساح وإمهال



أفل البدر

هذه الحروف المنقوشة
على جدار شجوني سطرته
في رثاء أستاذي المرحوم
الدكتور عبد الرحمن رأفت
الباشا الذي وافته المنية في
تركيا وأنا في رحلة خارج
الوطن، فلما رجعت علمت
بالنبا الفاجعة، رحمه الله
رحمة واسعة، وألهم أهله
وذويه وزملاءه وطلابه
الصبر والعزاء.



د. سليمان عبدالعزيز المنصور (***) - السعودية

صفق الحزن في فؤادي فذابا
كل خطب يهون في ناظري
يصطفي الموت خيرة الناس دوما
قلت: عفا يا من تعلمت منه
أنت بدر توجت أعلى وشاح
أفل البدر بعدما شع نورا
يا جراحا تضج بين ضلوعي
يا إلهي رحماك من سهم حزن

كيف ذاك التقى عنا توارى؟
كيف ذاك التقى عنا توارى؟
يعشق الحرف، ثم يلقيه عذبا
يا يراعا حملت صدقا ووردا
صور من حياتهم يا حكيما
ووهبت العمر النضير لعلم
أدب الطفل كنت تدعو إليه
أدب الدين فكرة أيقظتها
فجزاك الإله جنات عدن

يا حبيبا عن المحبين غابا
غير خطب يستأصل المستطابا
فتراهم بعد الثريا ترابا
كل فن وكيف أفتح بابا
فيه نلت العلى وجزت السحابا
عادة البدر أن يطيل الغيابا
يا أكفا كأن فيها خضابا
زادني اليوم حسرة واضطرابا

بعدما كان شعلة، بل سحابا
بعدما عاش ديمة، بل شهابا
يأسر اللب رقة وانسيابا
بل عبيرا، فضوحت أطيابا!!
مدت الجرح بالشفاء فطابا
يرفع الرأس ما أضعت الشبابا
ها هو النشء بعدما تاه ثابا
نفس حر تحدث الألقابا
يا حبيبا عن المحبين غابا

(*) أدب وثقافة. جريدة الجزيرة، الخميس ٢٣ ذي الحجة ١٤٠٦هـ - ٢٨ أغسطس ١٩٨٦م.

(**) كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.



نبارك لكم جهودكم

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

باسمي وزملائي أعضاء مجلس إدارة نادي الطائف الأدبي التقايف.. نهدي إليكم أطيب تحياتنا ونبارك لكم جهودكم في السير بالمجلة إلى تحقيق الأهداف النبيلة والغايات المرجوة وفق ما خطط لها (تحريراً ومسيرة) ونتمنى لكم مزيداً من التوفيق والنجاح.

ونؤكد لسعادتكم استمرار اشتراك النادي في المجلة.. هذا وتقضوا بقبول وافر تحياتي.

حماد بن حامد السالمي

رئيس نادي الطائف الأدبي الثقافى

جنة الطوارق لإدريس اليزامي

الأخ الفاضل رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

ورد في العدد ٧٣ الصفحة ٦٧

من الدراسة «الرواية التاريخية

- جنة الطوارق نموذجاً» نسيان

الهوامش، ثم نسبة الرواية جنة

الطوارق للمؤرخ والروائي أحمد

توفيق .. وهي في الحقيقة لكاتب

المقالة نفسه إدريس اليزامي.

والمرجو من إخوانكم تصويب

ذلك .. وجزاكم الله بكل خير.

إدريس اليزامي - المغرب

تعتذر المجلة إلى الأديب إدريس اليزامي وإلى القراء

الكرام عن هذا الخطأ غير المقصود، وتعد ببذل المزيد من

العناية بما ينشر فيها إن شاء الله.

«التحرير»

معجب جداً بمجلتكم

فضيلة الدكتور

عبد القدوس أبو صالح

رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة

الله وبركاته .. وبعد

فأتمنى على الله

أن تكونوا في خير

وعافية، أهنئكم على

ما أخذتم على عاتقكم من عبء الدعوة

الإسلامية وخدمة الكلمة الصالحة وترويج

بضائع الأخلاق والإيمان.

إنه من بواعث السرور والحبور أن أفيدكم

بأنني - كإخواني وأصدقائي - معجب جداً

بمجلتكم مجلة الأدب الإسلامي الغراء الصادرة

من رابطة الأدب الإسلامي العالمية، حيث رأينا

لها صيتاً كبيراً في الأوساط الدعوية والأدبية،

وذكرنا جميلاً قلماً حظيت به مجلة أخرى من

نوعها. ولكنني - للأسف - لم أظفر بأي عدد

منها، ولذلك أحتاج إلى عدد من المجلة العزيزة،

لكي أستفيد منها وأتمكن من الاشتراك فيها

في مستقبل قريب - بمشيئة الله - كما أنني

راغب جداً في شراء جميع إصدارات رابطة

الأدب الإسلامي العالمية، ولكنني لا أعرف كيف

الطريق إلى ذلك، وما هو سعر كل كتاب.

فالأمول منكم أن ترسلوا إليّ عدداً من

مجلتكم، وأن تتكرموا بإشعاري بأسعار

الإصدارات، وكيف أنا أقوم بشرائها.

محمد تقى - بنغلاديش





وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب



ندوة

عبد الرحمن الباشا



أحمد حسن الخميسي - سورية

بدأت المؤسسات الثقافية والتربوية في سورية تكريم المبدعين من العلماء والأدباء والفكرين. وفي سنة ٢٠١٠م كرمت وزارة الثقافة السورية الدكتور عبد الرحمن الباشا، لما له من أيدٍ بيضاء في التربية والثقافة والفكر ومقاومة الاستعمار، وأقيمت في هذه الندوة التكريمية كلمات وبحوث، تحدث فيها الحاضرون عن حياة المحتفى به وأعماله ومؤلفاته.

جمعت هذه المحاضرات في كتاب بعنوان «ندوة عبد الرحمن الباشا» أصدرته الهيئة العامة السورية للكتاب في وزارة الثقافة عام ٢٠١٠م، وتضمن وقائع حفل الافتتاح والأبحاث التي أقيمت فيها، وكلمات الاختتام. وجاء الكتاب في (٢٣٧) صفحة من القطع الوسط. وكانت الأبحاث كما يأتي:



وقسم ثان جمع فيه المحاضرون أكثر من كتاب، فقد تحدث الدكتور عبد الله أبو هيف عن الجانب النقدي عند عبد الرحمن الباشا، فعرض للنقد اللغوي في كتبه المدرسية التي ألفها، وللنقد النثري في كتابه «الصيد عند العرب»، وللنقد الشعري في كتابه «علي بن الجهم - حياته وشعره».

وقسم ثالث من المحاضرين تحدث عن معظم كتبه باختصار كما في «عبد الرحمن الباشا الإنسان وأعماله الأدبية والعلمية. للدكتورة مهجة الباشا».

إن الأديب العالم الدكتور عبد الرحمن الباشا - رحمه الله تعالى - أسس لأدب إسلامي واعد، أرسى قواعده على أسس متينة، فقد عمل على تأسيس قسم خاص للأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، وأسهم في إنشاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي تأسست وبدأت تقوم بنشاطاتها على مستوى الوطن العربي والإسلامي بل والعالمي.

واستطاعت هذه الرابطة أن تجيب عن الأسئلة المطروحة حول الأدب الإسلامي، ومن أهمها: كيف تميز بين أدب إسلامي وغير إسلامي؟ وبين أديب إسلامي وغير إسلامي؟ وهل يضيق الأدب الإسلامي حرية الأديب؟ وهل يمنعه من خوض غمار التجارب الأدبية؟

لقد كرمت هذه الندوة عبد الرحمن الباشا، فأشادت بمناقبه ومآثره ومؤلفاته، لكننا كنا نود من بعض الذين عاصروه وعاشوا معه في مراحل الدراسة والتدريسية أن يحدثونا عن صور من حياته في مواقفه الجهادية ضد الاستعمار الفرنسي في سورية، وقد أشير إلى ذلك إشارات عابرة، وأن يحدثونا عن معاملته لطلابه وزملائه لتكون الصورة أكمل. نأمل أن يستمر تكريم العلماء والأدباء والمفكرين في سورية وغيرها لنكافئهم على بعض ما قدموه في حياتهم من فكر وثقافة وخير للبشرية.

١- عبد الرحمن الباشا ونقد الشعر التراثي - د. سمر الديوب - سورية.

٢- المنهجيات الحديثة في نقد النص التراثي - د. عبد الله أبو هيف - سورية.

٣- عبد الرحمن الباشا الإنسان وأعماله الأدبية والعلمية - د. مهجة الباشا - سورية.

٤- تجليات الموروث الإبداعي في الفكر والإبداع المعاصر - د. حسان الحسن - سورية.

٥- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد - د. عالية صالح - الأردن.

٦- أرض البطولات - رواية تاريخية لعبد الرحمن الباشا - أ. صبحي فحماوي - فلسطين.

٧- فن السرد في «صور من حياة الصحابة» - د. أحمد زياد محبك - سورية.

٨- ثقافة الباحث وشعرية اللغة - د. فاروق اسليم - سورية.

٩- جهود عبد الرحمن الباشا في تمكين اللغة العربية - د. محمد حسن عبد المحسن - سورية.

١٠- منهج الباشا في بعض مؤلفاته - د. عبدالحسين صكر - العراق.

١١- قراءة في رؤيا عبد الرحمن الباشا في اللغة العربية والدفاع عنها - د. محمد فاتح زغل - الإمارات.

لقد قدم المحاضرون سيرة موجزة عن حياة عبد الرحمن الباشا، ولاسيما الدكتوراه مهجة الباشا.

ولقد تناول المحاضرون بالدراسة والنقد ما كتبه عبد الرحمن الباشا شكلاً ومضموناً، وجاءت الدراسات على ثلاثة أقسام: قسم درس كتاباً بعينه دراسة نقدية موضوعية كما فعل الدكتور أحمد زياد محبك في بحثه عن «فن السرد في صور من حياة الصحابة»، وكذلك أ. صبحي فحماوي في بحثه «أرض البطولات رواية تاريخية».



وصدر عن الندوة البيان الختامي الآتي:

عقدت الندوة الفكرية التكريمية للمبدع الراحل عبدالرحمن رأفت الباشا بدعوة من وزارة الثقافة في القطر العربي السوري في رحاب دار الثقافة بإدلب من ٢٦ ولغاية ٢٧/٣/٢٠٠٨م، بمشاركة عدد من الباحثين والنقاد ورجال الفكر في سورية والوطن العربي (الأردن، فلسطين، العراق) وقدم في الندوة أحد عشر بحثاً.

افتتحت الندوة في تمام الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء ٢٦/٣/٢٠٠٨م برعاية الدكتور رياض نعيان آغا وزير الثقافة وناب عنه الأستاذ الدكتور عبدالنبي اصطيف، وبحضور المسؤولين في محافظة إدلب، وألقيت في حفل الافتتاح كلمات باسم المشاركين العرب، ومحافظة إدلب، وأصدقاء المكرم، وأسرة المكرم، وراعي الندوة.

وقد أشارت الأبحاث التي أعدت بهذا الصدد إلى البعد الثقافي والحضاري لمحافظة إدلب، الممتدة الجذور تراثياً وفكرياً، فهي محافظة أبي العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء العرب. وهي محافظة تسبح فوق بحر من الآثار التي خلفتها حضارات متتالية تعاقبت عبر العصور.

وأكدت المحاضرات أن الأديب المبدع المحقق به عبدالرحمن رأفت الباشا قد نشأ في هذه البيئة الحضارية العريقة، ودرج في ربوعها فكان مثالا دالاً على تجسيد منظومة القيم الأصيلة وانتمائها إلى العروبة والإسلام، ودفاعه عن التراث واللغة العربية.

وأن المكرم الراحل قد تمثل تمثلاً كاملاً فضاءات

النضال الفكري، والانتماء الوطني، والدفاع عن العروبة والإسلام في آن.

إن احتفال الأمم بأعلامها من المفكرين والأدباء ظاهرة حضارية لأنهم ذكرونها وموضع فخارها، وتكريم المحقق به الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا تجسيد واضح لتقدير القطر العربي السوري المناضل لأبنائه الأخيار.

وقد تناولت أبحاث الندوة المحاور الثلاثة الآتية:

١- عبدالرحمن الباشا ومواقفه الفكرية والأدبية والنقدية.

٢- عبدالرحمن الباشا روائياً.

٣- عبدالرحمن الباشا باحثاً ومفكراً وأديباً.

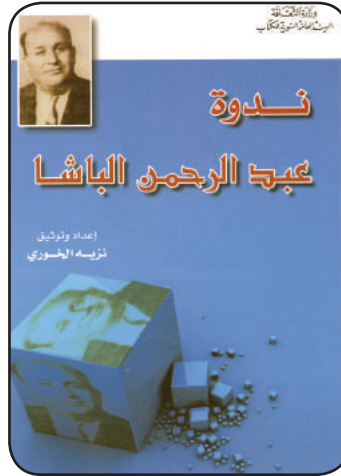
وأضاءت الأبحاث شخصية المبدع الراحل من

خلال سيرته ونتاجه، وعنيت ببراعة أسلوبه، ونبل موضوعاته، وحميمية علاقته بالتراث، وغيرته على اللغة العربية.

إن أمثال الأديب المكرم الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا منارات تستضيء بها الأجيال، وتتخذها قدوة لها، ومثالاً في التضحية والعطاء والوفاء، لذلك لم تقف الندوة عند نتاج المحقق به الروائي والقصصي والنقدي والتنظيري؛ إنما اهتمت بدور أحد الرواد الأوائل في الحفاظ

على تراث الأمة، والإفادة منه، والبناء عليه، والانطلاق بعد ذلك كله نحو المستقبل الواعد.

وقد توجه المشاركون في الندوة من الباحثين والمفكرين والأدباء والنقاد بالشكر العميم لوزارة الثقافة على إقامة هذه الندوة، وعلى الجهود المبذولة في الإعداد لها، وتنظيمها حتى تحقق معظم الأهداف المرجوة منها.



- كما أشاد المشاركون بتوجيهات السيد الدكتور رياض نعتسان آغا وزير الثقافة حول طباعة أعمال الندوة في كتاب، وتسمية قاعة أو مكتبة أو شارع أو حديقة أو مدرسة باسم المحتفى به تقديراً لجهوده.
- إعداد دراسات جامعية عن فكر المكرم ونقده وإبداعه.
- نقل جلسات التكريم مباشرة على التلفزيون العربي السوري.
- إقامة ندوات أخرى عن الراحل المبدع الباشا في مناطق أخرى من القطر العربي السوري ولا سيما في مسقط رأسه.

وجاءت التوصيات الخاصة بالمحتفى به على النحو الآتي:

- طبع أعمال المكرم والدراسات والبحوث التي تناولت نتاجه الفكري والأدبي لتسهيل وصولها إلى العامة والخاصة، وتوزيعها على المراكز الثقافية في جميع المحافظات السورية.
- الاستمرار في إقامة الندوات التكريمية للمبدعين، الأحياء منهم والأموات، لتبيان دورهم الريادي في مختلف مجالات الإبداع.
- التوجيه بإعادة اعتماد بعض أعمال الأديب الراحل الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا في مناهجنا الدراسية؛ ولا سيما رواية (أرض البطولات).
- عمل جائزة ثقافية عربية باسم (جائزة عبدالرحمن الباشا للدراسات العربية).
- وألقى كلمات الافتتاح كل من : د. عالية صالح - كلمة المشاركين (الأردن).
- عبدالقادر الأسود (سورية) كلمة اتحاد الكتاب العرب.
- د. مهجة الباشا (سورية) كلمة أسرة الباشا.
- د. عاطف النداف (سورية) كلمة محافظ إدلب.
- وقرأ البيان الختامي د. محمد حسن عبدالمحسن.
- وألقى كلمة المشاركين الختامية الأستاذ صبحي فحماوي، وكلمة رئيس شعبة المدينة الأستاذ محمد وهوب.
- وأعد أعمال الندوة كلها في كتاب الأستاذ نزيه الخوري ■

تشكر مجلة الأدب الإسلامي كل من نشر لهم، وأسهم في هذا العدد الخاص بالدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا رحمه الله؛ سواء من الذين كتبوا عنه حين وفاته، أو الذين كتبوا عنه أو تحدثوا في الندوة التي أقامتها وزارة الثقافة السورية في دار الثقافة بمحافظة إدلب، أو الذين استجابوا لإعلان المجلة في الكتابة في إصدار هذا العدد. ونظراً لمحدودية صفحات المجلة، وتجنباً للتكرار فقد اجتهدت هيئة التحرير في اختصار بعض أجزاء من البحوث، ونشر بعضها من دون غيرها لا رغبة عنها؛ ومن هنا نقدم اعتذارنا للكتاب الأفاضل الذين اقتطفنا أجزاء من بحوثهم، مع شكرنا وتقديرنا لهم.

التحرير

شكر
وننوبه
وأعني بأر



العلامة ابن عقيل الظاهري في تجربته مع الكتاب، والتداخل الثقافي

حسن الزيات وزكي مبارك، كما اطلع على شعراء المهجر جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي، وأكد أن كتاب (الوجود والعدم) لبول سارتر هي أجمل ما قرأه، كما تنوعت قراءاته في كتب الحداثة والتيارات النقدية المعاصرة.

وقال الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: إنه منذ أن افتتح دار ابن حزم من ١٥ سنة بدأت مكتبته تتوسع إلى درجة أنه عرضها للبيع على مكتبة الملك عبد العزيز العامة، فكرم الملك عبد الله عندما كان ولياً للعهد في تلك الفترة بإعطائه مبلغ أربعمائة ألف ريال، وأن تبقى عنده.

وقد أثنى الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس الرابطة على الجهود العلمية للضيف، وقدم موجزا أشار فيه إلى بعض أعماله الأدبية والنقدية، وشكره على تلبية دعوة الرابطة في إغناء ملتقاها الأدبي بحضوره. وشكر محبي علم الشيخ ابن عقيل الظاهري وأدبه الذين حضروا الملتقى، وعددا من وسائل الإعلام المرئية والمقروءة مثل قناة الثقافية، وصحيفتي الجزيرة والشرق، والمواقع الإلكترونية.

استضاف المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض العلامة أبا عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، في الملتقى الشهري بتاريخ ٢٠/٢/١٤٣٣هـ، الموافق ٢٢/٢/٢٠١٢م، في حديث بعنوان «تجربتي مع الكتاب، والتداخل الثقافي».

وطوف العلامة الظاهري بالحضور الكثيف الذين ضاق بهم المكان، موجزا رحلته مع الكتاب لأكثر من سبعين عاما.. من بداياته في مدينة شقراء عام ١٣٦٨هـ مع مكتبة البواردي التجارية التي كان يقرأ فيها الإصدارات الحديثة، والمجلات المصرية مثل: (آخر ساعة)، و(الكواكب)، و(المصور)، و(الرسالة).

وتحدث عن قراءاته للكتب بدءا من مثل سيرة عنتره إلى اقتنائه كتاب تاريخ ابن جرير الطبري، ثم شغفه بشراء الكتب التي أرهقت والده بالديون. وكدحه لإعالة نفسه أيام دراسته الجامعية بكتابة المعارض.

وذكر أنه تعلق بكتاب (طوق الحمامة) لابن حزم الأندلسي، ومن ثم ترقى في قراءته إلى كتاب (المحلى) لابن حزم الأندلسي، واطلع على كتب طه حسين وأحمد

سعد أبو الرضا في لجنة الدراسات الأدبية واللغوية

في المجلس الأعلى للثقافة

تم تعيين الأستاذ الدكتور سعد أبو الرضا عضوا في لجنة الدراسات الأدبية واللغوية في المجلس الأعلى للثقافة بجمهورية مصر العربية، ويقوم المجلس بتوجيه الثقافة ووضع المشروعات التي تحقق ذلك.



علم الأصوات عند العرب



ألقى عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية الدكتور محمد حسان الطيان رئيس مقررات اللغة العربية في الجامعة المفتوحة بالكويت، والعضو المراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق، محاضرة بعنوان (علم الأصوات عند العرب)، في ندوة السيد الثقافية بالرياض، التي تقام في داره رجل الأعمال السعودي الفاضل الأستاذ محمد بن سعيد السيد. وذلك مساء الأحد ١٢ / ٢ / ١٤٢٣ هـ، (٥ / ٢ / ٢٠١٢ م).

وأغنت المحاضرة بمداخلات عدد من الأساتذة، منهم: د. عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي، ود. محمد بن عبد الرحمن الهدلق رئيس مجلس الأمناء لمركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ود. مساعد الطيار الأستاذ بجامعة الإمام، ود. منصور الحازمي من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ود. محمد مرياتي كبير مستشارين في العلوم والتكنولوجيا لدى الأمم المتحدة، ود. محمد خير البقاعي أستاذ النقد بجامعة الملك سعود. وتولى الأستاذ أيمن بن أحمد ذو الفنى عضو الرابطة إدارة الجلسة.

الرباوي وعلوش في مكتب الرابطة بالرياض



حلّ الدكتور الشاعر محمد علي الرباوي رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في المغرب، والشيخ ناجي علوش رئيس جمعية عكار الخيرية، ومدير المعاهد الشرعية ببلبنان، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ضيفين على المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته ٢٧ للعام ١٤٢٣ هـ، ٢٠١٢ م.

وشارك د. الرباوي في الأمسية الشعرية المفتوحة التي أقامها النادي الأدبي في جدة مع عدد من الشعراء من داخل المملكة وخارجها.

وزار كل من الدكتور محمد علي الرباوي والشيخ ناجي علوش مكتب الرابطة في الرياض، واجتمعا مع رئيس الرابطة الدكتور عبد القدوس أبو صالح، والدكتور وليد قصاب، مدير تحرير مجلة الأدب الإسلامي



الشيخ ناجي علوش

وعضو الهيئة الإدارية لمكتب البلاد العربية، وجرى في الاجتماع بحث الأمور المتعلقة بالمكتب الإقليمي للرابطة في المغرب، وشؤون الرابطة في لبنان، واطلعا على المكتبة وقاعة المحاضرات.



مكتب الأردن - اللجنة الإعلامية:

قراءات شعرية وقصصية

نظم المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن يوم السبت الموافق ٢٠١٢/١/٢٨ م أمسية أدبية بعنوان (قراءات شعرية وقصصية) للمهندس سعيد الهودلي، واشتملت فقرات الأمسية على قراءات شعرية من اختيارات المهندس الهودلي، لاقت استحسان الجمهور، وقد استهل المهندس الهودلي فعاليته بتحية للرابطة، وأثنى على الجهود المتميزة التي تقوم بها الهيئة الإدارية في مكتب الأردن الإقليمي، والاستمرار في طريق الرقي والعطاء..

وفي محور القصة القصيرة، قرأ الهودلي قصة بعنوان: (صنائع المعروف تقي مهالك سوء)، وكان وقعها مؤثرا على المتلقين، وأعقبها تحليل مقروء في



(أدب الشكر)، واتسع المجال لعدد من المداخلات النقدية حول فن القصة، والأدب الموازي، والدعوة للعمل التطوعي لتأكيد الانتماء إلى القيم الإسلامية، وأدار الأمسية د.حامد قتيبي وقدم تعريفا بالمحاضر، ثم أشاد بما يتمتع به الهودلي من إمكانيات للجمع بين الدراسات القرآنية، وأدب القصة.

قسمات عربية في الميزان

احتفى المكتب الإقليمي للرابطة بالأردن بتوقيع الدكتور مصطفى خضر الخطيب كتابه النقدي الموسوم «قسمات عربية في الميزان»، الذي ضم قراءة نقدية للديوان السادس للشاعر الأردني سعيد يعقوب.

واستهلته رئيسة المكتب الإقليمي الشاعرة نبيلة الخطيب بكلمة ترحيبية قالت فيها: «إن رابطة الأدب

الإسلامي تحتفي اليوم بناقد كبير وشاعر مبدع قدما من خلال نتاجيهما ما يخدم ثقافة الأمة وأدبها، ونحن سعداء اليوم بهذا الحفل الذي يأتي متزامنا مع ذكرى مولد سيد ولد آدم عليه السلام».

بعد ذلك قدم الدكتور الخطيب تعريفا بكتابه الذي تناول فيه تجربة الشاعر الأردني سعيد يعقوب في ديوانه السادس مسلطا الضوء على عمق وثراء هذه التجربة، ومنوها بتمسك الشاعر باللغة العربية، ومحافظة على عمود الشعر، ودفاعه عن قضايا أمته العربية والإسلامية. وقرأ الشاعر خالد فوزي عبده قصيدة أهداها للشاعر يعقوب.

وألقي الشاعر سعيد يعقوب قصيدتين الأولى في المديح النبوي، والثانية شكر فيها الدكتور الخطيب على جهوده المباركة في خدمة الثقافة والأدب والنقد.

أقيم الحفل مساء يوم ٢٠١٢/٢/٤م، وأداره الشاعر عماد نصار، وشهد حضورا لافتا من الشعراء والمثقفين ومتذوقي الأدب.



مذكرات داعية في بلاد الأندلس



أقام المكتب الإقليمي للرابطة بالأردن أمسية أدبية بعنوان: مذكرات داعية في بلاد الأندلس، أحيها داعية عبد الرحيم الطويل، وقدمه الأستاذ محمد غسان الخليلي، وذلك في مقر الرابطة في عمّان بتاريخ ٢٠١٢/١/٧م.

بداية قدم الأستاذ الخليلي المحاضر على أنه داعية في إسبانيا منذ عام ١٩٩٤، ثم عرّف الأدب الدعوي مستدلاً بالآيات والأحاديث التي تبين خصائصه، ثم تحدث المحاضر الداعية عبد الرحيم الطويل عن مجال أدب الدعوة، ساردا بعض القصص من تجاربه في الأندلس، خلال سعيه إلى تعريف الغربيين بالإسلام، فأكد على أن الأدب الدعوي لا بد له من عناصر أساسية تقوم على فن الحوار مع الآخر، والإقناع عن طريق سرد القصص كما جاء في الكتاب والسنة، وسوق الأدلة الدامغة،

والبراهين المفحمة، والحرص على المجادلة بالتّي هي أحسن. وأمتع مستمعيه بقصص شيقة نالت إعجاب الحضور فصفقوا لها مرارا.

وقد رحّبت رئيسة المكتب السيدة نبيلة الخطيب بالمحاضر الضيف، وأشارت إلى أهمية جمع هذه القصص بين دفتي كتاب في إهاب أدبيّ إبداعي، فتزدان سموّ الفكرة بالفنية الراقية التي تسهم في نشر الدعوة واستقرارها في القلب والوجدان.

نظرات في الشعر



أقام المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن يوم السبت ٢٠١٢/٣/١٧م أمسية أدبية للشاعر الدكتور عثمان مكانسي، بعنوان (نظرات في الشعر ووقفات مع بعض القصائد المشهورة) قرأ فيها لوحات أدبية نازفة بالألم والغربة والحنين...

وقد أدار الأمسية الشاعر صالح البوريني عضو الهيئة الإدارية، فرحب بالضيف والحضور، وألقى ضوءاً على جوانب من قراءات الدكتور مكانسي قبل أن يعرض سيرته العلمية.

أما الشاعر الدكتور عثمان مكانسي فقد رسم لوحات بالكلمات بعنوانين: «كذا.. فليجل الخطب»، و«بلاد العرب أوطاني» و«الشعر والقضية»..

وفي الختام فتح باب التعقيبات، فأثنت رئيسة المكتب الشاعرة نبيلة الخطيب على المحاضر ومقدم الأمسية، ورحبت بالحضور من الضيوف والأعضاء، وجميع المتحدثين وخاصة بالأستاذ الأديب عبد الله الطنطاوي الذي ختم اللقاء بكلمة عميقة المعاني تركت أثراً في نفوس الحضور.



وعلم آدم الأسماء كلها

ألقى الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة، أستاذ النحو واللغة في جامعة العلوم الإسلامية في عمان، مساء السبت ٢٠١٢/١/٢١ في مقر المكتب الإقليمي للرابطة في عمان محاضرة بعنوان: «وعلم آدم الأسماء كلها».. رؤية جديدة. وأدارت الأمسية رئيسة المكتب الشاعرة نبيلة الخطيب. وقد تناول الدكتور عودة في محاضراته المحاور العامة الآتية:

- البحث في الدلالة القرآنية هو استمرار لمنهج الله عز وجل في هذا الكون.
- التدبر العميق في قوله تعالى في سورة البقرة: (وعلم آدم الأسماء كلها) ومناقشة هذا القول في ضوء ما خوطب به الأنبياء والرسل جميعاً.
- النظر في الآراء التي وردت في كتب التفسير القرآني، وفي كتب اللغة، وكلها لم تذكر الفكرة التي ستعرض في هذه المحاضرة، بل اقتصر على التفسير المهم للآية، ودلالة الأسماء..

- بيان أن السمع والبصر والفؤاد سر الحياة الإنسانية... وطريق العلم والمعرفة الإنسانية.
- شاء الله سبحانه وتعالى بحكمته الإلهية أن يخلق هذه الأرض، وأن يجعل فيها خليفة، وأن يزوده بالعلم والحكمة والمعرفة التي ستبدأ الحياة الإنسانية فيها به.
- أقام الله عز وجل الحياة الإنسانية، على مبدأ السببية والتعلم الذي قدره.
- إن النظر إلى الدلالة القرآنية يمثل هذا التدبر في كل الأمور الأخرى في الحياة، وجدير بأن يجعل الإنسان المسلم في مقدمة طريق الحضارة الإنسانية..
- وقد جرى نقاش موسع حول المحاضرة، ووعد المحاضر بقاء آخر يدور حول فضاءات فتنها الأسئلة، وغيرها من موضوعات البيان القرآني، التي لا تنتهي عجائبه.

الأدب الاجتماعي ومسؤولية الأديب



أقام المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن يوم السبت ٢٠١٢/٢/٢٥ محاضرة ثرية في الأدب الاجتماعي للأديب المتميز الأستاذ حنا ميخائيل سلامة، وذلك في مقر المكتب في العاصمة الأردنية

عمان، وأمام جمهور حاشد متميز من أعضاء الرابطة وأصدقائها.

أدار الأمسية الشاعر المعروف الأستاذ سليمان المشيني، حيا فيها رابطة الأدب الإسلامي وجهودها ممثلة بمكتبها الإقليمي في الأردن، ثم عرف بالضيف المحاضر الباحث حنا ميخائيل سلامة النعمان، ورحب به، وأشاد بما يقدمه من رسالة اجتماعية من خلال الأدب.

قدم بعد ذلك الأديب حنا سلامة محاضراته متمسكا بمواضع الألم في المجتمع، وسبل علاجها.

وقد رحبت رئيسة المكتب السيدة نبيلة الخطيب بمحاضر الأمسية ومديرها، وأدلى العديد من الحضور بمداخلاتهم وتعقيباتهم وشهاداتهم حول ما سمعوا من أدب مسؤول.



مكتب مصر - محيي الدين صالح

جددت جمعية الأدب الإسلامي بالقاهرة نشاطها الأدبي بعد عودة الهدوء النسبي إلى الساحة المصرية.

■ في مجال التعاون مع الهيئات المماثلة أقامت الجمعية ندوتها السنوية بالتعاون مع المنتدى الثقافي بشبين الكوم في يوم الجمعة الموافق الثلاثين من ديسمبر ٢٠١١م، في ندوة حضرتها أسرة الدكتور عبد الحليم عويس - رحمه الله - وعدد من أعضاء الرابطة بالمنوفية، إضافة إلى أعضاء الرابطة بالقاهرة. أدار الندوة الشاعر أحمد بسيوني، وتحدث في الندوة الدكتور زهران جبر، والأستاذة سمية عبد الحليم عويس،



د. عبد الحليم عويس

والأستاذ محمد سعد (سكرتير د. عبد الحليم)، وأقيمت أمسية شعرية في ختام الندوة شارك فيها كل من: وحيد الدهشان، ومحيي الدين صالح، ونوال مهنى، ونادية كيلاني، وعدد من شعراء المنوفية.

■ وفي يوم الاثنين الموافق ٩ يناير ٢٠١٢ أقيم حفل تأبين للدكتور عبد الحليم عويس بمقر الجمعية حضره عدد كبير من أعضاء الرابطة، وأسرة المرحوم، وتلامذته ومحبيه، أدار الندوة الدكتور عبد المنعم يونس الذي تحدث عن مآثر الفقيه ونشاطه الأدبي. وتحدث الدكتور سعد أبو الرضا والدكتور زهران جبر والشاعر محمد عبد العال عن دور الفقيه في الساحة الأدبية الإسلامية.

■ في يوم الاثنين الموافق ١٩ مارس، استضافت

جمعية الأدب الإسلامي الأديب أحمد علي حسن صاحب ومدير مكتبة الآداب بالقاهرة، الذي تحدث عن حقوق الملكية الفكرية للمؤلف في عصر الشبكة العنكبوتية وعالم الفضاءات المفتوحة.

أدار الندوة الدكتور زهران جبر، فقدم تعريفا بالضيف ومكتبته ودورها في نشر الأدب الملتمزم منذ إنشائها، ثم تحدث الأستاذ أحمد علي عن قوانين الملكية الفكرية وحقوق المؤلف وأنواع العقود، وأشار إلى أن القانون المصري اشتق من القانون الفرنسي الذي يحترم المؤلف، ثم دارت مناقشات واستفسارات بين الضيف والحضور حول الموضوع.

■ وفي يوم الاثنين الموافق ١٢ مارس استضافت الرابطة الدكتور محمد علي سلامة أستاذ الأدب والنقد ووكيل كلية الآداب جامعة حلوان، حيث تحدث الضيف عن كتابه الموسوم (الأدب الإسلامي.. أصوله وقضاياها)، استعرض في حديثه أهمية الأدب الإسلامي في هذا العصر الذي اختلطت فيه كثير من المفاهيم الأدبية والنقدية، وقدم رؤية جيدة لمسيرة الأدب الإسلامي ورابطته العالمية. قدم للندوة الشاعران محيي الدين صالح ومحمد علي عبد العال.



ناصر رمضان

■ وفي يوم الإثنين الموافق ٢٠ فبراير كانت مناقشة رواية «في المطار» للأديب ناصر رمضان. أدار الندوة الدكتور سعد أبو الرضا، وقدم رؤية نقدية للرواية، وشارك في المناقشة د. حسين عبد العظيم.



البعد الفني في الأدب الإسلامي



احتضن النادي الثقافي العربي في الشارقة، مساء ١٤٣٣/٢/٢٩هـ، محاضرة بعنوان «البعد الفني في الأدب الإسلامي» ألقاها الدكتور وليد قصاب، وحضرها عدد من الكتّاب والمهتمين والإعلاميين. وعدد من أعضاء الرابطة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وسلط المحاضر الضوء على مصطلح الأدب الإسلامي إذ رأى أنه: يتكون من كلمتين توحيان بالعام والخاص فهو «أدب»، وهو «إسلامي»، ورأى أن وصف «الأدب» عام يشترك فيه ما كان إسلامياً وما كان غير ذلك، مثلما تشترك مصطلحات لا حصر لها كالفسفة، والاقتصاد، والهندسة والاجتماع، وغيرها في خصائص عامة، ثم يتميز كل منها بسمات معينة، فهناك الفلسفة المثالية، والفلسفة الوضعية، والفلسفة الواقعية، والفلسفة الإسلامية، ثم استفاض في الحديث عن الجانب الفني في الأدب الإسلامي، فبين أهميته وأثره، وأن الكلام لا يكون أدباً إلا به، وبين موقف الأدب الإسلامي من الأشكال الفنية، والموقف من حيادها أو خضوعها - كالمضمون - لانتماءات فكرية أو إيديولوجية.

وأعقب المحاضرة حوار ساخن حول قضايا الغموض والنثيرة (قصيدة النثر) والفصحى والعامية، وغير ذلك. وقدّم المحاضرة الدكتور نبيل قصاب باشي.

النكوص الإبداعي في أدب باكثير



باكثير

حصل الباحث الإماراتي عبد الحكيم الزبيدي - مؤسس ومدير موقع باكثير الإلكتروني على درجة الماجستير عن رسالته بعنوان: (النكوص



عبد الحكيم الزبيدي

الإبداعي في أدب علي أحمد باكثير)، ونوقشت الرسالة في ٩/٥/١٤٣٢هـ الموافق ٢٠١١/٥/١٢م في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشارقة. وقد تكونت

لجنة المناقشة من كل من الدكتور حسن بن عمر الأمراني مشرفاً، والأستاذ الدكتور الرشيد بوشعير أستاذ الأدب الحديث بجامعة الإمارات - مناقشاً خارجياً، والدكتور محمد نافع المصطفى - مناقشاً داخلياً. وقد تم قبول الرسالة ومنح الباحث درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها. يذكر أن الباحث حائز على دكتوراه في الإدارة الطبية من جامعة أبردين في بريطانيا سنة ٢٠٠٦، ودفعه حبه لأدب باكثير إلى تخصص مغاير فتال شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الإمارات العربية المتحدة سنة ١٩٩٩، وهو شاعر وناقد صدر له ديوان شعر وكتابان في نقد أدب باكثير.

الحقيل في ملتقى الشعر والقناة الثقافية



عبدالله الحقيل

شارك الأستاذ عبدالله ابن حمد الحقيل أمين عام داره الملك عبد العزيز سابقا في ملتقى الشعر من أجل التعايش السلمي الذي عقد في دبي من (١٥-١٩/١٠/٢٠١١م)، ونظمته جائزة البابطين للإبداع الشعري،

ودعي إليه أكثر من ٢٠٠ أديب وشاعر من أنحاء العالم. وقدم الحقيل ورقة بعنوان: الشعر رباط ثقافي بين الشعوب. وسجل الأستاذ الحقيل في القناة الثقافية من التلفزيون السعودي عدة حلقات بعنوان: الحج في عيون الرحالة والمؤرخين في موسم حج عام ١٤٣٢هـ.

ندوة الوفاء.. والأدب

■ استضافت ندوة الوفاء



عيسى جرابا

بالرياض في ١٠/٢/١٤٣٣هـ الشاعر السعودي عيسى علي جرابا عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية في أمسية شعرية، قدم فيها مجموعة

من قصائده المختارة التي نالت استحسان الحاضرين.

■ واستضافت الندوة



حسن الحازمي

الأديب الدكتور حسن حجاب الحازمي عميد شؤون الطلاب بجامعة جازان، عضو الهيئة الإدارية بالمكتب الإقليمي للرابطة بالرياض سابقا؛

في أمسية قصصية قرأ فيها د. حسن الحازمي قصصا مختارة من إبداعاته، وذلك في ١٤/٤/١٤٣٣هـ.

الاتجاه الإسلامي في

شعر الطفولة في الأدب السعودي

حصلت الباحثة نورة بنت عبد الرحمن بن حميد الحربي على درجة الماجستير عن رسالتها بعنوان الاتجاه الإسلامي في شعر الطفولة في الأدب السعودي (دراسة نقدية)، المقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، بإشراف الدكتور إبراهيم بن عبد العزيز الزيد، الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي. ونوقشت الرسالة يوم الأربعاء الموافق ١٠/٢/١٤٣٣هـ، وتشكلت اللجنة من: د. إبراهيم الزيد مشرفا ومقررا، ود. حبيب المطيري عضوا، ود. عبد الله المفلح عضوا.

صورة المرأة في القصة القصيرة عند

أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية

حصلت الباحثة رشا بنت عبد اللطيف كردي على درجة الماجستير عن رسالتها المقدمة بعنوان: صورة المرأة في القصة القصيرة عند أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية إلى عام ١٤٢٨هـ. ونوقشت الرسالة بمركز دراسة الطالبات بحي الملز، كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بتاريخ ٢٣/٢/١٤٣٣هـ. وتشكلت لجنة المناقشة من: د. حبيب بن معلا المطيري مقررا، ود. علي بن محمد الحمود عضوا، ود. أحمد الطيب الودرني عضوا.



إصدارات حديثة

■ صدر للدكتورة زينب بيره جكلي، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن:

١- الفن المسرحي عند صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي.

٢- أدب الأطفال في العصر الحديث.

■ صدر للأستاذ عبد الله حمد الحقييل، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، الرياض:

١- اللغة العربية.. هوية وانتماء.

٢- ذكريات ورحلات في ربوع بلادي.

■ مكونات السرد في قصص الأطفال:

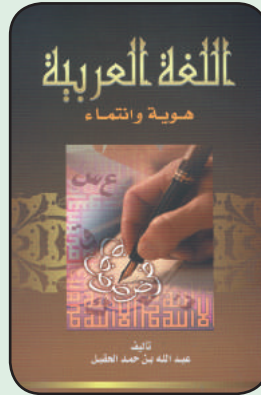


حضرموت - اليمن، ط ١، ٢٠١١م:

١- الحكاية كلها معاصرة: دراسات في الرواية، د. حلمي محمد القاعود، سلسلة كتاب حضرموت رقم ١٤.

٢- مسرح باكثير وقضايا المغرب العربي إبان الاستعمار الأوربي، د. الطيب علي الشريف، سلسلة كتاب حضرموت رقم ١٥.

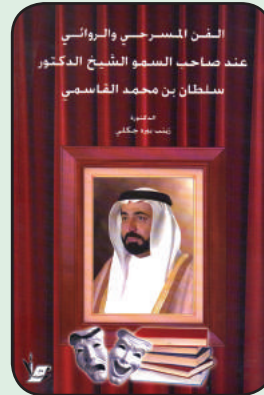
■ المسيرة لداعية جنوب



حروف اللغة العربية، عبد الله نور، ط ١، محرم ١٤٢٨هـ، دار الحقيقة الكونية للنشر، الرياض، السعودية.

■ الأدب بين الفلسفة والإسلام، د. محمد علي الرباوي، ط ١، ٢٠١٠م، مطابع الأنوار المغاربية، وجدة، المغرب.

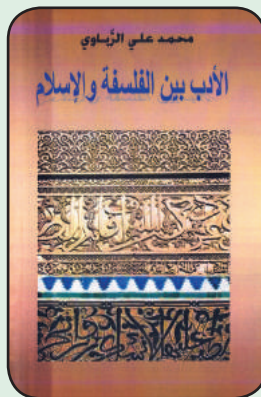
■ صدر عن دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا،



قصص الأطفال في سوريا أنموذجا (١٩٦٩-٢٠٠٠م)، أحمد صوان، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، دار التكوين، دمشق، سوريا.

■ أيام ويوميات عمر بهاء الدين الأميري، باسل الرفاعي، ط ١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، دار الفتح للدراسات والنشر في عمان - الأردن.

■ القرآن الكريم دلالات





في تركيا متضمنة موضوعات نقدية ودراسات أدبية وإبداعات متنوعة. صدر العدد ٦٢٩، من مجلة المنهل في عامها الثامن والسبعين، ربيع الأول والآخر لعام ١٤٢٣هـ/ فبراير/ مارس ٢٠١٢م، وقد تضمن العدد دراسات فكرية وثقافية وأدبية، وإبداعات متنوعة.

٢٠١٢م، نشر شركة رسالة الإسلام، الرياض، وعناوين القصص هي: سوق الحرير، الغزالة المتعانة، الهدهد، الذكي، بائع الذرة، النعمة العظيمة، الصديق الرائع، الكتاب والحاسوب، عاقبة الطمع. صدرت مجلة الأدب الإسلامي التركية العدد ٥٦ عن المكتب الإقليمي للرابطة

الحميد ضحا، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠١١م، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر. عندما يتزعزع الأمل وقصص أخرى، علي محمد السيد، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، دار الوراق، الرياض، السعودية. في أدب الأطفال، صدرت ثمان قصص تربوية مشوقة وممتعة للأديب بدر الحسين، ط١، ١٤٢٣هـ/

الجزيرة: الإمام عبد الله بن محمد القرعاوي (١٣١٥- ١٣٨٩هـ) حياته ودعوته. تأليف بندر فهد الإيداء، ط١، ١٤٢١هـ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. لماذا نحب شعر د. أسامة كامل الخريبي، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠١١م. الدقهلية، مصر. ملحمة حر، شعر عبد





د. مأمون فريز جرار - الأردن

كلمة وفاء (*)

لقد اعتدنا . حتى أصبحت تلك العادة سنة متبعة . أن يموت أهل العلم والفكر والأدب بصمت، وأن يرحلوا من الدنيا في جنازات متواضعة، تحملهم أكتاف بعض المحبين الذين حضروا الوفاة.. ووراء ذلك قلوب محبة لم يبلغها الخبر، ولم يفجعها النعي.

أقول: لقد اعتدنا ذلك فيمن لا يكونون حول أنفسهم في حياتهم.. جوفة من الأتباع، حملة الأبواق والصنوج، ويؤثرون العمل بصمت.. وهدهوء، شأن الشجرة التي تضرب في أعماق الأرض، وتشق بالجذر الناعم الطري الصخر، وتسلل عبر ذرات التراب!

في يوم الجمعة الحادي عشر من ذي القعدة ١٤٠٦هـ، توفي عالم وأديب هو الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، وافته المنية في تركيا، وقد ذهب إلى هناك ليؤدي بعض حق أسرته في أن تروح عن نفسها.. وطالبا للاستشفاء في جو تلك البلاد.. بعد أن أرهقه المرض، وأتعبه القلب الذي لم يعد يقوى على الخفقان!

مات عبد الرحمن رأفت الباشا.. فلم نقرأ نعيًا له حتى من أهله الذين أذهلهم المصاب عن ذلك! إلا ما كان من رابطة الأدب الإسلامي، وانتظرنا لنقرأ كلمة رثاء.. أو كلمة وفاء.. أو كلمة وداع.. وطال الانتظار.

إنني لست أولى الناس بالحديث عن الراحل فهناك من أصدقائه الخالص ومن زملائه وأقرانه ومن طلابه الذين عايشوه حينًا من الدهر من هو أقدر مني على الكتابة، وأكثر معرفة بشخصيته..

ولكنني مع ذلك صحبته أربع سنوات كان فيها مشرفًا على رسالتي للدكتوراه، ومات قبل أن يتم قراءتها.. على غير ما أملت وأمل.

ومع أنها أربع سنوات.. فإن اللقاءات كانت فيها محدودة معدودة.. كان يحول دون ذلك المرض العارض، أو الشغل الشاغل.. أو غير ذلك! فماذا أقول عن عبد الرحمن رأفت الباشا؟

لقد عرفته أول ما عرفته يوم كنت في المرحلة الثانوية أي قبل اثنتين وعشرين سنة، وقرأت له روايته.. أرض البطولات، تلك الرواية التي فازت بجائزة وزارة التربية خلال الوحدة بين مصر وسوريا.. وراودتني يومها فكرة كتابتها في صورة حوارية وتقديمها

للإذاعة، وشرعت في ذلك ولم أتمه..

ومضت السنوات حتى التقيت بالرجل أول مرة سنة ١٤٠١هـ في الهند، في مدينة لكهنؤ، عند انعقاد الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي في رحاب ندوة العلماء هناك.. التي يديرها الشيخ أبو الحسن الندوي . مد الله في عمره . ورأيت يمشي ببطاء ويتكئ على عصا! وقد أدركته الشيخوخة قبل أناتها مما أصابه من مرض قاده إلى شلل نصفي بقي يغالبه حتى وفاته..

لقد أصاب الشلل بعض جسده ولكنه لم يصب عزيمته.. فهي هو ذا يقطع المسافة من السعودية إلى الهند، على محاذير صحية، ليرى أثرًا من آثار ما آمن به، ونذر له نفسه.. ليرى فكرة الأدب الإسلامي وقد بدأت تنمو ويشد عودها.. فهو الذي بدأها تدريسًا في جامعة الإمام محمد بن سعود، بعد أن تلقاها ممن قدموها فكرة من قبل..

وتابع جهوده في هذا المجال فكان الحوار أو اللقاء الثاني حول الأدب الإسلامي في المدينة المنورة في الجامعة الإسلامية سنة ١٤٠٢هـ، ثم كانت الندوة الثالثة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض سنة ١٤٠٥هـ، وكان الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا هو أحد المحركين لهذه الندوات الثلاث، والمخططين لها، والمتابعين لما يتعلق بها.

فلئن مات عبد الرحمن رأفت الباشا، فإن مذهب الأدب الإسلامي الذي تبني الدعوة إليه .. وسعى إلى تقييده وبيان معالمه وملامحه، إن هذا المذهب سيبقى من بعده شاهدا على جهوده وجهود من سبقه من الدعوة إليه، ويذكر اسمه مقرونا به.

وبعد؛ فليس ما أكتبه رثاء، وإنما هي كلمة وفاء أذكر بها القادرين على الكتابة عنه، لعلمهم يكتبون.

ولعل جامعة الإمام محمد بن سعود التي أمضى الفقيد في رحابها اثنين وعشرين عامًا.. لعلها تصدر كتابًا تذكاريًا عنه.. يتولى تحريره أصدقاؤه ومحبه، وتلاميذه ■